

د. عباس الحراري

استاذ الأدب المغربي والأدب الشعبي  
بكلية الآداب - جامعة محمد الخامس

الأمير المشيخي

أبو الربيع سليمان الموحدي

عضده  
حياته وشعره

دار الثقافة

2 / 32 شارع . فيكتور هيكو

الدار البيضاء - المغرب

جمادى الثانية 1394 هـ - يونيو 1974

الأمير الشاعر  
أبو الربيع سليمان الموحي



د. عباس المراري

استاذ الأدب المغربي والأدب الشعبي  
بكلية الآداب - جامعة محمد الخامس

الأمير الشاه

أبو الربيع سليمان الموحدة

عصره  
حياته وشعره

منشورات

دار الثقافة

2 / 32 شارع فيكتور ميكو

الدار البيضاء - المغرب

جمادى الثانية 1394 هـ - يونيو 1974

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في صباح يوم السبت سابع مايو 1965 ناقشت الرسالة التي تقدمت بها (1) للحصول على درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة . وكان موضوع هذه الرسالة هو ديوان الأمير الشاعر أبي الربيع سليمان الموحي . وكانت مقسمة إلى جزئين :

أحدهما : دراسة عصر أبي الربيع وحياته وشعره ( وهو القسم الذي أنشر في هذا الكتاب ) .

والثاني : تحقيق ديوانه ( وسأشره مستقلاً فيما بعد ) .

ولم يكن هذا البحث عن أبي الربيع غير تجربة أولية في دراسة أدبنا ، حاولت فيها أن أقدم تحليلاً جديداً لعصر الموحدين من حيث سياسته ومذهبيته ، وأن أعرض الحياة الفكرية والأدبية ، وأن أطرح أدباء هذا العصر من خلال تصنيف تابع من مختلف التيارات والاتجاهات التي كان يسير فيها أولئك الأدباء .

---

(1) أمام لجنة مكونة من السادة الأساتذة :

أ - الدكتور عبد العزيز الأهواني مشرفاً

ب - الدكتور شوقي ضيف عضواً

ج - الدكتور يوسف خليفة عضواً

ولم يكن وقوفي عند أبي الربيع بالأمر السهل، إذ صادفت كثير من الصعوبات بسبب قلة الأخبار التي وصلتنا عن الشاعر نتيجة عدم اهتمام مصادر عصر الموحدين والعصور التي بعده بالحديث عنه، وعلى الرغم من أنه كان أميراً من أبرز أمراء الدولة لما كان يتمتع به من ثقافة واسعة وحسنة طويلة ولما أسند إليه في هذه الدولة من مناصب مسؤولة عالية، وعلى الرغم من أن شعره لم يضع كما ضاع شعر كثير غيره من الشعراء، حيث جمع ديوانه أحد كتابه وهو بعد على قيد الحياة.

وقد تسنى لي بما جمعت من أخبار عن أبي الربيع أن أفحص هذه الأخبار وأحلقها وأنقدها وأستنتج منها ما يمكن استنتاجه وأفسرها بما يجعلني أنفذ إلى أعماق حياة الرجل، بالتفسير النفسي وأنا والتفسير الاجتماعي والتاريخي أنا أخرى، سعيًا إلى سد ما بين الأخبار من ثغرات، وبالتالي إلى تكميل ملامح صورة هذه الحياة. كذلك لجأت إلى شعره أحاول من خلاله سبر أغوار الشاعر فوجدته صورة لنفسيته قد انعكست عليها بعض ملامح عصره ومجتمعه. كما حاولت بدراسة شعر أبي الربيع في مضامينه وخصائصه أن أنتهي إلى أن شعر العصر وأدبه عامة لم يكن منحطاً ولا دائراً فقط في فلك المذهبية الموحدية كما ظن الباحثون أمداً طويلاً يظنون.

وإني إذ أضع هذا البحث التمهيدي أمام الطلاب والدارسين، آمل أن تتاح لي قريباً فرصة لإخراج الديوان الذي ما يزال في حاجة إلى نشر علمي محقق (2). والله ولي التوفيق والسداد.

الرباط - الجمعة 7 جمادى الثانية 1394

موافق 28 يونيو 1974

ع. الجراري

(2) على الرغم من أنه نشر على يد جماعة من الاسانذة الفضلاء بعد حوالي سنة من تقديمي للرسالة.

الباب الأول

عصر أبي الربيع





الفصل الاول

ثورة سياسية ومذهبية



لكل ثورة إرهابات تمهد السبيل لظهورها ، ومقدمات تهتيء النفوس لتقبل مبادئها وأهدافها . وإرهابات الثورة الموحدية ومقدماتها كامنة في الانحلال الذي أصاب دولة المرابطين في عنفوان شبابها ، والذي يبدو من حقائق التاريخ أنه يرجع إلى الأسباب الآتية :

أولاً : ضعف شخصية علي بن يوسف بن تاشفين(1) الذي كان - على الرغم من صلاحه وزهده - عاجزاً عن تدبير قيادة الدولة وتسيير شؤونها ، وما نتج عن هذا المعجز من فوضى جعلت ولاية القبائل يستبدون بالأقاليم ويستقلون بها ، وما نتج عنه كذلك من انتشار الفساد وظهور المرأة في ميدان السياسة تلعب بمقول الحكام ، تحوكم المؤامرات وتدس المكاييد . فقد « اختلف حال أمير المسلمين وظهرت في بلاده مناكر كثيرة ، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد وانتهوا في ذلك إلى التصريح فصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين وأحق بالأمر منه ، واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور . وأمير المسلمين في ذلك يتزيد تغفله ويقوى ضعفه وقنع باسم إمرة المسلمين وبما يرفع إليه من الخراج وعكف على العبادة والتبتل ... وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال(2)» .

---

1 ( بويغ سنة خمسمائة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وتوفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

( 1106 - 1143 م ) . أنظر أخباره في الحلل المشوية ص 68-84 واعمال الاعلام

ص 253 - 256 والقرطاس ص 109 - 115 والاستقصاج 2 ص 55 - 62 .

2 ( المعجب ص 177 .

ثانياً : الإنهاك الذي أصاب الدولة ، وخاصة في عهد علي بن يوسف ، بسبب الحروب الكثيرة التي واجهها في فتح بلاد الأندلس وما كانت تلاقه جيوشه غير ما مرة من هزائم كانت تضطر القواد إلى أن يطلبوا من العدو وقف القتال ورفع الحصار . فمئذ سنة ثلاث وخمسةائة ، وهي السنة التي جاز فيها ابن يوسف إلى الأندلس للجهاد ، حتى سنة خمس عشرة وخمسةائة ، وهي السنة التي بدأت فيها حرب المرابطين للمهدي ، جهزت الدولة ما ينبغي على عشرة جيوش لفتح هذه البلاد، لاشك أنها أرهقت اقتصاد البلاد وأنهكت معنوية الشعب والحكام (3).

وقد زاد الوضع سوءاً ما عانت الدولة في صراعها مع الموحدين حيث أنه « في أثناء مدة هذه الحركة الطويلة الأعوام اتصلت الحروب ببلاد أهل اللثام وغلّت الأسعار براكش حتى وصل فيها الربع من الدقيق بمثقال حشمي ذهبي . وتوالى هذا الجذب حتى جفت في الأرض مذاربها واغبرت جوانبها وقلت المجابي بهذه الفتن وكثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين وألح العدو النصراني بالضربات على جميع جهات الأندلس حين علموا عجز الإمارة بالمغرب واشتغالها بحرب الثائرين المهيجين للفتن . . . واستولى الروم في هذا الوقت على كثير من البلاد والحصون » (4)

ثالثاً : عجز فقهاء الدولة في عهد علي بن يوسف عن تطوير المذهب المالكي الذي كان محور حركة المرابطين الإصلاحية ، حتى يسائر الوضعية التي أصبحت عليها دولتهم بعد أن اتسمت رقيمتها وتضخم نفوذها ، وبالتالي عجزهم عن توجيه الرأي العام في إطار المذهب ، مما جعلهم يتهيّبون كل انفتاح ويتوقعون في نطاق طبقة لا تسمى إلى غير حماية مكاسبها ومصالحها وما حققت من امتيازات . وترتب عن ذلك ظهور قيود فكرية بدا أن الدولة فرضتها تعصباً للفقهاء المالكي

3 ( أنظر تفاصيل هذه الحروب في الاستقصا ج 2 ابتداء من ص 59 .

4 ( البيان المغرب ج 3 ص 12 - 13 .

وشكليات الدين . وقد استغل هذه الظاهرة مؤرخ كالمراكشي موال للوحدين فضخم حقيقتها وزاد في أبعادها حيث ذهب إلى أنه لم « يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع أعني فروع مذهب مالك ، فنفتت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها . وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام ... ولمادخلت كتب أبي حامد الغزالي (5) رحمه الله المغرب أمر أمير المسلمين بإحراقها وتقديم بالوعيد الشديد من سفك الدم واستئصال المال إلى من وجد عنده شيء منها » (6) .

ومثل هذه القضية تؤكد لا شك سيطرة الفقهاء وخضوع الأمير لما يفتون به من آراء . فهم يرون كتاب الإحياء مخالفاً للشريعة والعقيدة ويحكمون بإحراقه على الرغم من العلاقات الطيبة التي كانت بين مؤلفه وأمراء الدولة وخاصة يوسف بن تاشفين (7) الذي كان الغزالي يوالي دولته ويدعو له مقدراً شجاعته وجهاده في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه . ومع ذلك فن الإنصاف أن نسجل أن الذين ثاروا ضد الإحياء هم فقهاء الأندلس ، وعلى رأسهم ابن حدين قاضي قرطبة ، وأن نسجل كذلك أن بعض فقهاء المغرب - كأبي الفضل بن النحوي - كان لهم موقف مخالف حيث انتصروا للغزالي وأفتوا بعكس ما أفتى به الأندلسيون .

( 5 ) يعني كتاب إحياء علوم الدين .

( 6 ) المعجب ص 172 - 173 . وانظر كذلك في احراق الاحياء نظم الجمان ص 14 والاستقصا ج 2 ص 67 .

( 7 ) بويغ سنة 453 وتوفي سنة 500 وعمره تسعون عاماً . وهو أول من تلقب بأمرير المسلمين . أنظر أخباره في الحلال ص 13 - 68 وأعمال الاعلام ص 283 - 252 والقرطاس ص 93 - 109 والاستقصا ج 2 ص 21 - 55 .

رابعاً ، المنافسة التي كانت بين قبيلة صنهاجة المرابطية وقبيلة المصامدة الجبلية على زعامة البلاد واستغلال المهدي لهذه المنافسة ولجوءه إلى القبيلة المصمودية التي آمنت به وناصرته ، يدعو لمذهبه وينشر فكرته في كثير من الأمن والاطمئنان (8) .

\* \* \*

كان لا بد لهذه الأسباب وما نتج عنها من ضعف والتحلال ظهرت بوادرها في مختلف مجالات السياسة والاقتصاد والحياة الفكرية والاجتماعية - أن تجعل الناس يضيعون بالوضع ويصرفون النظر عن هذه الدولة ويتوقون إلى من يخلصهم من براثن طغيانها وفسادها ، وبالتالي ينضمون للمهدي ويصفون لدعوته التي كانت تنتشر بسرعة أفلقت السلطات ، واضطرت الأمير ابن يوسف - بعد استدعائه وفشل الفقهاء في مناظرته - (9) إلى إرسال حملة تأديبية فشلت في القضاء على حركته التي أخذ يتسع نطاقها . وتوالت الجيوش والحملات ، ودخل المهدي في حرب منظمة كان قد هيا لها العدة والرجال ، سواء في المجال العسكري أو الفكري ، حيث كان العلماء الميالون إلى الحكمة والفلسفة أسبق من غيرهم إلى

( 8 ) أنظر التفاصيل في القرطاس ص 124 والاستقصا ج 2 ص 68 .

( 9 ) أنظر ما دار بين المهدي والفقهاء المرابطين في أخبار المهدي للبيدق ص 67 وأعز ما يطلب ص 4 والمعجب ص 184 - 185 والسكامل لابن الأثير ج 8 ص 295 - 296 ووفيات الاعيان لدى ترجمة المهدي في الجزء الثاني والقرطاس ص 121 - 122 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 227 والاستقصا ج 2 ص 75 - 76 والاعلام لابن ابراهيم ج 2 ص 360 ودائرة المعارف الاسلامية م 2 ص 451 - 453 ومراكش لدوفردان Deverdun ج 1 ص 151 وتاريخ أفريقيا الشمالية ( من الفتح إلى 1830 ) لجوليان Tulien ص 92 .

الالتفاف حول المهدي لفتحها باباً كان مغلقاً بسيطرة الفقه المالكي ، حتى من كان منهم لا يؤمن بكل ما جاء به مذهب ابن تومرت . ولكن المنية عاجلت المهدي فتوفي قبل أن يتم له الانتصار (10) . وخلفه صديقه عبد المؤمن (11) فواصل محاربة المرابطين(12) إلى أن تمت له الغلبة والنصر فاتسم بالحليفة وتلقب بأمر المؤمنين . ولم يقنع بذلك ، فصرف عزمه إلى توسيع حدود دولته ، وخرج سنة أربع وثلاثين وخمسةائة في حملة دامت سبع سنوات لم يرجع منها إلا بعد أن تم له فتح المغرب الأقصى والأوسط . وتناقت نفسه لتوحيد المغرب العربي الكبير ، خاصة وقد ضعف أمر دولة بني زيري (13) التي كان قد استقر لها الحكم في المغرب الأوسط ، فوجه حملة برية وبحرية سنة أربع وخمسين وخمسةائة مكنته من فتح تونس وليبيا حيث وصلت فتوحاته إلى حدود مصر (14) . ففي

- 
- 10 ( توفي المهدي سنة 524 وكانت الحرب قد بدأت سنة 515 . انظر أخبارها في تاريخ البيهقي ص 74 - 77 والحلل ابتداء من ص 90 .
- 11 ( هو عبد المؤمن بن علي الكومي بويص سنة 524 وتوفي سنة 558 ، أنظر خبر اتصاله بالمهدي في تاريخ البيهقي ص 55-57 والدعوة الموحدية ص 88-96 . وانظر أخباره عند البيهقي حتى ص 121 وفي الحلال ص 117-131 ومغرب ابن عذاري ج 3 ص 12 - 58 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 229 - 238 وتاريخ أفريقيا الشمالية لجولييان ص 193 وكتاب مراکش لدوفردان ج 1 ص 157 .
- 12 ( انظر تفاصيل حروب المهدي وعبد المؤمن مع المرابطين في المعجب ص 192 - 194 والقرطاس ص 123 - 125 والاستقصاج 2 ص 78 - 84 .
- 13 ( اسم أسرتين بربريتين حاكمتين احدهما بالمغرب - وهي المعنية - والثانية بالأندلس ، وهي فرع من الأولى ، وكانت لها إمارة مستقلة عاصمتها غرناطة ، وذلك بعد تفكك أروال الخلافة الأموية في قرطبة .
- 14 ( أنظر انتشار كلمة الدعوة الموحدية وترقب الناس لها في مصر عند ابن جبير في رحلته ص 22 - 23 - 49 - 50 .



المعجب أنه « تم لعبد المؤمن رحمه الله ملك أفريقية كلها منتظماً إلى مملكة المغرب فملك في حياته من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس ، وهذه مملكة لم أعلمها انتظمت لأحد قبله منذ اختلت دولة بني أمية إلى وقته » (16) . وفي الحلال أنه « قد كمل له بملك أفريقية مسيرة أربعة أشهر من المشرق إلى المغرب ومن طرابلس إلى أقصى السوس ومن الجنوب إلى الشمال في عرض المواضع من قرطبة إلى سجلماسة خمسة وعشرين يوماً » (16) وكان لا بد لعبد المؤمن أن يولي اهتماماً كبيراً لأُمور الأندلس - وكان الأعداء قد اغتتموا ظروف الانقلاب الموحدوي وأغاروا منها على بلاد كثيرة - فأرسل إليها جيشاً قضى على هذه الأطماع ، وجاز إليها سنة ست وخمسين وخمسمائة ليشرف بنفسه على أحوالها ، وعاد وقد تم له إخضاع غرب هذه البلاد (17) . وقصد الأندلس مرة أخرى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة لاستكمال فتوحاته فيها ولكن المرض فاجأه فتوفي وهو في طريقه للجهاد ، فخلفه ابنه يوسف (18) الذي استطاع أن يحافظ على هيبة الدولة ويحفظ مكانها في العدوتين ، بل انه جاز إلى الأندلس مرتين وغزا بنفسه وأحرز انتصارات كثيرة . وتناقت إلى الثورة نفوس بعض الولاة في أفريقية ، لاسيما بعد وفاة يوسف سنة ثمانين وخمسمائة

15 ( ص 230 .

16 ( ص 130 .

17 ( وهو الذي يضم الجزيرة الخضراء ومالقة وغرناطة ورندة وقرطبة واشيلية .

18 ( بويغ سنة 558 وتوفي سنة 580 أنظر أخباره في الحلال 131 - 132 والبيان المغرب

ج 3 ص 58 - 140 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 238 - 246 ومراكش لدورفردان

ج 1 ص 199 .

ولكن ابنه يعقوب المنصور (19) استطاع أن يخمدها . واغتم النصارى هذه الفرصة فعاودتهم الأطماع واستولوا على عدة مدن ، فما كان من المنصور إلا أن جهز جيشاً جاز به إلى الأندلس حيث كانت سنة إحدى وتسعين وخمسة مائة معركة الأرك المشهورة التي وطدت لدولة الإسلام في هذه البلاد . ولكن الهزيمة لم تفت في عضد الأعداء فبرزوا مرة أخرى بعد وفاة المنصور عام خمسة وتسعين وخمسة مائة ، فجهز لهم الناصر (20) جيشاً لم يستطع رغم عظمته أن يفوز بالناصر ، فقد كانت تنقصه القيادة والتدبير فهزم في وقعة العقاب (21) التي كان لها أكبر الأثر في التعمجيل بسقوط الأندلس وبالتالي سقوط دولة الموحدين . فالخليفة الجديد يوسف (22) كان من الضعف بحيث لم يستطع مواجهة الأعباء ، وجاء بعده عبد الواحد (23) وعبد الله (24) . . . . .

---

(19) بربيع سنة 558 وتوفي سنة 595 . انظره في الحلال 132 - 134 ومغرب ابن عذارى ج 3 ص 140 - 211 وتاريخ شمال افريقيا لجوليان ص 112 ومراكش لدوفردان ج 1 ص 208 وكتاب عصر المنصور لمحمد الرشيد ملين .

(20) هو أبو عبد الله الملقب بالناصر بربيع سنة 595 وتوفي سنة 610 أنظر فيه مغرب ابن عذارى ج 3 ص 211 - 243 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 246 - 250 وتاريخ شمال افريقيا لجوليان ص 116 .

(21) كانت هذه الوقعة سنة 609 .

(22) هو أبو يعقوب يوسف بن محمد الملقب بالمستنصر بربيع سنة 610 وتوفي سنة 620 أنظر اخباره في مغرب ابن عذارى ج 3 ص 243 - 247 وانظر اخبار الموحدين أثناء ولايته فما بعد في تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 250 - 262 .

(23) هو أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بربيع سنة 620 ولم يستقر له الأمر غير شهرين ثم خلع وقتل وهو أول مخلوع ومقتول في الموحدين وكان مقتله سنة 621 أنظر أخباره في ابن عذارى ج 3 ص 247 .

(24) هو أبو محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعاقل بربيع سنة 621 وطلب منه منافسوه =

. . . والمأمون (25) والرشيد (26) والسعيد (27) والمرضى (28) وادريس (29) ،  
 وكلهم إخوة أو أولادهم ، شغلوا بأنفسهم ومحاربة بعضهم ، فضاعت مصالح  
 الدولة وتفككت وأصالتها (30).

\* \* \*

وإذا كان بعض الباحثين يرون أن الحركة الموحدية بدأت دينية لا تطمع في شيء وأن المهدي « كان مخلصاً في دعوته أشد الإخلاص وأنه لم يكن يهيمه ملك ولا دنيا إلا بلوع قصده في محاربة الفساد وتجديد الدين . . . وأنه كان صاحب فكرة إصلاحية عمل لتنفيذها بالوسائل المألوفة قبل أن يكون طالب ملك يرتكب كل محذور للحصول عليه » (31) فإننا نرى أنها بدأت أشبه ماتكون بالحزب السياسي أو التنظيم الثوري الذي يدفعه الطمع في السيطرة والحكم إلى النعمة على الأوضاع والتخطيط لمحاربتها وتقويضها . حقاً ان المتتبع لحياة المهدي

---

= التنازل فرفض وقال لهم : « اصنعوا ما بدا لكم فوالله لا أموت إلا أمير المؤمنين »  
 فوضعوا رأسه في فسقية ماء حتى مات مخنوقاً وذلك سنة 624 .

(25) هو أبو العلاء ادريس بن المنصور انقلب بالمأمون ببيع سنة 624 وتوفي سنة 629 انظره  
 في الجلل 136 - 139 .

(26) هو عبد الواحد الرشيد بن المأمون ببيع سنة 630 ومات غريقاً في أحد صهاريج  
 بستانه براكش سنة 640 .

(27) هو أبو الحسن علي المدعو السعيد والملقب بالعتضد ببيع سنة 640 ومات مطعوناً  
 سنة 646 .

(28) هو أبو حفص عمر المرضى ببيع سنة 646 وقتل سنة 656 .

(29) هو أبو العلاء ادريس ولقبه أبو دبوس الائق بالله المعتمد على الله ببيع سنة 665 وقتل  
 سنة 674 وبقتله انقضت دولة الموحدين .

(30) أنظر أخبار نزاعات الموحدين في مغرب ابن عذارى ج 3 ابتداء من ص 248 .

(31) النبوغ ج 1 ص 100 .

وما صاحبها من حوادث وأحداث لا يرى من خلال تسلسلها غير عالم مصلح حفزته أهداف دعوته الدينية إلى خوض غمار السياسة ، ولكن قليلاً من التعمق في حياة الرجل ومحاولة الربط بين مقومات دعوته والتنظيم الدقيق لأتباعه والاستعداد الكامل لمحاربة جيش الدولة ، كل هذه أشياء تجعلنا لا نشك في أن المهدي بدأ حركته وقد وضع مخططاً ثورياً لنسف حكم المرابطين وإقامة حكم جديد على أنقاضه . فمن تنظيماته أنه صنف أتباعه طبقات ، فالعشرة الذين بايعوه أول الأمر وخرجوا معه من مراکش يسميهم الأصحاب والجماعة ، ويتبعهم في الرتبة أهل الخمسين ، وهم خمسون رجلاً يؤلفون مجلساً يمثلون كافة القبائل . وهكذا تستمر السلسلة على حد ما نقرأ في الحلل من أنه حين و أخذ أتباعه يتأهبون للحرب جعل على كل عشرة منهم نقيباً وصنفهم أصنافاً فالصنف الأول أصحاب العشرة والصنف الثاني أهل الخمسين والصنف الثالث أهل السبعين والصنف الرابع الطلبة والصنف الخامس الحفاة وهم صغار الطلبة والصنف السادس أهل الدار والصنف السابع أهل هرغة والصنف الثامن أهل تينال والصنف التاسع جدميوة والصنف العاشر أهل جنفيسة والصنف الحادي عشر أهل هنتاتة والصنف الثاني عشر الجند والصنف الثالث عشر الغزاة والرماة . ولكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعدها غيرهم لا في سفر ولا في حضر لا ينزل كل صنف إلا في موضعه لا يتعدها فانضبط مراده وأقاموا على ذلك مدة حياته (32) .

ومن تحليل هذه السلسلة يبدو أن التنظيم الموحد في الميدان الإداري والعسكري كان قوياً ومتماسكاً ، وأنه سار في اتجاهين : أحدهما فكري نخبوي للعمل المذهبي والثاني جماهيري للعمل المسلح .

(32) ص 89 وانظر أتباع المهدي وأصنافهم مفصلة قبائلهم وبعض أسماهم في المقتبس 32 - 48 وأخبار المهدي 73 والمعجب 188 وأعمال الاعلام 268 - 269 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 470 والدعوة الموحدة 178 - 179 .

وكان لابد للمهدي أن يلجأ إلى الدين وإلى أصول الشرع ليهاجم حكم المرابطين ويقوض دعائه الفقهية القائمة على علم الفروع . وكان لابد كذلك أن يتصل مباشرة بجمهير الشعب يعمبها ضد المرابطين(33) ويكون منها قاعدة لحرركه ، يساعده في ذلك إتقانه للعربية والبربرية معاً ومخاطبته للناس بما يفهمون حيث « كان أفصح الناس في اللسان العربي واللسان البربري ينقل به إليهم المواعظ والأمثال ويضرب لهم المقاصد فجذب نفوسهم واستجلب قلوبهم وسهل عليهم التعليم بنفسه وبأعيان أصحابه(34) » .

ويتضح لنا إلتاح الجانب السياسي علي المهدي في أمرين :

أولهما لجوءه إلى البربرية وسيلة للاتصال بالجمهير ، مما نشأت عنه ظاهرة الازدواج اللغوي كما سنرى في فصل لاحق .

والثاني اعتماده - للإقناع بشرعيته والتثبيت لها - على مبادئ الشيعة المتصلة بالمهدوية والعصمة . وقد استغل المهدي - حين أدار مذهبه في الجانب السياسي على هذه المبادئ - حب المغاربة القوي وارتباطهم القديم بآل البيت ، كما استغل عدم جدة الأفكار الشيعة عليهم .

على أن المهدي لم يكن يتردد - عند عجز منطق دعوته - في اللجوء إلى حيل الشعوذة والتدجيل ، على حد ما فعل حين أمر صاحبه عبد الله الونشريسي بكتم علمه وفصاحته وفضله وإظهار الجهل واللكن والتعري عن الفضائل « لنتخذ الخروج عن ذلك - كما يقول المهدي - واكتساب العلم والفصاحة

---

(33) أنظر ما كتبه المهدي في « أعز ما يطلب » تحت عنوان ( باب في بيان طوائف المبطلين

والمؤمنين والجسمين وعلاماتهم ) ص 258 .

(34) الحلل ص 90 .

دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه فنصدق فيما نقول (35)». كما أنه لم يكن يتردد في اللجوء إلى اتباع أساليب القسوة والعنف . فقد ذكر ابن الأثير (36) أن أصحاب المهدي كانوا يقدمون له لوائح سوداء بأسماء الأشرار المناوئين يختار منها ومن لائحة يضعها بنفسه من يقدمون يوم التمييز . وعند البيهقي أنه أمر بالميز في آخر أيام غزوه « فكان البشير (37) يخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحدين حتى امتاز الخبيث من الطيب ورأى الناس الحق عياناً وازداد الذين آمنوا إيماناً وذاق الظالمون النار فظنوا أنهم واقعوها وما لهم عنها من محيص . وكان تمييز البشير للخلق من يوم الخميس إلى يوم الجمعة بعد أربعين يوماً (38) » .

والمتتبع في عمق حياة المهدي لا يلبث أن يلاحظ أن هذه الحياة تدرجت في خمس مراحل :

أولاً : بدأ أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يتلمس طريقه ويحاول الاحتكاك بالجاهل .

ثانياً : برز فقيهاً يفرض وجوده بمجادلة فقهاء المرابطين بمراكش .

ثالثاً : أصبح أستاذاً في أغمت يلتف حوله الطلاب الذين منهم كان يختار الأتباع .

رابعاً : أخذ يكون من تلاميذه ومريديه خلايا كانت نواة حزب سياسي .

---

(35) وفيات الأعيان ج 2 ص 38 وانظر في القرطاس 128 بعض حيله الإجرامية .

(36) في حوادث سنة 514 .

(37) صاحب المهدي .

(38) تاريخ البيهقي ص 78 وانظر كذلك الحديث عن عملية التمييز في الدعوة الموحدية ص 221

خامساً : أعلن عن زعامته .

\* \* \*

وإذن فلم تكن دعوة المهدي مجرد دعوة دينية وإنما كانت حركة ثورية سياسية منظمة عملت بمختلف الوسائل على قلب الحكم المرابطي ، ولم يكن انتصارها مجرد انتصار مذهب ديني على مذهب آخر بل كان انتصار نظام حكم على نظام مقبوض قامت على أنقاضه دولة بلغت ذروة مجدها على عهد عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب المنصور الذين استطاعوا بجنونتهم وقوة شخصيتهم أن يوسعوا رقعة الثورة الموحدية وأن يبنوا هذه الثورة ويثبتوا دعائمها بما يقوي مركز الدولة . فعبد المؤمن يعنى بالجيش وينشئ صناعة الأسلحة ويأمر بأن تنشأ في جميع سواحل البلاد أساطيل حربية بلغ عددها أربعمئة قطعة (39) . أما يوسف فقد عرفت الدولة على عهده ازدهاراً مالياً كبيراً تمثل في الدينار اليوسفي حيث « استغنى الناس في أيامه وكثرت في أيديهم الأموال (40) » . وأما المنصور فقد قوى إنشاء الأساطيل في أيامه وكثرت مصانعها ومدارس التدريب عليها لدرجة أن صلاح الدين الأيوبي استغاثه واستنجد بأساطيله في محاربة الصليبيين بالشام (41) . وقد نشطت على عهد المنصور جميع فروع الصناعة إلى حد كان في مدينة فاس وحدها اثنا عشر مصنفاً لسبك النحاس وثلاثة آلاف مصنع نسيج وسبعة وأربعون مصنع صابون وأحد عشر مصنفاً للزجاج وأربعمئة مصنع للكاغذ وعشرات غيرها من المصانع المختلفة التي تكشف عما

---

(39) القرطاس 141 .

(40) المعجب 238 .

(41) انظر مقدمة ابن خلدون ص 222 والاستقصا ج 2 ص 162 ،

بلغته الدولة من تفوق حضاري كان يسير جنباً إلى جنب مع تقدم الإنشاءات الحربية التي تجلت في استعمال البارود وصناعة المجانيق والدبابات (42) .

وهذا يتضح لنا أن عهد الموحدين - وخاصة في ظل الخلفاء الثلاثة - شهد ازدهاراً اقتصادياً (43) تجلّى في هذه المظاهر الأربعة :

أولاً : كثرة المصانع سواء في المغرب أو الأندلس .

ثانياً : التبادل التجاري مع مختلف أقاليم حوض المتوسط حيث كانت للموحدين مكاتب تجارية «فنادق» في بعض مدن فرنسا وإيطاليا ، أهمها مرسيليا وجنوه والبندقية .

ثالثاً : عملة قوية (44) .

رابعاً : اسطول تجاري بحري تعززه صناعة السفن .

ولكن بوادر الانهيار لم تلبث أن ظهرت على دولة الموحدين وهي بعد في أول الطريق ، ومن أسباب هذه المظاهر :

أولاً : استبدال الأشيخ والولاية بالحكام .

ثانياً : الحروب في الأندلس وانهزام الموحدين في وقعة العقاب وما نتج عنه

---

(42) أنظر تفاصيل هذه النهضة الصناعية بالقرطاس ص 28 وتقدم العرب ص 147 - 166 - 250

(43) انظر في الحالة الاقتصادية لمراكش على عهد الموحدين كتاب دو فردان ج 1 ص 278 -

. 287

(44) انظر بحثاً حول الدرهم الموحدية في مجلة هسبرس 1 - 2 Fas 1933 trim 3 o 1

Hespéris



من تقلص ظلهم في الأندلس إلى حد استنجد الخلفاء (45) بالأمرء  
الاسبان ضد منافسيهم في الحكم وقبولهم لشروط هؤلاء الأمرء  
ومساوماتهم (46) واستعانتهم بجنود من المرتزقة المسيحيين في  
جيشهم لمواجهة الفتن والثورات التي كانت تقوم ضدهم وخاصة  
في افريقيا .

ثالثاً : ضعف الجاذب الاقتصادي نتيجة تقلص الطرق التجارية وحركة  
المراكز والموانئ .

رابعاً : الأزمة المالية المتمثلة في انهيار العملة .  
خاصاً : فتور الروابط بالشعب نتيجة سياسة القمع المتجلية في الأحكام  
التي كان يصدرها الخلفاء بإعدام مناوئهم ومخالفهم دون تردد .

سادساً : انهيار الايديولوجية الموحدية التي كانت العمود الفقري للدولة ،  
في وقت كان الفقهاء المالكيون يقومون بتحركات سواء في المغرب  
أو الأندلس . فحركة المنصور ثم المأمون - كما سنرى بعد- لا يمكن  
أن تفسر إلا بأنها عملية رد النفس للدولة ، وكان يمكن لها أن تنجح  
لو توفرت لها الأطر مثلما توفرت لدعوة المهدي .

كل هذه أسباب جعلت أوصال الامبراطورية الموحدية تتفكك وتنحل  
لترتها دويلات هي :

أولاً : المرينية في المغرب الأقصى (47) .

---

(45) يعتبر المأمون أول من فعل ذلك .

(46) أنظر القرطاس ص 178 - 179 .

(47) 874 - 869 هـ ( 1275 - 1464 م )

ثانياً : الزناتية في الجزائر أو المغرب الأوسط (48) .

ثالثاً : الحفصية في تونس او افريقية (49) .

\* \* \*

نعود إلى التيار المذهبي الذي سلك المهدي في ثورته ضد المرابطين فنرى أن الحديث عنه يقتضي منا أن نلقي نظرة على الحركات الدينية السابقة وما كانت تدعوله من أفكار - وفدت من المشرق في أغلبها - عسى أن نكشف من خلالها مدى تجاوب المغاربة مع أحداث الشرق الدينية ومدى تقبلهم للتيارات المذهبية التي كانت تصاحب هذه الأحداث .

والإسلام حين دخل إلى المغرب (50) أول الأمر على يد عقبة بن نافع (51) كان بسيطاً خالياً من كل خلاف أو تعقيد ، مما جعل البربر يتأثرون بمبادئه ويقبلون عليه . وكذلك كان حين استقر بعد ذلك في عهد موسى بن نصير واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، وبدأ يتغلغل في نفوسهم لما رأوا من يسر مبادئه وسموها ، ومن عدل القائمين على شؤونها ، وكانوا قبل ذلك - على حد قول ابن أبي زيد القيرواني - قد « ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز موسى بن نصير إلى الأندلس بعد أن دوخ المغرب وأجاز معه كثيراً من رجالات البربر وأمرهم برسم الجهاد ، فاستقروا هنالك من لدن الفتح

---

(48) 633 - 737 هـ ( 1236 - 1337 م )

(49) 626 - 981 هـ ( 1228 - 1574 م )

(50) أنظر أخبار الفاتحين والولاة الأول في الاستقصا ج 1 ص 78 - 136 .

(51) قائد الجيوش العربية إلى افريقيا في خلافة معارية من سنة 50 إلى 55 ثم في خلافة ابنه

يزيد من 60 إلى 64 .

فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة(52) .

وكان نتيجة لهذا الاستقرار أن اطمأن المغاربة للدين الجديد ، وزال موقنا ما كان في قلوبهم ضد العرب من نفور ، وزاد الاتصال بالشرق الذي أخذت أصداء أحداثه تتردد في المغرب ، وبدأت فئات الخوارج المنهزمة في المشرق ، وخاصة منها الإباضية والصفورية (53) تفد عليه من العراق تحاول الترويج لمذهبها الذي وافق مزاج البربر وناسب وضعهم السياسي والاجتماعي ، حيث كانوا يعارضون به كل من يحاول أن يفرض عليهم سيادة عنصرية أو مذهبية .

ولعل الدور الذي لعبه الخوارج في بقية بلاد الشمال الافريقي كان أكثر قوة وفعالية من دورهم في المغرب ، لاسيما في ليبيا وتونس ( طرابلس وافريقية ) حيث كاد صراع الإباضيين مع العرب السنيين أن يززع كيان الخلافة ويحث على الاستقلال . وكان بالفعل أن تأسست دولة في تاهرت بالجزائر (المغرب الأوسط) تحت لواء الأسرة الرستمية التي أستطاعت أن تحفظ لهذه الدولة كيانها طوال قرن ونصف إلى أن هزمها الفاطميون بقيادة أبي عبيد الله الشيعي فتشتت الإباضيون في مناطق مختلفة من تونس والجزائر وما زالوا يعمشون بها حتى اليوم.

وربما كان عدم تسرب المذهب الخارجي إلى المغرب يمثل هذا المد العنيف يرجع فيما نعتقد إلى الدولة الادريسية التي عاصرت الدولة الرستمية والتي كان لها من القوة ما مكنها ليس فقط من بسط نفوذها في المغرب ، وإنما كذلك من مزاحمة جيرانها بني يفرن لدرجة أنها أستطاعت أن تنزع منهم مدينة تلمسان .

---

(52) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110 .

(53) اتباع عبدالله بن اباض، وهم اكثر فرق الخوارج اعتدالا، والصفورية أتباع زياد بن الأصفر.

كذلك بدأ المذهب الشيعي يتسرب إلى قلوب البربر ويجد بعض الإقبال ، ولكنه إقبال غير ناتج عن اقتناع فكري بالمذهب وإنما هو ناتج عن عطف على العلويين وإشفاق عليهم مما أنزل بهم الامويون والعباسيون من نكبات كانت تتردد أصدائها في المغرب فتجد لها مكاناً رحباً في نفوس البربر ، لاسيما وهم ما يزالون حديثي عهد بالإسلام . وليس هذا بغريب ، فالمغاربة كانوا دائماً يحبون آل البيت ويحلمون علياً وابنيه ، وربما فضلوه على من سبقه من الخلفاء .

وتتجلى مظاهر حب المغاربة لآل البيت واضحة في الترحيب الذي لقيه المولى ادريس اثر فراره من وقعة فح سنة 169 هـ على عهد الهادي العباسي وتنازل عبد الحميد بن اسحق الأوربي عن أمارته له في وليلي ودعوته للقبائل أن يبايعوه . وليس مستبعداً أن يكون المولى ادريس - وهو علوي مناضل - قد حمل بعض مبادئ الشيعة إلى المغرب مما قد يدل على اتصال الحركة الشيعية بالمغرب قبل ظهور الداعية الاسماعيلية أبي عبيد الله المهدي مؤسس دولة العبيديين في الشمال الافريقي . وليس مستبعداً كذلك أن يكون قد وجد القبيلة الأوربية تتمذهب بالاعتزال الذي يبدو أنه تسرب للمغرب في هذا الوقت ، مما قد يستنتج منه انتشار المذهب الاعتزالي قبل حركة المهدي بن تومرت ، ان كانت تعتبر هذه الحركة اعتزالية كما سنبين بعد . ولكن الذي لاشك فيه أن الادارة لم يكونوا من المعتزلة ولا من الامامية أو الاسماعيلية ، ولم يكن لهم مذهب معين في الشيعة وانهم لذلك لجأوا إلى السنة والى المالكية خاصة .

والواقع أنه قبل انتشار مذهب مالك وفي الوقت الذي كانت تتسرب مبادئ الشيعة والخوارج إلى المغرب والشمال الافريقي ، كان الاتجاه غالباً لفقهِ أبي حنيفة . فقد ذكر ابن خلكان في ترجمة المعز بن باديس أن مذهب أبي حنيفة كان أظهر المذاهب في المغرب إلى أن جاء المعز «فحمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك بن أنس رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في

المذهب (54) . وفي مقدمة كتاب الفقه على المذاهب الأربعة أن « افريقية كان الغالب على أهلها السنن إلى ان قدم اليها عبد الله بن فروح أبو محمد الفارس فنقل إليها مذهب أبي حنيفة(55) » . وفي ترتيب المدارك يقول القاضي عياض : « وأما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد وابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفسو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في اصحابه فشاع في تلك الأقطار(56) » .

ومها يمكن فقد تعرض المغرب في هذه الفترة ، ومع بداية تأسيس الدولة الادريسية ، لصراع بين الشيعية والخارجية والسننية وصراع آخر بين الحنفية والمالكية انتهى بانتصار المذهب المالكي في جزء كبير من المغرب وانتصار الامامية في بقية بلاد الشمال الافريقي . ومن المؤكد أنه حين أخذ ينتشر في المغرب على هذا العهد ، كان وافداً إليه من الأندلس حيث ظهر أول الأمر وحيث كان مذهب الاوزاعي سائداً . فعند القاضي عياض أن أهل الأندلس كانوا منذ الفتح « على رأي الاوزاعي إلى أن رحل الى مالك زياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغاز بن قيس ومن بعدهم فجاءوا بعلمه وابانوا للناس فضله واقتداء الامة به فعرف حقه ودرس مذهبه (57) » .

ويرجع انتشار المذهب المالكي في المغرب والأندلس لأسباب نستطيع أن نذكر منها :

---

(54) وفيات الأعيان ج 1 ص 137 .

(55) ص 27 .

(56) ج 1 ص 25 - 26 المغرب

(57) المصدر السابق .

أولاً : ما ذكره ابن خلدون من أن رحلة المغاربة والأندلسيين « كانت غالباً الى الحجاز وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ، ولم يكن العراق في طريقهم فاقترضوا على الأخذ عن علماء المدينة وشيوخهم يومئذ وامامهم مالك ... فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته (58) » .

ثانياً : ما ذكره ابن خلدون كذلك من أن البداوة « كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكاتبوا الى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصاً عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب (59) » .

ثالثاً : ماورد في النفع لدى ترجمة الفقيه يحيى بن يحيى الليثي من أن ابن حزم قال : « مذهبنا انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة ، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية ، فكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين لمذهبه ، ومذهب مالك عندنا بالأندلس ، فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاء وكان لا يلي قاض في اقطار الأندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه (60) » .

---

(58) المقدمة ص 375 .

(59) نفس المصدر .

(60) النفع ج 1 ص 328 .

رابعاً : طبيعة المذهب نفسه ، فهو من جهة لا يعتمد المنطق والقياس بقدر ما يعتمد على النص والنقل مما يجعله يتفق وهزاج المفارقة الذي ينفر من الفلسفة والتفريع ويتمسك بالآثر والرواية ، وهو من جهة أخرى يدعو الى العزوف عن السلطة - واعني السلطة الأجنبية وأما الوطنية فإنه يتعاون معها إلى اقصى حد كما يثبت عهد المرابطين - وهو في هذا يوافق الطبيعة المغربية التي تميل إلى الاستقلال وعدم الخضوع لأية سيطرة خارجية . وقد يكون في هذا الجانب كذلك بعض التبرير لانتصار المالكية على الحنفية التي كانت على عكس المالكية وإلى جانب قولها بالرأي تتقرب للحكم وتقبل تولي مناصب الفتيا والقضاء (61) .

وإذا كان المذهب المالكي قد انتقل إلى المغرب في عهد الأدارسة فإن انتشاره قد عم في عهد المرابطين وعلى يد داعيتهم عبد الله بن ياسين الذي أوفده أبو عمران الفاسي بطلب من أحد زعماء صنهاجة هو يحيى بن ابراهيم الجدالي ليهدي الناس ويرشدهم إلى أمور الدين . وربما يكون ابن ياسين قد اتصل فقط بالفقيه المالكي المغربي وجاج بن زلو الذي يبدو أن شيخه أبا عمران قد انتدب لتفقيه داعية المرابطين في المذهب . وزاد في انتشار المذهب وتعصب المرابطين له كراهيتهم للشيعنة وخاصة يوسف بن تاشفين الذي كان لا يعترف بدولة الفاطميين في مصر والشام في الوقت الذي يمد يده لاعدامهم العباسيين (السنين).

---

(61) بما قد يدخل في نطاق الأسباب ما ذكر المقدسي في أحسن التقاسم من أن فريقين من الحنفية والمالكية تناظروا يوماً أمام السلطان فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة . فقال : ومالك ؟ قالوا : من المدينة قال : عالم أهل المدينة يكفينا وأمر باخراج أصحاب أبي حنيفة ، وقال : لا أحب أن يكون في عملي مذهبان .

وحتى هذا العهد ، كان ما يزال للروافض بعض المراكز والأتباع ، فقد « كان بتارودانت قوم من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين إلى عبد الله البجلي الرافضي الذي كان قدم إلى السوس حين قدم عبد الله الشيعي لأفريقية فأشاع هناك مذهبه فورثوه بعده جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن لا يرون الحق إلا ما في أيديهم ، فقاتلهم عبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة ، وقتل بها من الروافض خلق كثير فرجع من بقي منهم إلى السنة (62) ، ومعروف أن الروافض من شيعة الكوفة الغالين ونستطيع أن نضمهم مع الإمامية ، وكانوا قد رفضوا بيعة زيد بن علي بن الحسين ولم يرضوا أن يخرجوا معه سنة 121 هـ بعد أن تبين لهم أنه ينهى عن الطعن في الصحابة وأنه لا يبرأ من الشيعين .

ولعل الحركة البجلية هذه كانت آخر آثار المذهب الشيعي في المغرب حيث يبدو أن اختفائه منه يرجع لعدم استعداد المغاربة الفكري للاقتناع ببدعه وغيبياته ولعقليتهم الثورية التي كانت لا ترضى عن وسائل العنف التي كان يسلكها الفاطميون في نشر مذهبهم . وإذا كان المذهب قد اختفى من المغرب فهو قد انتقل إلى الأندلس وظل يعمل في الحفاء إلى أن نهض على عهد الحموديين في قرطبة . ولكن الحموديين - كالأدارسة ويرجع نسبهم إليهم - لم يكونوا يحاولون نشره بالمعنى المعروف عند المشاركة ولم يكن لهم مذهب معين في الشيعة .

\* \* \*

ظل المغرب طوال عهد المرابطين يحمل لواء المذهب المالكي إلى أن ظهر ابن تومرت (63) يدعو لمذهب جديد . وابن تومرت - وأصله من قبيلة هرغة

(62) القرطاس 88 .

(63) في الحلال أنه « كان يقال لوالده تومرت وأمفار وأسافو ومعناه بلسان البربرية الضياء لإفادة الضياء في المسجد » ص 85 .



المصمودية - يسمى محمد بن عبد الله . ويستمر البيدق في ذكر سلسلة نسبه فيقول انه « ابن وگليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عميد الله بن ادريس بن الحسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلعم (64) » . بدأ دراسته في المغرب ثم رحل (65) طالباً للعلم في الأندلس والشرق « حيث انتهى إلى بغداد ولقي أبا بكر الشاشي فأخذ عليه شيئاً من أصول الفقه وأصول الدين وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبار ونظرائه من المحدثين (66) » واجتمع « بالكيا الهراسي والطرطوشي (67) » وغيرهم من العلماء والأئمة (68) الذين جالسهم وأفاد مما كانت

(64) المقتبس ص 21 وأنظر نسب المهدي في نظم الجمان 34 . وإذا كان البيدق وكذلك المراكشي يقبلان نسبه فإن ابن ابي زرع وابن خلدون يشكان فيه . أنظر أخبار المهدي في الكتب التي تحدثت عن الموحدين وأنظر ترجمته خاصة في كتاب البيدق وجزء من نظم الجمان والقسم الثالث من أعمال الاعلام ص 266 - 271 ووفيات الاعيان ج 2 وأزهار البساتين ص 77 - 134 والدعوة الموحدية . ويعتبر تاريخ البيدق من أوثق مصادرنا عن المهدي ولكن ما وصلنا منه لا يتحدث فيه عنه إلا ابتداء من وصوله إلى تونس في طريق العودة . وهذا ما يجعل كثيراً من الغموض يتصل بحياته ابتداء من تاريخ ميلاده الذي لم تشر إليه كثير من المصادر المهمة مثل المعجب والقرطاس . وإذا كان ابن خلكان يؤرخ لولادته في سنة 485 فان الأنسير يراها بين عامي 469 و 473 على أساس انه حين توفي سنة 524 كان عمره ما بين 51 و 55 عاماً .

(65) انظر رحلة المهدي إلى المشرق في المصدر السابق ص 3 ولعل خروجه من سوس كان سنة 501 .

(66) المعجب 178 .

(67) وفيات الاعيان ج 2 ص 37 . والهراسي هو أبو الحسن علي محمد بن علي الفقيه الشافعي ، كان يدرس بالنظامية في بغداد . توفي سنة 504 اما الطرطوشي فهو ابو بكر محمد بن الوليد صاحب كتاب « سراج الملوك » ولد في طرطوشة سنة 451 ورحل الى المشرق في طلب العلم سنة 476 فدرس في بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وانتهى به المطاف في الإسكندرية فأقام بها الى ان توفي سنة 520 .

(68) انظر شيوخ المهدي المشاركة في الحلال 85 وانظر دراسة عامة في الدعوة الموحدية ص 57-80

تزخر به حلقاتهم من جدل عقلي ودراسات فلسفية لم يكن له عهد بها من قبل ، وعاد إلى وطنه وقد صمم العزم على الثورة والإصلاح ومناهضة الفروع والفقهاء يدعو لمذهب هو مزيج من الأشعرية ومبادئ الشيعة الإمامية . فهو يعتقد في العصمة والإمامية وينتصر للعقائد السلفية والدفاع عنها بالحجج العقلية ويحلل فكرة تنزيه الله وابعاد أية شبهة عن ذاته توحى بالتشبيه (69) ويدعو إلى تأويل المتشابه من الآيات (70) والأحاديث (71) حتى لا يقع في التجسيم الذي يرمي به المرابطين ، يقصد تشبيه الذات الإلهية بالحدوث مما يضيء صفة الوجود المادي على هذه الذات باعتبارها واقعا ماديا مجسما ملموسا له حيز في المكان . ومن هنا سمى أتباعه بالموحدين ، قصده من التسمية انهم ينزهون الله تعالى عن مشابهته لخلقه في الذات والصفات . يقول ابن خلدون متحدثا عن المهدي : « وكان قد لقي بالمشرق ائمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة وذهب الى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه ، اقتداء بالسلف في ترك التأويل وقرار المتشابهات كما جاءت . ففطن أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم . وكان رأيهم القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة وألف في ذلك كتابه في الإمامية الذي افتتحه بقول : أعز ما يطلب ، وصار هذا المفتوح لقباً على ذلك (72) » .

(69) على طريقة المعتزلة .

(70) كقوله تعالى : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ( الرحمن 27 ) الرحمن على العرش استوى ( طه 5 ) يد الله فوق أيديهم ( الفتح 10 ) .

(71) على طريقة الأشاعرة .

(72) العبر ج ، ص 226 .

وعلى الرغم من أشعرية المهدي فإنه قد اتخذ موقفاً سلفياً من قضية الصفات حيث أعطاهما بعداً بسيطاً جعله يربطها بأسماء الله الحسنى لا يميز فيها أي قياس أو اشتقاق أو اصطلاح . فعنده أن « أسماء الباري سبحانه موقوفة على إذنه لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه لا يجوز القياس والاشتقاق والاصطلاح في أسمائه ، يسمى المخلوق فقيهاً سخياً لعلمه وكرمه ولا يقاس عليه الخالق سبحانه ويسمى المخلوق رامياً قاتلاً لرميه وقتله ولا يقاس الخالق سبحانه ، ويسمى المخلوق زيداً وعمراً يولد ليس له اسم فيصطلح عليه اسمه ، وليس للمخلوق أن يتحكم على خالقه فيسميه بما لم يسم به نفسه في كتابه ، ما نفاه عن نفسه في كتابه نفاه عنه وما أثبتته لنفسه أثبتته له ، من غير تبديل ولا تشبيه ولا تكييف ، يسميه بأسمائه الحسنى ويدعوه بها » (73) . وهذا على عكس الأشاعرة الذين يعتبرون أن صفات الله قديمة وموقوفة على الذات الإلهية وقائمة عليها .

وربما كانت الدعوة الموحدية في بعض مبادئها ، وخاصة في تنزيها الذات الإلهية وإبعادها عن كل شبهة تدنيها من التشبيه والتجسيم ، قد تأثرت بآراء الاعتزال . فعند المراكشي أن المهدي « كان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها » (74) . ومع ذلك فقد يقال بأن الأشعرية شيء والاعتزال شيء آخر وبأن القول بالتأويل والتنزيه من صميم آراء الأشعرية ، وإن المهدي ما دام أشعرياً لا يمكن أن يكون معتزلياً وأنه متأثر في دعوته بثلاث تيارات ، هي :

الأشعرية والإمامية وآراء الغزالي .

(73) أعز ما يطلب ص 237 ( فصل في أسماء الله تعالى )

(74) المعجب 188 .

وسواء أكان المهدي متأثراً بالاعتزال أم غير متأثر ، وسواء أكان هذا المذهب وارداً على المغرب مع الموحدين أو سابقاً عليهم ، فإن الذي يبدو غير مشكوك فيه أن فرقة من المعتزلة هي الواصلية ، منسوبة لواصل بن عطاء ، كان لها بالمغرب أتباع ، على حد ما يثبت نص وارد عند الشهرستاني - وهو معاصر للموحدين حيث توفي سنة 548 - لدى حديثه عن هذه الفرقة : « وبالمغرب الآن منهم شذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسيني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور ويقال لهم الواصلية ، واعتزاهم يدور على أربع قواعد : القاعدة الأولى القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة ... القاعدة الثانية القول بالقدر ... القاعدة الثالثة القول بالمنزلة بين المنزلتين ... القاعدة الرابعة قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين أن أحدهما مخطيء لا بعينه وكذلك قوله في عثمان وخاذليه ان أحد الفريقين فاسق لا محالة كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا بعينه (75) .. »

والحديث عن المهدي مقترن دائماً بذكر مقابلته للغزالي على اختلاف المؤرخين في قبول هذا القول أو رفضه . فعند ابن الأثير : « ... وقيل انه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالي ان هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأمثالنا كما قال بعض مؤرخي المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به (76) » . وفي وفيات الأعيان أنه « اجتمع بأبي حامد الغزالي (77) » وعند المراكشي « أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزده (78) » . وعند ابن أبي دينار أنه « لازم أبا حامد الغزالي ثلاث سنين

(75) الملل والنحل ج 1 ص 57 - 61 .

(76) الكامل في التاريخ ج 8 ص 294 في حوادث 514 لدى تعرضه للمهدي .

(77) ج 2 ص 37 .

(78) المعجب 178 .

وحصل عليه علماً عظيماً . وكان أبو حامد إذا رأى ابن تومرت يقول لا بد لهذا البربري من دولة (79) . ويقول صاحب الحلل بعد الحديث عن قدوم وفد اشبيلية لتقديم البيعة لعبد المؤمن ، وكان فيه القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري « ثم ان الخليفة عبد المؤمن سأل ابن العربي عن المهدي هل رآه أو لقيه في مجلس أبي حامد الغزالي ببغداد فقال له لم ألقه وإنما سمعت به وان الشيخ كان يقول لا بد من ظهوره (80) » . أما ابن خلدون فعنده أن المهدي « لقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي » (81) .

وعلى الرغم من هذا الخلاف فإن الذي لاشك فيه أن المهدي تأثر بالغزالي وبآرائه في مناهضة كتب الفروع والفقهاء ، وهي الآراء التي بسطها في باب العلم من كتابه احياء علوم الدين (82) . ويبدو أن كتب الغزالي كانت سبيل كل مصلح أو مناهض للأوضاع في هذا العصور في أعقاب دولة المرابطين ، فأبو العباس ابن قسي زعيم طائفة المرينيين النائرة كان يزاول تدريس كتب أبي حامد الغزالي باشبيلية واتخذ من تلاميذه ورواده هيئة جعلها أركان حزبه وتسمى بالإمام (83) .

والحقيقة أن المهدي باعتماده على مبدئي العصمة والإمامية يختلف مع الغزالي والأشاعرة وسائر أهل السنة حيث يرفضون جميعاً هذا المبدأ ، دون أن ننسى أن الغزالي تلميذ للأشعري كما هو معروف . ويكاد يكون مؤكداً أن قضية العصمة والإمامة تدخل عند المهدي في اتجاهه السياسي وليس في اتجاهه المذهبي

(79) المؤنسن في أخبار افريقية وتونس ص 107 .

(80) ص 122 - 123 .

(81) المبرج ، ص 266 .

(82) انظر الجزء الأول من الاحياء .

(83) انظر تاريخ البيدق ص 125 والمعجب ص 212 وابن خلدون ج 6 ص 485 والمد بالإمامة

ص 31 والمصادر المذكورة .

لأنه كان سنياً سلفياً . وإذا كان ابن تومرت يدخل بهذه القضية في صميم الآراء الشيعية فإن الذي لاشك فيه أنه يخالف جل هذه الآراء وخاصة منها الاعتراف بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان اعترافاً لا يراه من الشيعة إلا الزيدية .

كذلك يبدو المهدي في أخذه بالعصمة والإمامة جبرياً معارضاً للمعتزلة الذين نفوا القدر ورفضوا الجبرية وأثبتوا حرية الإنسان وإرادته في اختيار أفعاله واشتروطها أساساً للتكليف بالواجبات .

ومهما يكن فمذهب المهدي دعوة للاجتهاد بالرجوع إلى الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، والاعتماد على علمي الكلام والأصول ، وهما من العلوم التي شجع على طلبها . وكان من نتائج انتشار هذين العلمين أن وفق - إلى حد - بين آراء الفقهاء والمتكلمين ، وكان بالتالي أن تحلّى فقهاء المالكية عن كثير من التعصب الذي عرفوا به في عهد المرابطين ونظروا في العلوم الجديدة وحاولوا تطويعها لخدمة المذهب الذي زاد تفرعاً وانتشاراً لدرجة دفعت المنصور إلى محاربتة وإحراق كتبه كما سنبين بعد .

ثم إن الدولة الموحدية في لجوئها إلى العلم المتفلسف وسيلة للوصول إلى أهدافها ، تعتبر منذ نشأتها منافسة للفاطميين ، وكانت لهم عناية كبيرة بالفلسفة ومذاهب القدماء ، فكان لا بد أن تدرس أحوالهم وتعتنى بأمورهم السياسية والعلمية وتتعرف على دعوتهم . وكانت النتيجة أن قابلتهم بالمثل ، فالمهدي يسير على نهج الفاطميين والانتساب لآل البيت واتخاذ لقب المهدي والاعتناء بعلوم الجفر والتنجيم . فالجفر جلد ماعز كان يستعمل في الكتابة ، ويزعم الروافض أن جعفر الصادق كتب لهم فيه ما سيكون من حوادث إلى يوم القيامة . وفي « الجفر » من علوم أهل البيت ، وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى الله

ويكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب هجاء اسمه ت ي ن م ل ل . ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله سبحانه وتعالى في نفسه أنه القائم بأول الأمر وأن أوانه قد أزف .

عاد المهدي إلى المغرب ونزل في فاس وكان نشر دعوته (84) يقتضي منه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (85) ، يعلم الناس ويلقنهم مبادئ مذهبه مما أثار ضجة في الأوساط العلمية والشعبية دعت الوالي إلى استدعائه لحضور مجلس الفقهاء « فجرت له مناظرة كان له التفوق فيها والظهور كأنه وجد جواً خالياً وألقى قوماً صيماً عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع . فلما سمع الفقهاء كلامه أشاروا على والي البلدة بإخراجه لئلا يفسد عقول العوام » (86) . فخرج متوجهاً إلى مراكش وكان الأمير علي بن يوسف قد سمع بخبره فأمر بإحضاره لمناظرة الفقهاء . ولكنه لم يلبث أن هزمهم بعلمه وجدله فأشاروا على الأمير بقتله ، غير أنه ارتأى إبعاده عن مراكش ، حتى لا يثير فيها الشغب والفتنة . وخرج المهدي إلى قبيلته في جماعة من أصحابه (87) فبايعوه سنة 515 في قرية تنملل (88) التي اتخذها مقراً لنشاطه ونشر دعوته . وفي

---

(84) عند ابن خلكان أنه قام بدعوته سنة 511 وعند ابن خلدون أنه قام بها سنة 512 . أما المراكشي فجعلها في سنة 514 .

(85) أنظر بعض مظاهر تغييره للمنكر في كتاب أخبار المهدي 60 - 67 .  
(86) المعجب 184 .

(87) انظر أصحاب المهدي في نظم الجمان ص 27 . ولقد كان له أصحاب في مصر يؤيدونه ويناصرونه ذكر أسماؤهم صاحب المقتبس ص 31 - 32 .

(88) تنملل أو تينال كلمة بربرية معناها ذات السطوح المفروسة . وهي قلعة على بعد =

تتمثل أخذ يدرس العلم لأصحابه ويدعوم لمذهبه ويؤلف فيه بالعربية والبربرية كتباً أهمها « أعز ما يطلب » (89) جمع فيه خلاصة آرائه وجعل لهم فيه الأعراس والاحزاب والسور قال : « من لم يحفظ هذا التوجيه فليس بموحد لاتجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته » (90) . وعند صاحب الحلل أن أول ما دبر لهم أنه ألف لهم كتاباً سماه بالتوحيد بلسان البربرية وهو سبعة احزاب عدد أيام الجمعة وأمرهم بقراءة حزب واحد منه إثر صلاة الصبح بعد الفراغ من حزب القرآن . وهو يحتوي على معرفة الله تعالى وسائر العقائد كالعلم بحقيقة القضاء والقدر والايان بما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز وما يجب على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وآخى بينهم فيه وألف لهم كتاباً سماه بالقواعد وآخر سماه بالأمانة هما موجودان بأيدي الناس إلى هذا العهد ودوتهما بالعربي والبربري » (91) . فلما فهموا معاني تلك العقيدة زاد تعظيمهم له وأشربت قلوبهم محبته وأجسامهم طاعته . فلما استوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أولاً على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وأمر رجالاً منهم من استصلح عقولهم بنبص الدعوة واستماله رؤساء القبائل، وجعل يذكر المهدي ويشوق اليه، وجمع الأحاديث التي فيه من المصنفات، فلما قرر في نفوسهم

---

= مائة كم من مراكش في اتجاه تارودانت بنى بها عبد المؤمن مسجداً لا يزال قائماً حتى اليوم . وبها دفن المهدي وعبد المؤمن ويوسف والنصور . أنظر الادريسي ص 64 والاستقصا ج 2 ص 78 والمشاهد والقلاع لتراس وباسي ص 37 واطلال تتمثل لفرول هــرس سنة 1922 ص 162 - 163 .

(89) طبغ النص العربي في الجزائر سنة 1903 بنشر لوشيانى، قدم له المستشرق جولدتسهرر بقدمة ترجمها من الألمانية إلى الفرنسية الأستاذ جود فراواى موميس، وطبغ بعد ذلك في مصر ضمن « مجموع رسائل » نشره الشيخ محيى الدين صبرى الكردي .

(90) الاستقصا ج 2 ص 83 .

(91) الحلل 89 - 90 .



فضيلة المهدي ونعمته ادعى ذلك لنفسه وقال : أنا محمد بن عبد الله . . . ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصرح بدعوى العصمة لنفسه وانه المهدي المعصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي وبسط يده فبايعوه على ذلك « (92).

واستمر المهدي في دعوته لمذهبه واقامته الحدود بنفسه « يضرب الناس على الخمر بالأكام والنعال وعسب النخل . . . » (93) وينكر على الناس ما يراه مخالفاً لاصول الدين ومبادئه لدرجة انكر مرة على ابنة يوسف بن تاشفين أن تسير سافرة - وكانت عادة المرابطين أن يسفر النساء وجوههن ويتلثم الرجال - فأمرها وجواربها أن يسترن وجوههن ، وضرب هو وأصحابه دوابهن حتى سقطت دابة أخت أمير المسلمين (94) .

وعلى نهج المهدي صار خليفته عبد المؤمن في « تغيير المنكر وتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث » (95) يدعو الولاة في رسائله الى أخذ الناس بعلم التوحيد وحضهم على قراءته وحفظه سواء باللسان العربي أو البربري ويأمرهم بالتشديد في اقامة الحدود ضد بائعي الخمر وشاربيها وأصحاب بيوت الفساد والضلال واللاهين بالآلات والقاعدين عن العمل والجهاد وما اليهم من أهل النفاق والتدليس . وكان يبعث للولاة نسخاً من تأليف المهدي وخاصة كتابه

---

(92) المعجب 187 وانظر في بيعة المهدي تاريخ البيدق ص 73 . ويعتبر ابن تومرت ثاني مهدي منتظر بعد عبيد الله الفاطمي الذي بويع مهدياً بسجلات سنة 297 أي قبل ابن تومرت بنحو مائة وثلاث وتسعين سنة إذ أن مهدي الموحد بن بويع سنة 515 .

(93) المصدر السابق 193 .

(94) انظر الاستقصا ج 2 ص 75 .

(95) القرطاس 135 وانظر الكامل ج 4 ص 295 .

« أعز ما يطلب » يأمرهم باتباعه والتقيد به ، فيه « الملاذ والمعاذ وعليه الاعتماد والاستناد واليه المرجع والمفرج . . . فمن عانده أو خالفه أو صاده أو كبره أو عصاه أو ناوأه أو جهله واهمل أمره فقد حاق به الردى ، فالانقياد لما يقضي به واجب والاستمسك بأمره حتم والرجوع اليه في أمر الدين والدنيا فرض لأن قضاءه وأمره هو قضاء ربه واراادته وحكمه » (96) .

ولكننا لانصل الى يعقوب المنصور حتى نرى الايمان بالمذهب يتزعزع ، فهو اذا كان يتشدد في الامر باحراق كتب الفروع ، تثبيتاً لطريقة المهدي كما يبدو ، فانه يمنع الناس من الخوض في علم الاصول والكلام ويؤلف للأمة كتاباً يلغي به كتاب المهدي يجمع فيه من الكتب الصحاح ما يتعلق بأمر الدين ويشجع الناس على حفظه بالمنح والاموال . ففي الممجب أنه « أمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين يجمع أحاديث من المصنفات العشرة ( الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن البزار وسنن ابن ابي شيبة وسنن الدارقطني وسنن البيهقي ) في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الاحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة ، فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه » (97) . والقصد من ذلك عند المنصور « محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث » (98) . وأكاد أضيف محو مذهب المهدي وإزالته ، فقد كان يسأل الطلاب والعلماء عما يقرأونه من العلم ويفضبن ممن يجده<sup>٢</sup> يقرأ تأليف المهدي ويقول له : « ما هكذا يقول الطالب انما حكمتك أن تقول قرأت كتاب الله وقرأت شيئاً

---

(96) من رسالة لعبد المؤمن بعث بها إلى أهل بجايه ( أنظر مجموع رسائل موحدية ص 135 )

(97) ص 278 - 279 .

(98) القرطاس 138 .

من السنة .» (99) ولا غرابة فهو لم يكن يؤمن بعصمة المهدي وكان يستخف بعقول المؤمنين بها . فقد قال مرة لأحمد بن مطرف المرّي - وكان شيخاً صالحاً : « يا أبا العباس اشهد لي بين يدي الله عز وجل أنني لا أقول بالعصمة » وقال له يوماً « وقد استأذنه في فعل شيء يفترق إلى وجود الامام : يا أبا العباس أين الامام ... أين الامام » (100) بل انا نجد ابنه المأمون يقول في خطبته المشهورة التي نبت فيها المهديوية : « وقد كان سيدنا المنصور هم أن يصدع بما به الآن صدعنا وأن يرفع عن الأمة الحزن الذي رفعنا فلم يساعده لذلك أمه ولا أجله لزواله إلا أجله فقدم على ربه بنية صدق خالص الطوية » (101) .

ولم يلبث هذا الانكار أن تطور في عهد المأمون إلى ذم المهدي ونبت مذهبه عامة ، فهو «الذي أمر بزوال اسم المهدي من السكك» (102) وغيرها ومن الخطبة وأزال اسم جميع الموحدين مما كان العمل به في سائر دولة الموحدين » (103). ومن خطبته في ذلك : « ولتعلموا أننا نبتنا الباطل وأظهرنا الحق وأن لامهدي إلا عيسى ... فتلك بدعة قد انزلناها ... وقد اسقطنا اسمه ولم نثبت له

---

(99) المعجب 292 .

(100) المصدر السابق 291 .

(101) الحلل 137 - 138 .

(102) يبدو من الدرهم الموحدية - وهي ذهبية وفضية ونحاسية ومربعة الشكل ولعالمها لم تسك إلا ابتداء من عهد عبد المؤمن - أنها تمثل مرحلتين : الأولى في ظل عبد المؤمن ومن جاء بعده من الخلفاء الذين كانوا يعترفون بإمامة المهدي فقد كان مكتوباً على وجه بعض الدرهم وأنصافها في هذا العهد : الله ربنا - محمد رسولنا - المهدي إمامنا . الثانية بعد رفضه إمامة المهدي أي ابتداء من عهد المأمون وكان مكتوباً عليها : الله ربنا - محمد رسولنا - القرآن إمامنا .

(103) الحلل 137 .

عصمته فلذلك أنزلنا عنه رسمه فيمحي ويسقط ولا يثبت ... وإن كانت العصمة لم تثبت للصحابة فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه ! بل هم ضلوا أو أضلوا وتلفوا في ذلك وزلوا، ماتكون لهم الحجة على تلك الحاجة، اللهم اشهد أننا تبرأنا منهم براءة أهل الجنة من أهل النار ونعوذ بك من أمرهم الرتيب وفعلهم الخبيث لأنهم في المعتقد من أهل النار، وأنا نقول فيهم ما قال نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام رب : لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً « (104) . وفي هذه الخطبة : « أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالقوي المذموم فإنه لامعصوم إلا الانبياء ولا مهدي إلا عيسى وإنا قد نبذنا أمره النحيس » (105) . وكذلك كان موقف الرشيد ولد المأمون لولا أنه اضطر إلى الرجوع حيث كانت للموحدين « شروط قبل دخولهم وهي إعادة ذكر اسم الامام المهدي في الخطبة واسمه في المخاطبات ونقشه في السكة من الذهب والفضة وإعادة الدعاء بعد الصلاة والنداء عليها بتاصيلت الاسلام - وهي إقامة الصلوات - وما أشبه هذا ... فأسفوا فيه وسمعت موجبات وصولهم وانتظامهم » (106) .

نعود بعد هذا للمذهب الموحد فنرى أننا - مع بعض التحفظ نستطيع أن نستنتج من دعوتهم للكتاب والسنة والإعراض عن الرأي والقياس ميلهم إلى المذهب الظاهري واتصالهم به منذ البداية وتطبيقهم لمبادئه ، ليس في أمور الدين فحسب ، بل حتى في مختلف فروع المعارف والعلوم . ولا تخفى حملة ابن مضاء (107) على النحاة المشاركة في كتاب « الرد على النحاة » الذي دعا

(104) الحلال 137 - 138 ، وانظر في البيان المغرب ج 3 ص 267 - 268 .

(195) القرطاس 179 .

(106) البيان المغرب ج 3 ص 305 .

(107) المتوفى سنة 592 .

فيه إلى الاخذ بظاهر النصوص والابتعاد عن جدل المناطقة والفلسفة (108).

وقد يبدو غريباً أن نتحفظ في القول بميل الموحدين إلى المذهب الظاهري منذ بداية دعوتهم ، على الرغم من إعراض هذه الدعوة عن الرأي والقياس وأخذها بظاهر الكتاب والسنة في وضوح صريح لا يترك مجالاً لأي ظن . وهو استغراب لا سبيل لدفعه لو لم يكن لهذا التحفظ ما يبرره ، إذ لا يخفى أن ابن حزم لا يقول بالعصمة التي يدعيها الموحدون ، ويرى على العكس من ذلك « أنه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا انه تعالى لا يقرهم على خلاف من هذين الوجهين أصلاً بل ينههم على ذلك ولا يدائر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم » (109) لذلك لا نرى المنصور يعلن ظاهريته إلا بعد أن أعلن انكاره لعصمة المهدي وامامته ، وغداً جهاراً يستخف بعقول المؤمنين بدعوته .

وإذا كنا - مع وضوح هذه الحقيقة - نذهب إلى امكان دخول الدعوة الموحدية في نطاق مذهب ابن حزم ، فما ذاك إلا لأنسى أن المهدي تعرف على آراء ابن حزم في قرطبة قبل سفره إلى الشرق . ثم اننا لا نرى مانعاً من ان يقتبس منه الموحدون جوانب جوهرية ، وان يختلفوا معه في نفس الوقت حول جانب فرعي ، وان اعتبر هذا الجانب في دعوتهم أساسياً . ولا بدع ، فان كثيراً من الباحثين يؤكدون أخذ الموحدين بالزعة الظاهرية منذ بداية دعوة المهدي ، على حد ما يرى المستشرق الاسباني آنخل بالنثيا إذ يقول : « وقد مال محمد بن تومرت مهدي الموحدي الى مذهب ابن حزم اذ وجد فيه

---

(108) أنظر بحثاً للكاتب عن « منهج الأندلسيين في دراسة النحو » ( مجلة دعوة الحق 5

س 5 فبراير 1962 ) .

(109) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج 4 ص 2 - 3 .

ما يؤيد دعوته ووصل نفر من فقهاء الحزمية الى كبار المناصب « (110) كذلك يرى جولدتسيهر (111) تأثر المهدي بآبن حزم من خلال شبه كبير يتصل بموقفهما من المذهب المالكي ومن صفات الله واعتمادهما على الظاهر في مسائل كثيرة . والحق أنه إذا كان ابن تومرت يشبه ابن حزم ويبدو متأثراً به في تناول المسائل الفقهية ، وهو ما عبر عنه بالشرع ، وكان فيها لايعمل العقل (112) ، وكأنه يقصد إلى تحطيم فقهية المرابطين وما أعطوها من حرمة وقداسة - فإنه في مجال العقيدة كان أشعريا يعتمد العقل أكثر مما يعتمد حرفية النصوص . فعنده أن « بضرورة العقل يعلم وجود الباري سبحانه والضرورة ما لايتطرق إليه الشك ولا يمكن العاقل دفعه » (113) وهو يطعن في رأي من « ذهبوا... أن الشريعة لا حكمة فيها وأنها ليست على سنن العقل جارية » (114) علماً بأن حاول أن يقرب بين العقل والشرع أو بين الحكمة والشريعة حين قرب بين القياس العقلي والقياس الشرعي (115).

والذي يدعو فعلاً الى الاستغراب هو ما ذهب اليه المستشرق الفرنسي هنري لاوست في حديث عابر عن المنصور الموحدى أورده في كتاب

(110) تاريخ الفكر الأندلسي ص 238 .

(111) انظر مقدمة كتاب أعز ما يطلب .

(112) أنظر اعز ما يطلب ص 17 - 146 .

(113) المصدر السابق ص 230 .

(114) المصدر السابق ص 163 .

(115) أنظر في كتاب أعز ما يطلب فصل (الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل من وجوه)

ابتداء من ص 163 .

فرق الاسلام ، حيث قال : « ... فبعد أن كان مالكيًا ، انتقل إلى الظاهرية ثم اعتنق المذهب الشافعي واختار كثيراً من القضاة من بين المنتسبين لهذا المذهب » (116) .

فاذا كنا نقبل القول بمالكية المنصور على اعتبار ان الموحدون لم يخرجوا عن نطاق المذهب المالكي في الفقه وان حادوا عنه توحيدا وعقيدة ، وأنهم لم يلجأوا إلى محاربة فقهاء الدولة المرابطية وكتبها الا وسيلة لنسف حكمها وتقويض دعائم الفقهية القائمة على علم الفروع ، فاننا لا نستطيع ان نقبل القول بشافعيته رأيا مجرداً من كل دليل .

والذي نعلم هو أن المذهب الشافعي لم يصل قط الى المغرب . حقا ان المهدي لقي في المشرق كثيراً من الشافعية ، وخاصة أبا بكر الشامي الذي يعد من كبار فقهاءهم ، وحقاً كذلك أن المذهب الشافعي دخل إلى الاندلس في منتصف القرن السادس على يد قاسم بن سيار القرطبي ( سنة 276 هـ ) حيث سعى بعض العلماء الى نشره أمثال بقي بن مخلد ( سنة 272 هـ ) وأسلم ابن عبد العزيز بن خالد ( سنة 319 هـ ) . كما أن رحلة الفقهاء الشافعيين الى الاندلس اثرت الى حد لا يستهان به على انتشار المذهب ، لاسيما على عهد الحكم المستنصر الذي كان يشجع هؤلاء الوافدين أمثال ابي الطيب محمد بن أبي بردة ( سنة 271 هـ ) وعبيد الله بن عمر بن احمد بن جعفر ( سنة 360 هـ ) - ولكن سيادة المذهب المالكي في الاندلس من جهة ومحاربة بعض الفقهاء المالكيين لهؤلاء الوافدين من جهة أخرى ، جعلت ظل المذهب الشافعي يتقلص الى حد كبير في الاندلس . ومن يدري فقد يكون بعض شافعية المشرق وصلوا الى المغرب

عائدين من الاندلس، لاسيما اولئك الذين حاربوا واضطروا الى مغادرتها ، أو قاصدين اليها كابن ابي بردة المذكور، وكان قد سئل في الاندلس عن كتبه فقال « انها ذهبت له مع مال جسيم في المغرب » (117) .

والذي يلفت النظر في رأي المستشرق الفرنسي انه أتبع كلامه عن مذهب المنصور بالحديث عن النجدة التي طلبها منه صلاح الدين الأيوبي ، وكأنه أراد أن يربط بينها وبين شافعية المنصور ، قاصداً من هذا الربط الى جعل اتفاقها في المذهب عنصراً مشجعاً على طلب النجدة . ومعروف أن المذهب الشافعي كان سائداً في مصر على عهد الأيوبيين وأنت صلاح الدين بنى لفقائه مدرستين هما الناصرية والصلاحية .

كذلك لا ينبغي أن يغرب عن بالنا - ونحن نحاول البحث عن خيط نمسك به- رأي المسيو لاوست ان ابن حزم نفسه كان شافعيًا في بداية حياته ، مما لا يبعد تأثر المنصور به في هذه الفترة ، لاسيما أنه كان معجباً بشخصيته ويمتدحه علماً بارزاً من أعلام الاسلام . وكما كنا نتمنى لو أن الباحث أشار إلى مصدر هذا الرأي أو عززه بالحجج المدعمة ان لم يكن مسبقاً اليه ، وأغلب الظن انه كذلك .

وما علينا ، فقد سقطت دولة الموحدين ، وكان طبيعياً ، والمريونيون يقضون عليها ، أن ينبذوا دعوتها ويعودوا إلى المذهب الذي تقوى بسبب مناصرتهم له وبسبب إنشاء المدارس العلمية في مختلف المراكز ، إلى جانب الزوايا والرباطات التي تضاعف عددها في هذا العهد والعهود التالية والتي كانت مهذاً لترعرع النزعات الصوفية . ويبدو أن الفقه المالكي أتيح له بالاحتكاك المذهبي في عهد الموحدين أن يخرج قليلاً عن تزمته والتزامه المثالي الجامد وأن يطرح نفسه وقضاياها من خلال مقاييس جديدة تحاول التوفيق بين النظرية

---

(117) تاريخ الفكر الأندلسي ص 436 .



الشرعية أو الحكم الشرعي من جهة وبين الواقع وتطوره من جهة ثانية في محاولة سلوك منهج جديد يعتمد التصرف إن لم نقل الاجتهاد ، ويسعى إلى التوفيق بين المصلحتين الشرعية والاجتماعية . وكما استقرت المالكية في هذا العصر مذهب المغاربة الفقهي بصفة نهائية ، فكذلك استمرت الاشعرية مذهبهم العقدي ، لا يرون غيره في التوحيد ولا يجيدون به عن رأي أهل السنة والجماعة . وكان نتيجة للضغط الذي فرضه الموحدون على علوم الفروع أن قامت لها في هذا العصر نهضة تمثلت في اقبال العلماء والطلبة على دراستها وفي كثرة التأليف والأبحاث التفريعية التي تناولت مختلف جوانب هذه العلوم . وإذا كان الموحدون قد شجعوا دراسة أصول الفقه ، فان فقهاء هذا العصر لم يهملوا بحثه ودراسته ، ولكن في اطار المذهب . على أن سيادة المالكية لم تكن لتحول دون حرية اتباع مذهب ما في بعض المسائل وخاصة مذهب أهل الحديث الذي كان يميل اليه كثير من الفقهاء كالحافظ الرحالة محمد بن رشيد السبتي (657-721) .

ويبدو أن فكرة المهدوية (118) التي قامت عليها دعوة الموحدين خلفت آثاراً ظلت تراود بعض النفوس لدرجة جعلت المستشرق الفرنسي جورج مرسيه يذهب - مبالغاً - إلى اعتبار « الاعتقاد في المهدي والامل في عودة ظهوره من تقاليد البلاد . فمن بين جميع اقاليم الاسلام ، يبدو ان المغرب كان هو الأقليم الذي سيطرت فيه على الأذهان فكرة انتظار المهدي . ولأسباب غامضة كانت منطقة سوس المكان الذي تبلورت حوله الآمال الملحة . وحتى نهاية القرن الرابع عشر ( الميلادي ) كان ما زال ينتظر هناك » (119)

وربما كان الهادي الماسي أول من روادته الفكرة حيث قام على عبد المؤمن ببلاد السوس « وهو محمد بن عبد الله بن هود الماسي وتسمى بالهادي وادعى

(118) انظر فيها مقدمة ابن خلدون ص 274 .

الهداية اقتداء بالمهدي محمد بن عبد الله بن تومرت وكان قصاراً ببحر سلا فأقبل الناس عليه من كل مكان واجتمعوا عليه اجتماعاً طار به الذكر في الآفاق وقامت بدعوته أمم لا تحصى . واتصلت دعوته في جميع أقطار العدو حتى لم يبق منها إلا مراکش وفاس وخلفت عليه سائر البلاد ورفضوا دعوة الموحدين « (120) . وكان له مع عبد المؤمن جولات عسكرية انتصر عليه فيها الخليفة الموحيدي .

وفي زمن الناصر ظهر العالم الأندلسي عبد الرحيم بن عبد الرحمن الفرس الذي « انتحل الإمامة وادعى أنه القحطاني المراد في قوله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملأها عدلاً كما ملئت جوراً ... فبعث الناصر إليه الجيوش فهزموه وقتل ، وسبق رأسه إلى مراکش فنصب بها » (121) .

كذلك ذكر ابن خلدون رواية عن شيخه محمد بن ابراهيم الأبلي أنه «خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتويزري ... وادعى أنه الفاطمي المنتظر ، واتبعه الكثير من أهل السوس ... وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم فدمر عليه الكسوي من قتله بياتاً والنحل أمره . وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى أنه الفاطمي واتبعه الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها وارتمل إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره » (122)

---

(120) الحلال 121 وانظر كذلك البيان المغرب ج 3 ص 26 والقرطاس 133 والاستقصا ج 2 ص 99 .

(121) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 250 .

(122) المقدمة ص 274-275 .

وذكر ابن خلدون كذلك ما أخبره به شيخه المذكور من « أنه صحب في حجه في رباط العباد - وهو مدفن الشيخ أبي مدين في جبل تلمسان المطل عليها - رجلاً من أهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعاً معظماً كثير التلميذ والخادم ، قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان ، قال وتأكدت الصحبة بيننا في ذلك الطريق فانكشف لي أمرهم وانهم إنما جاءوا من موطنهم بكربلاء لطلب هذا الأمر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب . فلما عاين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال لأصحابه ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا . ويدل هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن الأمر لا يتم الا بالعصبة المكافئة لأهل الوقت . فلما علم أنه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها أحد من أهل المغرب ، استكان ورجع إلى الحق وأقصر عن مطامعه وبقي عليه أن يستيقن أن عصبية الفواطم وقريش أجمع قد ذهب ت لا سيما في المغرب » (123) .

ولعل من الواضح في الخبر السالف أن المغرب لهذا العهد والعهود التالية (124) لم يعد مجالاً لترويج البضاعات المزيفة الوافدة عليه ، حتى ولو تسترت وراء شعارات من شأنها أن تغري العامة وتؤثر على إيمانهم البسيط ، وانه بالتالي قد استقر نهائياً على فقه الإمام مالك مذهباً يهتدي به في مختلف نواحي الحياة تشريعاً وقضاءً وتدريساً وتأليفاً .

(123) المصدر السابق .

(124) نسجل هنا أن أحمد الأعرج السعدي كان يلقب بالهدي ( أنظر تاريخ الدولة السعدية ص 5 ) .

الفصل الثاني

نهضة فكرية وأدبية



ليس من شك في أن الفكر والأدب أثر من آثار اللغة باعتبارها أداة تلقّ وتوصيل وباعتبارها الوعاء الذي يعرفان منه ويصبان فيه . وانطلاقاً من هذه الحقيقة ، فإن الباحث في عهد الموحدين لا يلبث أن يقف أمام ظاهرة اعتنائهم باللغة البربرية واعتمادهم عليها . وهي ظاهرة تكاد أن تكون أهم ما يلفت نظر الدارس للعصر بعد فكرة العصمة والإمامة التي دعا لها المهدي في مذهبه ، بل تكاد هذه الظاهرة أن تثير الشك حول واقع اللغة العربية وحقيقة أمر التعريب ، على الرغم من أن اللغة العربية كانت قد انتشرت ونشط نظم مسائلها وحفظ متونها وازدهرت دراستها ودراسة العلوم المتصلة بها كما سيتضح بعد . وبلغ من شيوعها في مختلف الطبقات أن ظهر تأثيرها قوياً في لغة التخاطب إلى حد أن من يتتبع المقابلات التي أوردها ابن هشام في كتاب « لحن العامة » بين الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد الفروق كامنة إلا في المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ العربي من خلال انتقاله من بيئة إلى بيئة أخرى مغايرة ومختلفة (1) .

ومهما يكن من انتشار العربية في هذا العصر ، فإن الموحدين قد لجأوا إلى البربرية وسيلة للاتصال بالجمهير والتأثير عليها . فالمهدي يدرّس بالبربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب ، ويأمر بالنداء للصلاة بها (2) ، وعبد المؤمن يكتب لولائه

---

(1) انظر ( ألفاظ مغربية ) من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة للدكتور عبد العزيز الأهراني ( مجلة معهد المخطوطات م 3 1957 ) .

(2) على حد اتهام المأمون له ( أنظر الاستقصا ج ص 212 ) .

بأن « يؤمر الذين يفهمون اللسان العربي ويتكلمون به أن يقرأوا التوحيد بذلك اللسان » (3) و « كانوا لا يقدمون للخطابة والإمامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري » (4) .

وإذا كانت خطة المهدي السياسية اضطرته إلى استعمال اللغة البربرية في الدعوة لنفسه ولمذهبه ، خاصة وأن قبيلة المصامدة التي آوته أول الأمر تعتبر من أهم مراكز البربر ومواطن عصبيتهم ، فإنه كان من المنتظر بعد اتساع رقعة الدولة واستقرار أحوالها أن يوقف خليفته هذا التيار الذي من شأنه أن يحد - ولو بعض الشيء - مدى انتشار اللغة والثقافة العربيتين ، ولكنه لم يفعل وظل يسير على سنة المهدي في استعمال البربرية إلى جانب اعتنائه بالعربية وعلومها على نحو ما سيكشف لنا ازدهار الحركة الفكرية والأدبية في هذا العصر .

وقد يبدو لأول وهلة أن من شأن هذا الاعتناء المزدوج أن يثير تناقضاً في سياسة الدولة ومشاكل من الصعب أن يوفق بينها ، ولكن قليلاً من التعمق في بحث أسباب تمسك خليفة المهدي باللغة البربرية لا يلبث أن يبرر فكرة التناقض أو ما قد ترميه به سياسة الدولة من رجعية على نحو ما يذهب بعض الباحثين(5) ولعلنا نستطيع أن نحصر الأسباب فيما يلي :

أولاً : الرغبة في إبعاد العرب عن مجال الزعامة الدينية والقيادة الفكرية لعدم ثقته فيما يبطنون من نوايا كشفت عنها ثورة محمد بن عبد الله بن هود

---

(3) رسائل موحدية ص 39 .

(4) القرطاس 46 .

(5) أمثال الاستاذ عبد الله جنون ( النبوغ ج 1 ص 117 ) .

الماسي التي تحدثنا عنها في الفصل السابق. وكان ابن هود هذا قد تسمى بالهادي مدعياً لنفسه الهداية ، ودخل في حرب مع عبد المؤمن لم تكن له فيها غير الهزيمة .

ثانياً : عدم امكان الاعتداد على غير البربر في نشر المذهب ، فقد كان أغلب رجال العلم والدين العرب من السنين الذين لم يؤمنوا بالعقيدة المهدوية الإمامية وكانوا يعملون على محاربتها كما تشهد بذلك ثورة سبته (6) الدينية بزعامة القاضي عياض الذي رفض الخضوع لبدع الموحدين ، فقد كان من العلماء السنين. ولكنه لم يلبث أمام قوة جيش عبد المؤمن أن سلّم وطلب الامان وانتقل إلى العاصمة حيث عاش في كنف الخليفة .

ثالثاً : اقتناع البربر بأنهم وحدهم أهل التوحيد والحق ، وأنهم المسؤولون عن تعليم الناس ونشر الدعوة التي تلقوها مباشرة عن المهدي في جبال الاطلس البربرية، وأن غيرهم مجسمة ومقلدون لم يتلقوا مثلهم تعاليم المهدي ، ومن الخطر على الدولة ترك مجال الوعظ والتعليم لهؤلاء الذين قد يضلون العامة وينحرفون بالمذهب .

رابعاً : اضطرار عبد المؤمن إلى اتباع نفس السياسة التي كان يسير المهدي عليها في نشر دعوته خشية الخطر الذي قد يحدث بموقفه لو فكر في تغيير خطة سلفه . فهو على الرغم من قوته لم يكن ليستغني عن العناصر البربرية التي قامت الدعوة الموحدية على أكتافها ، بل كان من مصلحته أن يشجعها ويسلمها قيادة الفكر وزعامة الدين حتى لا تثور عليه ، وحتى يستطيع مواجهة مناوئيه والقيام بفتوحه .. خاصة ، وأن بوادر عدم الثقة في الموحدين أخذت تلوح في الأفق

---

(6) انظر أخبار هذه الثورة في القرطاس 134 - 136 والاستقصا ج 2 ص 102-154 .



حين أحدث تحويلاً في نظام الخلافة مكنه من فرض ولاية عهد ابنه ، اعتماداً على مساندة أهل كومية له ، واعتماداً كذلك على الهلاليين وغيرهم من الوافدين في الوقت الذي وقف في وجهه أخوا المهدي عبد العزيز وعيسى اللذان دخلا معه في صراع انتهى لهما بالهزيمة والقتل . ولعل كلا منهما كان يرى نفسه أحق بولاية العهد ، علماً بأن المهدي لم يسنها ، وإن كان لا يستبعد أن يكون فكر فيها .

خامساً : مجرد تقليد المهدي حفاظاً على ذكرى صداقته وتقديراً لعماله وجهاده وإيماناً بمذهبه واعترافاً بما له من فضل عليه ، إذ لاشك أن عبد المؤمن لم ينسَ أنه حين لقي المهدي لم يكن غير فق غريب يسعى إلى طلب العلم .

ومع ذلك فقد كان مجال اللغة البربرية محدوداً لا يتعدى الدعاية الدينية ، وكانت اللغة العربية لا تنتشارها قد غدت أداة الدولة في جميع المصالح والمرافق .

ومن المعروف أن انتشار اللغة العربية في المغرب سار جنباً إلى جنب مع انتشار الدين ، ولكن في حدود ضيقة ، ذلك أنه لم يكن للعناصر العربية التي صاحبت الفتح الاسلامي - سواء في عهد عقبة أو حسان أو موسى - أن تستقر استقراراً يجعل العرب يحتكون بجماهير الشعب في البوادي والامصار وتنتشر اللغة في نطاق واسع ، بل كانوا في أغلبهم مجاهدين لا هم لهم غير الفتح والغزو . وقد تنبه بعض الولاة إلى ضرورة نشر اللغة والثقافة العربيتين إلى جانب نشر الدين الجديد ، فأمر حسان بتعليم الناس اللغة العربية وأحضر موسى عدداً من الفقهاء والقراء يلقنون الناس مبادئ اللغة والدين مما كان له أثر كبير لاشك في بدء استعراب البربر . ولقد كان للأدارة دور كبير في التعريب لاسياً في عهد المولى ادريس حيث قدمت إلى المغرب وفود عربية كثيرة (7) من بلاد افريقية والأندلس فأكرم وفادتهم وقربهم إليه وأناط بهم مهمة تعليم اللغة العربية للبربر ، لدرجة تم

(7) انظر اخبار هذه الوفود في القرطاس ص 14 والاستقطاع ج 1 ص 163 - 164 .

نشرها في كل المناطق التي أقاموا فيها . وكانوا يلجأون في تنفيذ مهمتهم إلى فتح المكتاتيب وتأسيس الرباطات ، وكانت هذه وتلك أشبه بمدارس أولية تعد طلابها للجلوس في حلقات جامعة القرويين(8) التي كانت قد ازدهرت فيها الدراسة على هذا العهد وغدت مركز انطلاق للغة والثقافة العربية في المغرب . وعرف التعريب على عهد المرابطين مزيداً من الانتشار بفضل الوحدة التي تمت بين المغرب والأندلس وبفضل الخط الإصلاحى الذي سارت فيه الدولة على أساس من العلم .

أما في عصر الموحدىن فقد استمرت تأثير الوحدة على التعريب ، كما كان لهجرات بني هلال وسليم إلى المغرب أكبر الأثر في نشر اللغة العربية أداة للتخاطب بين الجماهير في مختلف أنحاء البلاد . وقد خرج هؤلاء المهاجرون (9) من الحجاز ونجد - حيث كان مقرهم في أيام بني العباس - وانضموا لجيش القرامطة الذي غزا بلاد الشام ، ثم أنزلهم العبيديون الى صعيد مصر بعد انتصارهم على القرامطة وكان العبيديون بعد انتقالهم إلى مصر قد أقاموا بني زيري ولاة لهم في أفريقية يخطبون ويضربون السكة باسمهم ويؤدون لهم الاتاة والطاعة . غير أن بني زيري لم يلبثوا أن خلعوا ولاءهم للعبيديين وكانوا يرغبون في الاستقلال وفي اتباع مذهب أهل السنة . فأراد المنتصر ، وكان الحاكم اذ ذاك ، أن يعاقبهم فأرسل لهم عرب بني هلال وبني سليم - وكانوا عناصر تخريب وتدمير وفوضى يعيشون فساداً في صعيد مصر - تأديباً لهم على خروجهم عن طاعته وتخليصاً لمصر من فوضى هذه العناصر . وكان له ما أراد فقد انحلت دولة بني زيري وأصبحت تونس مقسمة إلى امارات صغيرة تعيش تحت رحمة هؤلاء العرب الذين كانوا يتربصون للموحدىن وينتظرون الفرصة للانقضاض على دولتهم . وقد

(8) انظر الحديث عن القرويين في أعمال الاعلام ص 236 والاستقصا ج 1 ص 175-178 واحد عشر قرناً في جامعة القرويين وجامعة القرويين في ذكرها المائة بعد الألف .

(9) انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 12 والقرطاس ص 154 والاستقصا 2 ص 145 - 158 .

تهيأت لهم الفرصة حين ثار ابن غانية على الموحدين فانضموا لحركته . ولكن انهمزام ابن غانية أمام يعقوب المنصور جعل مناصريه يقدمون الطاعة للخليفة الموحدي . فما كان منه إلا أن قبلها وأفسح لهم مجال الدخول الى المغرب . واستقدم معهم جماعة من غز مصر ، (10) وهم طائفة من الموالي أترك الأصل حالفوا بني هلال وبني سليم في انضمامهم لثورة ابن غانية ، كما استقدم معهم جماعة من عرب بني معقل كانوا بدورهم حلفاء لبني هلال (11) .

\* \* \*

ننظر بعد هذا في حالة الفكر فترى أنه كان طبيعياً وقد ثار الموحدون على مظاهر الضعف والانحلال التي أصابت دولة المرابطين ، أن يطلقوا الفكر من القيود التي فرضها فقهاء هذه الدولة المتعصبة للفقهاء وشكليات الدين . والمتتبع لسير الحركة الفكرية على عهد الموحدين لا يلبث أن يكشف معالم هذا الانطلاق بارزة في مختلف ألوان العلوم والفنون ممثلة في حياة عقلية واعية ناضجة . ولعلنا نستطيع أن نعزو هذه النهضة الفكرية المتحررة إلى الدعوة التي ثار المهدي بها على فقهاء عصره الذين حرموا العلوم العقلية وأقفلوا باب الاجتهاد وقطعوا كل اتصال بكتب الأصول ، فخارت همهم وخمدت قرائنهم واستسلموا لتيار التقليد وترديد أقوال السابقين .

وتعتبر الدعوة الموحدية منذ نشأتها منافسة لدعوة الفاطميين(12) ، وكانت لهم عناية كبيرة بالفلسفة ومذاهب القدماء وخاصة منها مذهب الأفلاطونية

(10) انظر المعجب ص 288-291 .

(11) انظر الاستقصا ج 2 ص 159-162 وانظر موضوع التعريب في كتابنا : القصيدة ابتداء من صفحة 85 .

(12) انظر العلاقة بين الفاطميين والموحدين في كتاب « ابن رشد » للعقاد .

الحديثة (13) . فكان لابد لها أن تدرس أحوالهم وتعنى بأورهم السياسية والعلمية وتتعرف على دعوتهم . وكانت النتيجة أن قابلتهم بالمثل ( فالمهدي يسير على نهج الفاطميين في الانتساب إلى آل البيت واتخاذ لقب المهدي والاعتناء بعلوم الجفر والتنجيم . ومذهب المهدي - كما رأينا في الفصل السابق - دعوة للاجتهد بالرجوع إلى الكتاب والسنة واجماع الصحابة والاعتقاد على علمي الكلام والأصول ، وهما من العلوم التي شجع المهدي على طلبها . وقد ازدهرت دراسة هذين العلمين لدرجة كان يرحل إلى المغرب لطلبهما ، كما سئرى بعد سطور . وقد كان انتشار هذين العلمين « سبباً في تقريب شقة الخلاف ما بين الفقهاء والمتكلمين والمتصوفة لما يحملان عليه من النظر في الأدلة وعدم المسارعة إلى الإنكار قبل معرفة مدرك الخصم (14) » . وكان نتيجة لذلك أن لان فقهاء المالكية وتركوا التعصب الأعمى لأئمتهم ومالوا إلى النظر في كتب الأصول مما زاد المذهب تفرعاً وانتشاراً لدرجة دفعت المنصور (15) إلى محاربتة وإحراق كتبه . وإذا كان موقف المنصور في ظاهره لا يعني غير خنق الفكر وتقييد حرية العلماء ، فهو في واقعه رغبة من المنصور في الإصلاح والرجوع بالدين إلى بساطته وصفائه مجرداً من تعقيد الآراء واختلاف الأقوال . ولا شك أنه وفق إلى أبعد حد في حفز الفقهاء إلى نبذ التعصب ودراسة الكتاب والسنة حيث ظهر اهتمام كبير بعلوم القراءات والتفسير والحديث . ومع ذلك فقد ظل المذهب المالكي متمكناً من نفوس كثير من الفقهاء كمحمد بن سعيد بن احمد بن مجاهد الانصاري المتوفى سنة 621 ، صاحب كتاب المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم . « وكان فقيهاً مالكيًا حافظاً مبرزاً متعصباً للمذهب قائماً عليه حتى امتحن بالسلطان من أجله واعتقل مدة بسببته (16) » .

(13) انظر أدب مصر الفاطمية ص 35-36 .

(14) التبوغ ج 1 ص 122 .

(15) كما أوضحنا في الفصل السابق .

(16) التكلة ج 2 ص 616 ت 1612 .

ويبدو أن المنصور استنتج من تجربته في محاربة المذهب المالكي أن العالم حتى ولو كان مجتهداً ، مضطر أحياناً إلى الاعتماد على إمام يرجع إلى رأيه في بعض الأحكام ، فمال إلى الأخذ بمذهب الظاهرية إعجاباً منه بأبي محمد بن حزم الظاهري . وبلغ من إعجاب المنصور به أنه كان يقول لأشياخ المذهب الكبار بأنهم عيال على ابن حزم (17) .

ولعل أهم مظهر للتحرر الفكري في هذا العصر هو انتشار علوم الفلسفة وازدهار دراستها ، وكانت قبل لا تعني غير الزندقة والاحاد ، يُنظر إلى من يخوض في شيء منها نظرة ازدراء وربما رُمى بالحجارة أو حرق إن زل في شبهة (18) . وبلغ من اشتها المذهب بهذا اللون من الدراسات أن كان يلجأ إلى علمائه في حل المشاكل الفلسفية العويصة ، تشهد على ذلك الأسئلة الفلسفية التي وجهها فردريك الثاني (19) ملك إيطاليا إلى علماء سبتة ليحجبوا عليها والتي قام بالإجابة عنها الفيلسوف عبد الحق بن سبعين السبتي (20) الذي ضمن هذه الاجابة كتاباً سماه : « المسائل العقلية (21) » .

---

(17) انظر النفع ج 2 ص 162 وابن حزم هو أبو محمد بن علي أحمد بن سعيد ، ولد في قرطبة سنة 384 وتوفي سنة 456 . من كتبه المطبوعة : طوق الحمامة ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، المحلى ، نقط العروس ،

(18) انظر النفع 1 ص 124 .

(19) 1194 - 1250 م

(20) ولد سنة 614 وتوفي سنة 669 انظر ترجمته في عنوان الدراية ص 139 وكتاب ابن سبعين لأبي الوفاء التفتازاني .

(21) توجد منها نسخة خطية في اكسفورد تشتمل على 49 ص وقد اعتمدها عليها شرف الدين بالتقاي في نشر الكتاب حيث طبع سنة 1941 في بيروت لحساب المعهد العلمي الفرنسي في اسطنبول .

ولقد عرفت الفلسفة نهضة كبيرة على عهد يوسف بن عبد المؤمن الذي «طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة فجمع كثيراً من أجزاءها وبدأ من ذلك بعلم الطب فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكبي أكثره مما يتعلق بالعالم خاصة دون العمل، ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف من أنواع الفلسفة وأمر يجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي (22). ولم يقف اعتناء يوسف بالفلسفة عند جمع كتبها وإنما تعداه إلى تقريب علمائها . وكان ممن صحبه منهم أبو بكر محمد بن طفيل (23) الذي بلغ من شدة شغفه به وحبه له أن « كان

---

(22) المعجب 238 . وقد اشتهر الحكم بحب العلم وإكرام أهله وجمع الكتب على اختلاف أنواعها لدرجة بلغ عدد فهارس أسماء كتب خزائنه أربعاً وأربعين فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدرايين . وليس من شك في أن اعتناء يوسف يجمع الكتب ليس إلا مظهراً لمدى انتشارها والاعتناء بها في هذا العهد حيث كانت توجد بسوق الكتبيين بمراكش مائة مكتبة ( انظر وصف افريقيا لليون الافريقي ج 1 ص 194 وكتاب مراكش لدوفردان ج 1 ص 178 ) كما اشتهرت بعض الخزائن الخاصة مثل خزانة محمد بن احمد بن محمد القيسي المتوفى سنة 663 وكان « جماعاً للكتب » (الاعلام ج 4 ص 377) وخزانة محمد بن أحمد السبائي المراكشي 659 وكان «شديد المحافظة على كتبه مثابراً على الاعتناء بتصميمها مهتماً باقتناء الأصول التي بخطوط أكابر الشيوخ أو عنوا بضبطها وجمع منها جملة وافرة » (الاعلام ج 3 ص 148) .

(23) المتوفى بمراكش سنة 581 وهو صاحب «حي بن يقظان» وتتلخص فلسفة ابن طفيل في أنه أراد أن يمزج العلم اليوناني بحكمة أهل الشرق لعله يخرج برأي مبتكر في الكون . وقد اهتم - ابن باجه - بالعلاقة بين الفرد والمجتمع . لكن على حين كان ابن باجه يكتفي من عزلة أصحاب الفكر عن سواد المجتمع وشواغل الدنيا ، بأن يلتقي جماعة المفكرين معاً في مجتمع صغير يربط بينهم ، ذهب ابن طفيل إلى ما هو أبعد من ذلك إذ وصل بتحليله الى الفرد الواحد باعتباره النواة التي نشأ عنها المجتمع » وهذا واضح في قصة حي بن يقظان . انظر الموسوعة الفلسفية ص 14 وانظر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة الجزء الثاني ص 78 ، وتحفة القادم لابن الأبار رقم 43 والمعجب ص 239 ، والمغرب في حلى المغرب الجزء الثاني ص 85 .

يقم في القصر عنده أياماً ليلاً ونهاراً لا يظهر (24)» ويحلب له « العلماء من جميع الاقطار وينبه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم . وهو الذي نبهه على أبي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد (25) . ويحكى ابو الوليد قصة تعرف الخليفة عليه بعد أن قدمه إليه ابن طفيل فيقول: « فكان أول ما فاتحني به أمير المؤمنين بعد أن سألتني عن اسمي واسم ابي ونسبي أن قال لي : ما رأيهم في السماء ؟ - يعني الفلاسفة - أقديمه هي أم حادثة ؟ فأدر كني الحياء والخوف فأخذت أتعلل وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة ولم اكن ادري ما قرر معه ابن طفيل ، ففهم امير المؤمنين مني الروع والحياء فالتفت إلى ان طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألتني عنها ويذكر ما قاله ارسطوطاليس وافلاطون وجميع الفلاسفة ويورد مع ذلك احتجاج أهل الاسلام عليهم فرأيت منه غزارة حفظ لم اظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له . ولم يزل يبسطني حتى تكلمت ، فعرف ما عندي من ذلك . فلما انصرفت أمر لي بمال وخلعة سنوية ومركب (26) » .

(24) المعجب ص 240 .

(25) المعجب ص 242 .

وابن رشد ، وينعت بالحفيد تميزاً له من جده الفقيه الذي كان له نفس الاسم ، ولد في قرطبة سنة 526 هـ - 1126 م وتوفي في مراكش سنة 595 هـ - 1198 م . ويعرف عند الاوروبيين باسم أفيروس Averroes . وأهم ما يميز فلسفة ابن رشد أنه عمل على التوفيق بين الفلسفة والشريعة فقرر وحدة المقصد لكل منهما وقال « ان كلا منهما للاخرى رفيقة وأخت شقيقة . فالحقيقة واحدة لا تتجزأ كل ما هنالك أننا نسعى إليها ونفسرها على أنحاء مختلفة » ( الموسوعة الفلسفية ص 12 ) وقد وضع ابن رشد إلى جانب شروحه لارسطو كثيراً من الكتب في العقائد والفقه والفلك والطب أهمها « تهافت التهافت » رداً على تهافت الغزالي ، و « فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » و « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » . انظر في ابن رشد كتاب : ابن رشد للعقاد ، و « بين الدين والفلسفة عند ابن رشد » لمحمد يوسف موسى ، وطبقات الاطباء ج 2 ص 75 ، والمعجب ص 242 ، والمغرب في حلي المغرب الجزء الأول ص 104 .

(26) المعجب ص 242-243

ويبدو أن ابن رشد وجد في كنف الخليفة ميداناً خصباً لمزاولة نشاطه ،  
ويبدو كذلك ان الخليفة وجد لدى أبي الوليد بغيته في توضيح ما يبهم عليه من  
كتب ارسطو وكان قد تعمق في دراستها وفهمها. وبلغ من احاطته بفلسفة ارسطو  
والفكر الاغريقي عامة انه كان يشعر بما في المترجمات من خلل فينبه إليه بالرغم  
من انه لم يكن يعرف اللغة اليونانية (27)، مما جعل الخليفة يرشحه لتلخيص كتب  
ارسطو وتفسير مذهبه في الفلسفة (28).

وقد تحدث أبو الوليد عن ذلك فقال : « استدعاني ابو بكر بن طفيل يوماً  
فقال لي : سمعت اليوم أمير المؤمنين يشكي من قلق عبارة أرسطوطاليس أو  
عبارة المترجمين عنه ويذكر غموض أغراضه ويقول : لو وقع لهذه الكتب من  
يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهماً جيداً لقرب مأخذها على الناس .  
فإن كان فيك فضل قوة لذلك فافعل ، وإني لارجو أن تفي به لما أعلمه من جودة  
ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة . وما يمني من ذلك إلا  
ما تعلمه من كبرة سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي إلى ما هو أهم عندي  
منه (29) قال أبو الوليد : فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من  
كتب الحكيم أرسطوطاليس » (30) .

وحاول المنصور بعد موت أبيه أن يحفظ لأبي الوليد مكانته ويقربه إليه ،  
ولكن الحساد دسوا له وأطلعوا الخليفة على بعض ما جاء في تلاخيصه من  
أشياء أغرت المنصور عليه كقوله حاكياً عن فلاسفة اليونان : « فقد ظهر أن

(27) في كتاب ابن رشد ص 27 أنه «لم يكن يعرف اليونانية ولكنه اعتمد على المترجمات التي  
نقلت من الشرق إلى الاندلس وعلى أستاذه أبي جعفر هارون الطيب المشارك في الحكمة»

(28) انظر الحديث عن تلاخيص ابن رشد في المعجب 243 والعلوم والفنون ص 99 - 101  
وابن رشد 27 .

(29) كان ابن طفيل وزيراً ليوسف

(30) المعجب 243 .



الزهرة أحد الآلهة » (31) وكقوله عند ذكر الزرافة « وقد رأيتها عند ملك البربر » (32) متحدثاً عنه بغير كلفة ، فلم يلبث أن أمر بإبعاده ونفيه .

وليس مستبعداً أن يكون المنصور إنما تستر وراء هذه الأسباب في نكبة ابن رشد ، وان يكون السبب الحقيقي كامناً في تضايق الخليفة من الصلة الوثيقة التي كانت بين أخيه أبي يحيى والي قرطبة وبين أبي الوليد . وكأنه كان يشك في مآلاته له أو لغيره من منافسيه ، لا سيما وأنه كان مشغولاً إذا ذاك بحروب الأندلس . ويزيد في تأكيد هذا الرأي أن النكبة شملت كثيراً من العلماء وكبار موظفي الدولة ممن كان يخشى الخليفة مشايعتهم لمنافسيه .

ومهما تكن أسباب هذه النكبة فإن المنصور لم يلبث بعد عودته من الأندلس أن « نزع عن ذلك كله وجنح إلى إلى تعلم الفلسفة وأرسل يستدعي أبا الوليد من الأندلس إلى مراکش للاحسان إليه والعمو عنه » (33) وكأنه ندم على ما صدر منه بعد أن اطمان على نفسه وخلافته ، ولكن أبا الوليد لم يلبث بعد حضوره إلى مراکش أن مرض مرضه الذي مات منه . وإذا كان المنصور قد فاتته أن يصحب ابن رشد فهو قد صحب الطبيب أبا بكر ابن زهر (34) الذي استطاع بإيعاز من الخليفة وتشجيعه أن ينهض بدراسات الطب والفلك والحساب .

ولا شك أن تقريب الخلفاء الموحدين لاهل العلم يعتبر من عوامل النهضة الفكرية التي قامت في هذا العصر . وقد بلغ من اعتناء الموحدين بالعلماء أن قسمهم طائفتين ، فقد جرت عاداتهم بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهم

---

(31) المصدر السابق ص 306

(32) المصدر السابق ص 305

(33) المعجب ص 307 .

(34) هو أبو بكر محمد أبو مروان بدأ أبو العلاء بن زهر ولد سنة 507 وتوفي سنة 595 .

على أهل كل فن وخاصة أهل علم النظر وسموهم طلبة الحضرة فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقبلون ، وصنف آخر ممن عني بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين ولا بد في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم ، من حضور هؤلاء الطلبة الأشياخ منهم ، فأول ما يفتتح به الخليفة مجلسه مسألة من العلم يلقيها بنفسه أو تلقى بإذنه . وكان عبد المؤمن ويعقوب يلقون المسائل بأنفسهم » (35) .

وقد كان هذا الجو العلمي الرفيع يشجع العلماء من سائر أقطار الدولة الموحدية على القدوم إلى مدينة مراکش حيث يقدق الخلفاء عليهم الصلوات ويحثونهم على البحث والتأليف في مختلف العلوم والفنون . ومن العلماء الذين وفدوا من الأندلس إلى مراکش وكانوا يشاركون الخلفاء في مجالسهم العلمية : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري المعروف بابن الصقر (492-569) وأبو بكر محمد بن عبد الله بن الجدة الفهري الأشبيلي (ت سنة 586) الذي « بلغ به العلم إلى مرتبة عليّة بحيث ان كان يوسف بن عبد المؤمن ينزل له عن فرسه إذا خرج للقائه » (36) ، ومنهم ابن حنين علي بن احمد بن أبي بكر الكناني المتوفى سنة 569 وكان قد تتلمذ على الغزالي (37) ، وأبو زكريا يحيى بن أبي الحجاج اللبلي ( المتوفى سنة 590 ) ، واحمد بن عتيق البلنسي (554-601) ، واحمد بن محمد بن هارون بن عات النغري الشاطبي ( المتوفى سنة 609 ) ، ويوسف بن احمد بن علي المرابطي ( المتوفى سنة 619 ) ، وأبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي ( 564-635 ) الذي كان يتولى الإملاء في مجالس بني عبد المؤمن على الطلبة » (38)

(35) المعجب ص 342

(36) مغرب ابن سعيد ج 1 ص 343

(37) انظر ترجمته في صلة الصلة ص 102 تـ 208 .

(38) التكملة ج 2 ص 638 تـ 1657 هامش 3 وانظر العلوم والفنون ص 40 - 41 .

والحق أن الدولة الموحدية نهضت بالفكر المغربي وحررتة من التعصب والتقليد وكثير من القيود التي كانت تثيره لكل محاولة انطلاق أو تجديد . وإذا كان فقهاء العصر المرابطي قد حرّموا ( إحياء ) الغزالي وحكموا بإحراقه ، فإن فقهاء هذا العصر رحبوا به ( فتوحات ) ابن عربي (39) « مع عظم الفرق بين محتويات الإحياء ومحتويات الفتوحات مما لا تقره المذاهب الفقهية بأجمعها وربما يتعارض مع جوهر العقيدة الإسلامية في كثير من المسائل » (40) .

\* \* \*

إذا أردنا بعد هذا أن نلقي نظرة على مظاهر الازدهار الفكري لهذا العهد ، فإننا سنجدها منعكسة على جميع فروع العلم :

### أولاً : الفلسفة والتصوف :

بالإضافة إلى ما قد اتضح في بداية هذا الفصل عن نهضة الفلسفة ، فإننا نجد غير قليل من أسماء المتصوفة المغاربة الذين كانت لهم ثقافة وآراء فلسفية طعموا بها الجانب التعبدي من التصوف ، نذكر في طليعتهم :

— أبو محمد صالح بن محمد بن عبد الله بن حرزم « كان قد رحل إلى المشرق وانقطع مدة بالشام فلقي هناك الإمام أبا حامد الغزالي ثم عاد إلى فاس ومات بها » (41) .

---

(39) هو الصوفي الاشرافي أبو بكر محمد بن عربي المرسي ( 560-638 ) يعرف بالشيخ الأكبر وابن أفلاطون . من كتبه : فصوص الحكم ، الديوان ، ترجمان الأشواق ، والفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية والملكية ، وهو أعظم كتبه جميعاً وأهمها .

(40) النبوغ ج 1 ص 121 .

(41) التشوف ص 71 تـ 8 .

و « كان ... عالماً فقيهاً محدثاً حافظاً مدرساً زاهداً في الدنيا سالكاً في طريق القوم من أهل التحقيق مشاركاً في علوم الشريعة لكنه أميل لعلوم الباطن» (42)

— أبو الحسن علي المسفر الذي قال عنه ابن عربي : « كان هذا الشيخ ... جليل القدر ، حكيماً ، عارفاً ، غامضاً في الناس ، محمود الذكر ، رأيته بسبته ، له تصانيف منها منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالي وليس له وإنما هو من مصنفات هذا الشيخ ، وكذلك كتاب النفع ، والتسوية الذي يعزى إلى أبي حامد أيضاً وتسميه العامة المضمون الصغير » (43) . وذكر له (44) أربعة أبيات بدأها بقوله :

يا أيها المبتلى بذمي      قد علم الله ما تقول

كما أورد له (45) قصيدة وصفها بأنها مشهورة ، وأوها :

قل لإخوان رأوني ميتا      فبكوني إذ رأوني حزنا

أتظنون بأني ميتكم      لست ذاك الميت والله أنا

— أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي ، ولد بسبته ، عام 425 وتوفي بمراكش سنة 601 كان ورده القرآن ومذهبه التصديق حيث كان زاهداً يتصدق بما يزيد على قوته وعياله في يومه ، وكان يرى أن « الوجود ينفع بالوجود » وهي قوله لأبي الوليد ابن رشد استخلصها من مذهب السبتي وكان قد بعث له من قرطبة أبا القاسم بن إبراهيم الخزرجي ليتعرف على مذهبه ، وبعد أن أطلعه على رأي الرجل قال تلك القولة . ويذهب أبو العباس في الصدقة

(42) نيل الابتهاج ص 198 .

(43) محاضرات الأبرار ج 1 ص 224 وانظر كشف الظنون ج 2 ص 1876-1877 .

(44) المحاضرات 224-225

(45) نفس المصدر .

إلى وجوب التصديق على النساء الجميلات قبل القبيحات صوتاً لهن من أن يقعن في برائن الفساد (46) .

— أبو محمد عبد السلام بن مشيش المتوفى سنة 622 أو 23 أو 25 حيث قتله أصحاب المشعوذ المنتبي ابن أبي الطواجين الكتامي بجبل العلم فدفن هناك . ولا أدل على مكانته في التصوف من أنه شيخ أبي الحسن الشاذلي ( 591-656 ) صاحب الطريقة المشهورة (47) .

— عبد الجليل بن موسى الأوسي القصري المتوفى سنة 608 ، وهو آخر من ختم به بالمغرب باب التصوف على الطريقة الواضحة المقيدة بالكتاب والسنة «(48)» .  
— كذلك عرف العصر جماعة من المتصوفين المرين أمثال أبي شعيب أيوب ابن سعيد الصنهاجي المتوفى بأزمور عام واحد وستين وخمسمائة (49) وتلميذه أبي يعزى ابن ميمون المتوفى عام اثنين وسبعين وخمسمائة (50) .

## ثانياً : الاصول والكلام :

وهما من العلوم التي شجع الموحدون دراستها، وكان من نتائج هذا التشجيع أن نبغ فيها كثير من المغاربة إلى درجة كانت تشد الرحلة إلى المغرب لطلبها على حد ما يُثبت الخبر الوارد في التكملة والقائل بأن عبد الله بن باديس بن عبد الله اليحصبي المتوفى سنة 622 ، وهو من جزيرة شقر « أجاز البحر إلى

---

(46) انظر في ترجمة الاعلام لابن ابراهيم ج 1 ص 239-338 و اظهار الكمال لنفس المؤلف ج 1 ص 118-200 والسعادة الابدية ج 2 ص 2-14 وانظر فيه كذلك كتاب مراکش لدورفردان ج 1 ص 272 ودائرة المعارف الاسلامية م 11 ص 230 .

(47) أنظر في ترجمة ابن مشيش الدرر البهية ج 2 ص 102 وواسطة العقدين ج 2 ص 384 .

(48) صلة ابن الزبير ص 31 تـ 44 .

(49) انظر ترجمته في التشوف ص 166 تـ 62 .

(50) انظر ترجمته في التشوف ص 195 تـ 77 .

مدينة فاس فلقني هنالك أبا الحجاج بن نموى وطبقته من أهل علم الكلام وأصول الفقه فأخذ عنهم ... وعاد إلى بلنسية فاجتمع إليه بالمسجد الجامع منها ونوظر عليه « (51) .

ومن العلماء الذين نبغوا في هذين العامين :

— أبو عمرو عثمان بن عبد الله القيسي القرشي المعروف بالسلاجي المتوفى عام 564 أو 574 (52) وهو تلميذ أبي الحسن علي بن محمد بن خلين الاشبيلي المتوفى سنة 567 والذي « كان أصولياً ماهراً متكلماً حاذقاً وهو الذي قرر علم الأصول وعلم الكلام بمدينة فاس » (53) وكان تلميذه السلاجي « مرجع الفاسيين في هذا العلم » (54) حيث كان « إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد » (55) « وهو منقذ أهل فاس من التجسيم . وله البرهانية ، وضعها لإمرأة أندلسية أسماها خيرونة وهي من الصالحات ... وينشد له في أهل فاس :

خذوا ضمانني ألا تفلحوا أبداً ولو شربتم مداد الكتب بالصحف

أنتم صغار كبار عند أنفسكم هل يستوي من يقيس الدر بالصدف »

وقد حظي كتاب العقيدة البرهانية باعتماد العلماء حيث وضع له أبو عبد الله

محمد بن أحمد الأنصاري الاشبيلي شرحاً سماه : إيضاح العقيدة البرهانية (57) .

— أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الغندلاوي المعروف بابن الكنتاني المتوفى سنة

---

(51) ج 2 ص 893 تـ 210/9

(52) كما في جذوة الاقتباس ص 290 .

(53) الصلة لابن الزبير ص 101 تـ 205 .

(54) نفس المصدر .

(55) التشوف ص 178 تـ 69 .

(56) الجذوة 289 - 290 وانظر فيه كذلك القرطاس ص 191 والسلاوة ج 1 ص 183 .

(57) انظر كشف الظنون ج 2 ص 1158 .

596 وهو تلميذ (58) السلجوقي السالف الذكر ، « كان إماماً في علم الكلام وأصول الفقه مدرساً لذلك حياته كلها ... وله رجز في أصول الفقه أخذ عنه وسمع منه » . (59)

— أبو الحسن علي بن محمد الخزرجي الاشبيلي الفاسي المعروف بابن الحصار المتوفى سنة 611 « كان محدثاً راوية ، وولي خطة القضاء ، وألف كتاب المدارك في رفع الموقوف ووصل المقطوع من حديث مالك ، وكتاب البيان في تنقيح كتاب البرهان لأبي المعالي (60) » .

— أبو عبد الله محمد بن عثمان بن سعيد المعروف بابن بقميس « كان مفتياً أصولياً ... توفي سنة 608 أو بعدها بيسير » (61) .

### ثالثاً : التفسير والحديث

وقد نشطت علومه في المغرب على عهد الموحدين مستفيدة من دعوتهم للرجوع إلى الكتاب والسنة وإن سار في الخط السني السلفي . ومن أعلامه :

— أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي الحراي المراكشي المتوفى سنة 637 « كان يلقي في التفسير قوانين تنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام ... وعلى أحكام تلك القوانين وضع ... الكتاب المسمى : مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل » (62) .

— أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي المتوفى سنة 622

---

(58) الجذوة 289 .

(59) التتكلة ج 2 ص 681 تـ 1718 وانظر التشوف ص 335 تـ 169 .

(60) صلة ابن الزبير ص 119-120 تـ 242

(61) التتكلة ج 2 ص 683 تـ 1723 .

(62) عنوان الدراية 85-86 وانظر في الحراي كذلك نيل الابتهاج ص 201

« اختصر الكشاف وأزال عنه الاعتزال » (63) كما « ألف في تفسير الكتاب العزيز وشرح الأسماء الحسنى وفسر مشكل الكتاب والسنة في سفر متوسط وألف كتابه المسمى بشعب الإيمان » (64) .

— محمد بن يوسف المزدغي المتوفى سنة 655 « الفقيه المفتي كان عالماً بالأصول والكلام ، وله معرفة باللسان وتصرف في جميع العلوم العقلية والنقلية ، محدث حافظ ، ألف تفسيراً انتهى فيه إلى سورة الفتح ... وأنوار الإفهام في شرح الأحكام إلى الأفضية ، ومقالة في الوباء وأخرى فيما يجوز للفقراء المضطرين في أموال الأغنياء » (65) .

— أبو محمد عبد الله بن زغبوش المكناسي « كانت له عناية بتأليف الإمام المهدي وبما أملاه خليفتهم أبو محمد عبد المؤمن ، وله في إثبات هذه الهداية موضوع استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز كان شيوخ طلبة الموحدين يسألون أبدأ عن هذا الكتاب ويثنون عليه وعلى واضعه » (66) .

وقريب من عناية الموحدين بالتفسير عنايتهم بالقراءات والتجويد . ومن الذين نبغوا وألفوا فيها أبو عبد الله محمد بن حسن بن محمد بن يوسف الفاسي المتوفى سنة 656 له شرح على الشاطبية (67) . ثم لانسى هذه الأرجوزة واسمها « حرز الأمانى ووجه الهانى » وقد نظمها إمام القراءات والتجويد في هذا العهد قاسم بن فيرة الشاطبي الضرير (68) كان قد رحل إلى الحجاز ومصر

---

(63) البغية 77 .

(64) صلة ابن الزبير ص 31 تـ 44 .

(65) نيل الابتهاج 229 .

(66) الروض المتهون ص 12 .

(67) اللآلي الفريدة في شرح القصيدة ( مخطوط في جزئين في المكتبة الأحمدية بدمشق )

(68) 538 - 590



حيث أسندت له رئاسة فن الإقراء (69) . ومن العلماء المبرزين كذلك في هذا الفن :

— أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحطيئة اللخمي (478-560) ، وكان « رأساً في القراءات السبع (70) » .

— أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقى السلوي « أخذ القراءات والحديث والأدب عن مشيخة بلده ودخل الأندلس ... مولده ... سنة عشر وخمسةائة ، وتوفي بمرسية سنة ثلاث وستين وخمسةائة (71) » .

### رابعاً : الحديث

كانت للخلفاء الموحدين عناية خاصة بالحديث والحفظ ، فإلى جانب المهدي الذي أثبت تبريزه في الفن ، كان يوسف يحفظ الصحيحين (72) وكان المنصور يحفظ متون الأحاديث ويتقنها (73) ، وكان المأمون يعد في حفاظ الحديث ، ولم يزل أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داود (74) . أما الأمير ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يكن في العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر (75) .

---

(69) انظر ترجمته في البغية ص 379 .

(70) وفيات الاعيان ج 1 ص 67 .

(71) الاعلام لابن ابراهيم ج 8 ص 239 وانظر زاد المسافر ص 115 وبغية الملتمس ص 483  
تد 1464 حيث وردت له بعض الأشعار .

(72) المعجب 155

(73) النفع ج 2 ص 99 .

(74) القرطاس 161 .

(75) المعجب 207 .

ويكفي للدلالة على إتقان المغاربة لهذا العلم نبوغ محدثين رحلوا إلى المشرق وأدهشوا الحفاظ المشاركة وأسندت لهم مناصب تدريس الحديث وإدارة معاهده . ولعل اسم أبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي أكبر شاهد في هذا المضمار ، فقد بلغ من إعجاب الكامل الأيوبي بحفظه أن أنشأ له المدرسة الكاملة للحديث سنة 622 وتولاها من بعده أخوه أبو عثمان ثم ابنه شرف الدين (76) .

ومن كبار محدثي هذا العصر :

– القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (476-544) (77) الذي كان مبرزاً في الحديث ومشاركاً في جميع علوم عصره ، إلى جانب تجويده في الأدب والشعر . وهو مفخرة المغرب في هذا العصر والذي قبله وفي كل عصر إلى حد قيل : « لولا عياض لما ذكر المغرب » . من مؤلفاته :

كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى .

مشارك الانوار في غريب الحديث والآثار .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك .

---

76) انظر في ترجمة ابن دحية التكلية نـ 1832 ( ط مجريط ) ووفيات الاعيان ج 1 ص 481 وميزان الاعتدال ج 2 ص 252 نـ 1992 والتعريف الذي كتبه الابياري في مقدمة المطرب . وانظر في أخيه عثمان التكلية نـ 1837 ( ط مجريط ) . وللجراري صاحب هذا البحث دراسة عن ابن دحية وكتاب المطرب كان قد قدمها في عرض شفوي قبيل مناقشة رسالته التي قدم لها جستير عن ديوان أبي الربيع والتي يعتبر هذا البحث جزءها التمهيدي .

77) خصه بالتأليف ولده أبو عبد الله في كتاب ( التعريف ) مخطوط بجزالة الرباط العامة رقم 553 س . وقد عني بنشره في هذه الأيام صديقنا الدكتور محمد بنشره ( ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ) كما خصه بالتأليف أبو العباس المقرئ في كتاب أزهار الرياض . وانظر فيه كذلك التقديم الذي كتبه الاستاذ محمد بن تاريت الطنجي في تقديم الجزء الاول من المدارك وخاصة صفحات له لو حيث أورد لائحة بمراجع ترجمة القاضي عياض .

— أبو عبد الله محمد بن طاهر الحسيني الشريفي الصقلي من أهل فاس « كان معتنياً بسماع الحديث ذا كراً لأسانيده ومتونه ، وولي قضاء الجماعة بمراكش ... وتوفي سنة 608 (78) » .

— أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن هارون المرادي « كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله ﷺ وأذكرهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل والخلاف العالي ، يقوم على الكتب الخمسة قياماً حسناً ويتكلم على أسانيدھا ومتونها ، ويستوفي خلاف الفقهاء ويميل إلى الظاهر ... توفي سنة ثلاث وستين وستائة بسبئة (79) » .

— محمد بن قاسم التميمي المتوفى سنة 604 « رحل إلى المشرق رحلة حافلة أقام فيها خمسة عشر عاماً ولقي نحواً من مائة شيخ أكثر من الرواية عنهم واستوسع في السماع منهم وأجاز له بعضهم ... وجمع في ذلك فهرسة كبيرة سماها ( بالنجوم المشرقة في ذكر من أخذ عنه من كل ثبت وثقة ) واختصر منها ما اقتصر فيه على مسموعه من أكثرهم دون استيفاء تسميتهم (80) » . وقد ذكر ابن الأبار أنه وقف على هذا المختصر .

— أبو عبد الله محمد بن حماد العجلاني قاضي سبئة المتوفى سنة 609 « كان من أهل العناية بسماع العلم ورواية الحديث ... وهو كان الخصوص بقراءة كتب الحديث ودواوينه على الأمراء (81) » .

— محمد بن احمد بن مرزوق التعمري السبتي « رحل إلى المشرق وأكثر من لقاء الشيوخ وسماع الحديث (82) » .

---

(78) التكملة ج 2 ص 683 تـ 1722

(79) الجذرة 84

(80) التكملة ج 2 ص 682 تـ 1720

(81) المصدر السابق ص 584 تـ 1724

(82) المصدر السابق ص 680 تـ 1717

– محمد بن ابراهيم بن حزب الله المعروف بابن البقار ، لقي بالأندلس جماعة أجازوه « وحدث عن أبي طاهر السلفي بإجازته العامة لأهل المغرب ... وكان من أهل الفقه والحديث متحققاً بالرواية والحديث عن رجالها عاكفاً على التدريس حافظاً متفنناً (83) » .

### خامساً : الفقه

على الرغم من سيطرة مذهب المهدي على العصر ، فقد كان جل الفقهاء مالكيين، إذا قيسوا بالذين عملوا في إطار المذهب الجديد. ومن أهم فقهاء هذا العهد : – القاضي عياض ، وقد تقدم ذكره .

– أبو عبد الله محمد ( ولد القاضي عياض ) (84) له ( مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام ) وهو كما يدل عليه عنوانه في النوازل ، ولعل والده بدأه ثم أكمله هو .

– أبو زيد عبد الرحيم بن عمر الزيناتي « كان محصلاً لمذهب مالك ولأصول الفقه على طريقة الأقدمين ومن أهل الاجتهاد (85) » .

– أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي « صاحب منهاج التحصيل في شرع المدونة ... لخص في شرحه ... ما وقع للأئمة من التأويلات واعتمد على كلام القاضي ابن رشد والقاضي عياض وتخريجات أبي الحسن اللخمي (86) »

---

(83) المصدر السابق ص 678 تـ 1714

(84) توفي سنة 575 انظر ترجمته في التكملة ج 2 ص 677 تـ 1712 أما كتابه مذاهب الحكماء فمخطوط في المكتبة الملكية بالرباط رقم 4042 .

(85) عنوان الدراية 154 .

(86) نيل الابتهاج 200

— عبد الله بن محمد التادلي « كتب المدونة من حفظه بعد أن أمر الموحدون بحرقها ، كان يبث العلم سنة ثلاث وعشرين وستائة (87) » .

— أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الصنهاجي المتوفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة انتقل إلى الجزيرة الخضراء فدرس بها وتولى قضاءها « وله في الشروط مختصر مفيد جداً سماه ( المقصد المحمود في تلخيص العقود ) كثر استعمال الناس له (88) » .

— اسحاق بن ابراهيم بن يعمر السعيدى الفهاري « كان قائماً على المدونة ... يستظهرها » (89) توفي في وقعة العقاب سنة 609 .

— أبو الحسن الحرالي المذكور آنفاً . له كتاب في علم الفرائض سماه ( الوافي ) ، قال عنه الغبريني : « مارأيت مثله في ذلك الفن لأنه أعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة بأخصر بيان وأوضح تبيان (90) » .

— عبد بن الله محمد بن عيسى التادلي المتوفى بمكناس سنة 597 « ولاء الخليفة أبو يعقوب قضاء فاس (91) » .

ولا ينبغي أن ننسى أن المنصور كان معجباً بالمذهب الظاهري وأنه كان يحاول إدخاله .. وعلى الرغم من أن جل الفقهاء كانوا متعصبين للمالك فإن بعضهم لان ومال لمذهب الخليفة أمثال أبي اسحق ابراهيم بن احمد بن هرون المرادي الفاسي السالف الذكر وأبي الخطاب بن دحية وأخيه أبو عثمان اللذين كانا يجتهدان في المذهب « باستنباط القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس (92) » .

---

(87) النيل 138

(88) المصدر السابق ص 200 .

(89) المصدر السابق ص 99 وانظر التكملة ج 1 ص 194 ص 517 .

(90) عنوان الدراية 87-88

(91) التكملة ج 921 تـ 2155

(92) وفيات الاعيان ج 2 ص 432 .

والجدير بالذكر أن فقهاء المالكية المتعصبين ما كانوا ليسمحوا بانتشار مذهب ابن حزم ، بل تصدى بعضهم لانتقاده والرد على صاحبه كـ محمد بن سعيد الأنصاري السالف الذكر مؤلف كتاب المعلى في الرد على محلى ابن حزم . ومثله أبو زكريا يحيى بن أبي علي المعروف بالزواوي ، فإنه لما كان من أمر هذا الفقيه « في شأن ابن حزم ما قد اشتهر وتعصب له ناس ورفعوا القضية للخليفة بمراكش اقتضى نظر الفقيه أبو زكريا... أن يتوجه عنه الفقيه أبو محمد عبد الكريم الحسني لمراكش ، فتوجه وحمل تأليف الفقيه ورده على ابن حزم المسمى (حجة الأيام وقدوة الأنام) . ولما وصل حضرة مراكش استحضره أمير المؤمنين بين يديه بمحضر الفقهاء وعرض تأليف الفقيه عليهم ، وكان الفقيه أبو محمد عبد الكريم هو النائب في الحديث فأحسن وأجاد وأطلع أمير المؤمنين ومن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه ... مما دلهم على فضله ودينه وعلمه فكان من قول الخليفة : ( يترك هذا الرجل على اختياره فإن شاء لعن وإن شاء سكت ) وانقلب أبو محمد عبد الكريم وهو المبرور وسعيه المشكور (93) .

## سادساً : العلوم اللسانية

### أ - اللغة :

ازدهرت دراستها وعني بمسائلها ، وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من أحفظ الناس للغة وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو (94) . وقد نشط في هذا العهد نظم مسائل العربية في أراجيز يسهل على الطلاب المبتدئين ضبط دقائقها كأرجوزة محمد بن عيسى بن أصبغ المعروف بابن المناصف المتوفى سنة 620 المسماة « المذهب في الحلى والشيات » ونظم ابن معط لصحاح

(93) عنوان الدراية ص 146-147 لدى ترجمة عبد الكريم الحسني وانظر ترجمة الزواوي في

المصدر ص 75-79 .

(94) المعجب 155 .

الجوهري وجمهرة ابن دريد (95). ومما يدل كذلك على هذا الازدهار التحقيقات اللغوية التي أوردها أبو زيد عبد الرحمن السهيلي المالقي في كتابه (الروض الأنف) حيث عمد إلى إيضاح ما في سيرة ابن هشام « من لفظ غريب وإعراب غامض أو كلام مستغلق (97) ». ومن اللغويين البارزين في هذا العصر :

— أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري السبتي « لم يستظهر أحد في زمانه من اللغة ما استظهر، آية تتلى ومثلاً يضرب قائماً على كتاب سيويوه (97) ».

— أبو الخطاب بن دحية السالف الذكر و « كان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملاً غالباً عليه (98) » .

## 2 - النحو :

— كبير نحاة المغرب في هذا العهد هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي « لزم ابن بري بمصر لما حج وعاد فتصدر للإقراء بالمرية وغيرها ، وأخذ عنه العربية جماعة منهم الشلوبين وابن معط ، وكان إماماً فيها لا يشق غباره مع جودة التفهم وحسن العبارة ... شرح أصول ابن السراج ، وله المقدمة المشهورة وهي حواشي على الجمل للزجاجي وقال بعضهم ليس فيها نحو وإنما هي منطوق لحدودها وصناعتها العقلية ... ومات سنة سبع وستائة (99) ».

---

(95) انظر البغية ص 416 .

(96) مقدمة روض الانف ص 3 . والسهيلي كان نزيل مراكش وبها توفي سنة 581 وكان قد ولد سنة 509. انظر فيه المطرب ص 230 وزاد المسافر ص 96 .

(97) البغية ص 69 .

(98) عنوان الدراية 159 - 160

(99) البغية 369 وانظر وفيات الأعيان ج 1 ص 498 وذكريات المشاهير عدد 19 .

وتعرف هذه المقدمة بالقانون والاعتماد والكراسة، وتوجد مع بعض شروحا (100) في مكتبة القرويين بفاس والاسكوريال بأسبانيا .

أما تلميذه ابن معط وهو أبو زكريا يحيى زيد الذين الزاوي (564-628) فكان « اماماً مبرزاً في العربية شاعراً محسناً ... اقرأ النحو بدمشق مدة ثم بصر وتصدر بالجامع العتيق وحمل الناس عنه وصنف الألفية في النحو (101) ... وله العقود والقوانين في النحو وكتاب حواشي على أصول ابن السراج في النحو وكتاب شرح الجمل في النحو وكتاب شرح أبيات سيبويه نظم وكتاب ديوان خطب وله قصيدة في القراآت السبع ونظم كتاب الصحاح للجوهري ، في اللغة ولم يكمل ، ونظم كتاب الجمهرة لابن دريد في اللغة ونظم كتاباً في العروض وله كتاب المثلث (102) . »

ومن نحاة هذا العصر أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن رحمون المصمودي المتوفى سنة 649 « أخذ العربية عن ابن خروف وكان ذا لسنٍ وفصاحة وكان يقرأ كتاب سيبويه (103) . »

- ومنهم كذلك أبو عبد الله محمد بن هشام اللخمي السبتي المتوفى سنة 570 وصفه ابن دحية بأنه « الفقيه الاستاذ النحوي الكبير المتقن الخطير (104) » . وذكر صاحب البغية بأن « له تأليف استعملها الناس ، منها كتاب الفصول والمجمل

---

(100) شرحها الجزولي نفسه كما شرحها ابن مالك وابن عصفور والشلوبين الذي أكل شرح هذا الأخير وهو شرح كبير ، كما شرحها معاصره أبو العباس احمد بن خلف البكري صاحب شرح المنفصل ( انظر البغية ص 156 - 157 ) .

(101) هي المشار إليها في مقدمة ألفية ابن مالك

(102) البغية ص 416 .

(103) البغية 301 .

(104) المطرب 183 .



في شرح أبيات الجمل، ونكت على شرح أبيات سيديويه للأعلم، ولحن العامة وشرح  
الفصيح وشرح مقصورة ابن دريد (105) .

وبلغ التفوق في علم النحو « الى وجود مدارس نحوية هنا وهناك انفردت  
بآراء خاصة في بعض مسائل الاعراب وغيره ، فهذه مدرسة فاس التي سيختلف  
أهلها مع مدرسة تلمسان في مسألة صرف أبي هريرة ، وهذه مدرسة سبتة التي  
تخالف الجمهور في ضم النكرة المقصودة اذا نونت اضطراراً. وهذه مدرسة طنجة  
التي توجه أسئلة نحوية الى مدرسة اشبيلية ، وأخيراً هذه مدرسة المغرب بعامة  
التي لا تسمى لولا شرطاً ولا لو الا اذا كانت بمعنى إن أي حين تكون مجردة من  
الامتناع وذلك في الغايات نحو قوله عليه السلام : احفظوا عني ولو آية (106) .

3 - أما العروض : وما كان للمغاربة من اعتناء بمسائله فيكفي للدلالة عليه  
قصيدة ضياء الدين الخزرجي السبتي المعروفة بالخزرجية والمشهورة في الشرق  
باسم الرامزة ، وهي قصيدة لا تتعدى مائة بيت ولكنها مع ذلك جامعة شاملة.

ويعتبر ابن معط وابن أبي الجيش الأنصاري من الذين كان لهم باع طويل في  
هذا الفن والتأليف فيه .

سابعاً : العلوم العددية :

1 - الحساب :

يتميز الحساب من العلوم التي نشط تدريسها في هذا العهد . وربما كان كتاب  
« اللباب في مسائل الحساب » هو الكتاب المقرر في تدريس هذه المادة ، وهو  
من تأليف الحيسوبي الأندلسي أبي الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي

(105) البغية 20 وانظر التكملة ج 2 ص 675 تهـ 1709

(106) ج 1 ص 126 وانظر التكملة ج 2 ص 538 تهـ 1465 وفهرست ابن غازي ص 27.

المتوفى سنة 601 (107)، وكان قد استقر في فاس يدرس الحساب ويعلم الفرائض.

ومن المغاربة الذين نبغوا فيه :

— أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي المتوفى سنة 622 كان إماماً في . . الفرائض والحساب والبرهان عارفاً بالسجلات والتوثيق (108) .

— عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين « توفي ذبيحاً بمرآكش سنة إحدى وستائة وقيل في آخر سنة ستائة (109) . وله : « أرجوزة في الجبر والمقابلة قرئت عليه وسمعت منه باشيلية (110) » وأرجوزة في أعمال الجذور (111) .

## 2 - الهندسة :

ويشهد على عناية الموحدين بها ما قاموا به من تكسير بلاد المغرب وإفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً (112) . كما يشهد على هذه العناية إنشاء المسجد الجامع الذي يتبع القصر والذي وضع تصميمه المهندس الحاج يعيش المعروف بالأحوص المالمقي « وكان بهذا المسجد مخارج وأروقة بديعة الصنع وممرات سرية تمتد خفية إلى القصر بحيث يستطيع أمير المؤمنين أن يزور المسجد وأن يغادره دون أن يراه أحد . . . وكانت المقصورة التي يجلس بها أمير المؤمنين أثناء صلاة الجمعة ذات تركيب عجيب . . . تسع نحو

---

(107) انظر ترجمته في صلة ابن الزبير ص 118 - 238 .

(108) البنية 77 .

(109) الجذوة 236 وانظر ترجمته مع بعض أخباره وشعره في الغصون اليانعة ص 42 - 50 وانظر كذلك التكلة - 2041 ( ط مجربط ) .

(110) الجذوة 236 أما الأرجوزة فتوجد مخطوطة في خزانة الرباط العامة .

(111) توجد مخطوطة في الأسكوريال .

(112) القرطاس 126 .

ألف شخص وكانت تتحرك بواسطة عجلات ثبتت في أسفلها ولها ستة أذرع أو جوانب تمتد بواسطة مفاصل متحركة . وقد صنعت هذه العجلات والمفاصل بحيث لا يترتب عند تحريكها أقل صوت وتدور جميعاً في أتم سكون ، ونظمت الحركات بطريقة هندسية دقيقة بحيث تتحرك جميعاً في وقت واحد متى رفع الستار عن أحد البابين اللذين يدخل منهما أمير المؤمنين إلى المسجد عند صلاة الجمعة . وكانت المقصورة تبرز من جانب المنبر من الجانب الثاني وتلتف الجوانب في نفس الوقت حول مجلس أمير المؤمنين . كذلك نظم المنبر بحيث يفتح باب متى صعد إليه الخطيب ، ويفلق من تلقاء نفسه متى اتخذ الخطيب مكانه ، وذلك كله دون أن يسمع أو يرى أثر لهذه الحركات (113) . وعلق المقري على هذه المقصورة فقال: « وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدت سنة 1010 (114) » .

### 3 - التنجيم :

وهو من العلوم التي مال لها الموحدون ميلاً خاصاً لدرجة أن المنصور كان يرصد النجوم «وقد ابتنى . . في مسجداشيبليه الجامع برجاً عالياً ليكون مرصداً . ومن الواضح أنه أول مرصد بني في أوروبا . ووضع المنصور في سنة 1157 م ( 545 هـ ) أزياجاً فلكية عند كسوف الشمس وكتب معاصره البتراجي Alpetragius المراكشي رسالة عن الأجرام ترجمت إلى اللاتينية وطبعت ، ولكن أزياج المنصور لم تطبع (115) » .

ومن أكبر علماء الفلك على هذا العهد أبو علي حسن بن علي المراكشي المتوفى سنة 660 صاحب جامع المبادئ والغايات في الميقات « وهو أعظم

(113) تاريخ الأندلس لأشباح ج 2 ص 253 .

(114) النفع ج 2 ص 163 .

(115) أشباح ج 2 ص 260 .

ما صنف في هذا الفن (116) ، يوجد بعضه ، وترجم سيديو جزءاً منه للفرنسية سنة 1834 كما نقل البارون كارادوفو فصلاً منه بتعلق بالاسطرلاب .

ومن الآثار التي تشهد على براعة المغاربة في الفن الساعة التي تحدث عنها العمري في مسالك الأبصار والتي كانت على باب جامع الكتبية بمراكش وكان ارتفاعها في الهواء خمسين ذراعاً تنزل فيها عند انقضاء كل ساعة ضجة ، وكان وزنها مائة درهم تتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من بعد . والأسف أنه لم يعد لهذه الساعة أي أثر بل ، إن العمري نفسه ذكر أنها كانت بطالة على عهده (117) .

### ثامناً : الفن

انتشر الفن الأندلسي المغربي في عهد الموحدين متجلبباً في كثير من المنشآت ، وأهمها في عهد عبد المؤمن مسجد تازة وتتمل والكتبيتان : الأولى وكان قد أمر بهدمها لانحراف توجيهها ، والثانية وهي الباقية .

وإذا كان عبد المؤمن قد بدأ في أول عهده يسير على غرار المهدي في الميل إلى البساطة والبعد عن الزخرفة ، فإنه في هذه المنشآت يبدو محباً للفن الأندلسي متأثراً به . أما يوسف فأقام جامع اشبيلية الشهير ببنارة الجير الدا ، وخطط لقصبة مراكش بقلعتها وقصرها الدارسين الآن ، وقد أكملهما المنصور ، كما أنشأ جامع حسان في الرباط وبنى أسوار وأبواب هذه المدينة .

ويمكن القول بأن البساطة تظفى على الفن الموحدى ، حتى حين يتوسل بالزخرفة وهي بساطة تعطيه وقاراً وتجعله يوحى بالقوة والعظمة . وهو في الزخرفة يعتمد تشكيلات متمثلة في توريقات مكونة في شكل جديد يبرزها

(116) كشف الظنون ج 1 ص 572 وانظر المعلوم والفنون ص 110 والنموغ ج 1 ص 157 .

(117) انظر كتاب مراكش لد وفردان ج 1 ص 193 .

ويضيف عليها كثيراً من ملامح الجلال . وهي متمثلة كذلك في أشكال هندسية تعتمد الاقواس والانحناءات بالإضافة إلى التزييق الفسيفسائي بالزليج (118) .

### تاسعاً : الطب

أما الطب وما يتصل به من علوم وفنون فيكفي للبرهنة على عناية الموحدين به أن نعرف أن المنصور « بنى بمدينة مراکش ببيارستاناً ما أظن أن في الدنيا مثله، ذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة وما زاد على الاقتراح . وأمر أن يفرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات وأجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسطه إحداها رخام أبيض ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحري والأديم وغيره مما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعمت وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم يرسم الطعام وما ينفقه عليه خاصة خارجاً عما جلب إليه من الأدوية وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للزوم من جهاز الصيف والشتاء، فإذا نقه المريض فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وإن كان غنياً دفع إليه ماله وترك وسببه ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من

---

(118) انظر في الآثار الوحيدة :

Recherches Archéologiques à Morrakech par Jacques — 1  
Meunié et Henri Terrace ( ابتداء من ص 33 )

Sanctuaires et forteresses almohads Hespéris 1926(22 30 — 2  
trim( 1927 20 30 trim)

Hespéris 1933 030 trim — 3 قلمة موحدية قرب الرباط (الدشيرة): هسبرس

Hespéris 1649 030 40 trim) — 4 حول منبر الكتبية بمراكش : هسبرس

5 — الكتبية : كتاب مراکش لدوردان ج 1 ص 172 - 194 .

غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت . وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله ويعود المرضى ويسأل عن أهل بيت أهل بيت يقول : كيف حالكم وكيف القوامة عليكم ؟ إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج . لم يزل مستمراً على هذا إلى أن مات رحمه الله (119) .

ولو حاولنا أن ننظر في الأطباء لألفينا عددهم كبيراً في هذا العهد ، يكفيننا أن نشير منهم إلى من كانوا علماء أدباء أمثال :

- يحيى بن بقي السلاوي الذي أقام بمرسية « فاشتغل بالطب وظهر فيه فكان يعيد نفسه مما يعود عليه منه (120) » .

- علي بن يقطان السبتي (121) الذي كانت له رحلة إلى مصر و عدن ثم العراق حيث أقام يعمل وكان في نفس الوقت أديباً شاعراً .

#### عاشراً : الجغرافيا :

كانت الجغرافيا على هذا العهد من العلوم المزدهرة في المغرب حيث لمع اسم الشريف الأدريسي ( محمد بن محمد بن عبد الله السبتي 493 - 560 ) . وبلغ من شهرة هذا العالم المغربي أن روجر الثاني ملك صقلية دعاه إلى بلاطه ليفيد من علمه وتجاربه . وقد صنع له الأدريسي خريطتين للعالم إحداهما حائطية والثانية كروية من الفضة . أما الخريطة الأولى فقد فُقد أصلها وبقيت بعض أجزائها . ويقول الأستاذ فيدلار انها توجد بمكتبات باريز واكسفورد واسطنبول وليننجراد والقاهرة ، وهي الأجزاء الموجودة متفرقة في كتاب نزهة المشتاق . وقد استطاع أن يجمع هذه القطع وعددها 255 ويطلع منها سنة 1928 خريطة ملونة . وهناك

---

(119) المعجب 287 - 288 .

(120) بغية الملتبس ص 483 ت 1464 وقد سبق أن ذكرناه مع علماء القراءات .

(121) انظر الخريدة ق 4 ج 1 ص 436 .

خريطة صغيرة طبعتها فيلار تسمى روض الفرج، تنسب الإدريسي وهي في الواقع لابنه محمد صنعها سنة 588 . وأما كرة الفضة فقد ضاعت على اثر الثورة التي قلبت حكم ابن روجر ( فلهم ) سنة 1160 م حيث اقتسم الثوار فضتها .

وقد وضع الادريسي لهذين الخريطين شرحاً ضمنه كتابه المشهور « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق(122)» . كذلك ألف الادريسي لغليوم الأول كتاب « روض الأنس ونزهة النفس » أو الممالك والمسالك(123) . كما أنه لا يمكن أن تذكر الجغرافيا في هذا العصر دون أن نذكر كتاب « الاستبصار في عجائب الأمصار (124) » وقد كان مؤلفه يعيش في عهد الموحدين وفي أزهى فترات هذا العهد ولكنه مجهول .

### حادي عشر : التاريخ

وأما التاريخ وما ينطوي تحته من فنون وفروع فقد عرف ازدهاراً ملحوظاً يتجلى في الكتب العديدة التي ألفت فيه ، سواء منها ما كان خاصاً بالمغرب أو ما كان عاماً . ويكفيينا أن نذكر نماذج من الكتب التي وصلتنا مطبوعة أو مخطوطة .

1 - الدر المنظم في مولد النبي المعظم، لأبي العباس أحمد بن محمد العزفي اللخمي المتوفى سنة 633 ، أكمله ابنه القاسم (125) . توجد منه نسخة بالمكتبة الزيدانية

---

(122) نشر طرف منه مع إحدى وسبعين خريطة. وترجمه إلى الفرنسية André Joubert (40 - 1836) وكان قد نشر مختصر له في روما سنة 1592 كما نشرت ترجمته اللاتينية عام 1519 . وتوجد مخطوطات لنزهة المشتاق في باريز واكسفورد واسطنبول .

(123) مخطوط في مكتبة حكيم أوغلو على باشا باسطنبول. انظر ترجمة الادريسي في دائرة المعارف الإسلامية م 1 ص 547 - 549 .

(124) نشرة الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ( الاسكندرية 1958 ) .

(125) انظر أزهار الرياض ج 2 ص 375 .

وأخرى بمكتبة شهيد باشا في السلمانية باسطنبول (126). ويعتبر هؤلاء العزفيون أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب . وفي مقدمة الكتاب إشارة الى ذلك والى أنها بدعة ولكنها مستحسنة لاسيما وأن النصارى يحتفلون بمولد المسيح .

2 - كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب لمؤلف مجهول كان معاصراً للموحدين . عثر بروفنسال على كتاب مقتبس في الاسكوريال فنشره وترجمه للفرنسية سنة 1928 ضمن كتاب أخبار المهدي للبيدق .

3 - كتاب النبراس في أخبار خلفاء بني العباس لابن دحية ( مطبوع في بغداد ) .

4 - تاريخ الموحدين لأبي بكر علي الصنهاجي المكتفى بالبيدق ، وهو أشبه بمذكرات شاهد عيان كتبها المؤلف عن قيام الموحدين حتى آخر عهد عبد المؤمن . وقد نشرها وترجمها بروفنسال ضمن كتاب المهدي ، للبيدق .

5 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ( 581 - 625 ) جمع فيه أخبار الأندلس والمغرب من الفتح إلى السنة 621 حيث كان عهد يوسف بن محمد الناصر .

يحدث بنا أن نشير إلى بعض الكتب المغربية الأخرى ككتاب « المغرب » أو « المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس » لمحمد البرنسي السبتي (127) وكذلك كتاب المستفاد في مناقب العباد من أهل فاس وما يليها من البلاد ، لمحمد بن قاسم ابن عبد الكريم التميمي (128) .

---

(126) توجد نسخة مصورة عنها عند الكاتب .

(127) انظر جنى زهرة الآس ص 5 .

(128) انظر الجذوة ص 159 وقد تقدم ذكر هذا المؤلف مع الأصول والكلام .



ويجدر بنا كذلك أن نشير إلى أن من أهم مصادرنا عن هذا العصر كتابان لمؤرخين أندلسيين هما ابن القطان وابن صاحب الصلاة . أما عبد الملك المعروف بابن صاحب الصلاة فله «المن بالإمامة» وقد نشره الأستاذ عبد الهادي التازي بعد أن قدمه رسالة للدبلوم .

\* \* \*

كما شجع الخلفاء الموحدون مجالس العلم وحثوا أهله على الدرس والتأليف ، كذلك عنوا بالأدب ورجاله عناية خاصة نشطت حر كته وأوضحت معالمه وخطت به بعيداً نحو الإجازة والابداع . وتتجلى هذه العناية في الصلوات الطائفة التي كانوا يدرونها على الأدباء ، فعبد المؤمن يعطي للشاعر التيفاسي ألف دينار على بيت واحد أنشده إياه هو قوله (129) :

ما هز عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي  
والمنصور يعطي لابن منقذ رسول صلاح الدين (130) ألف دينار لكل بيت من القصيدة التي مدحه بها ، وتضم أربعين بيتاً ، منها :

إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى إلى بحر جود ما لأخراه ساحل  
إليك أمير المؤمنين ولم تزل إلى بابك المأمول تزجي الرواحل  
قطعت إليك البر والبحر موقناً بأن نذاك العمر بالنجح كافل (131)

ولم تكن عناية الخلفاء تقتصر على التشجيع المادي وإنما كانت تتمدها إلى التشجيع المعنوي بممارسة الأدب ونقده وإقامة ندوات يشترك فيها أكبر عدد

(129) انظر وفيات الاعيان ج 1 ص 391 وانظر كذلك الخريدة فقد ورد فيها «قال عبد المؤمن لا تنشر بعده شيئاً : أمن له بألف دينار» ( ق 4 ج 1 ص 152 ) .

(130) انظر الاستقصا ج 2 ص 164 وانظر في ابن منقذ مغرب ابن عذاري ج 3 ص 183 وفي سفارته تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 246 .

(131) النفح ج 1 ص 307 .

ممكن من الشعراء . وقد أقام عبد المؤمن بمناسبة احتفاله ببيعة أهل الأندلس له ندوة (132) على ظهر جبل الفتح (133) استدعى لها الشعراء ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك وإنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم . وكان على بابيه منهم طائفة أكثرهم يجيدون فكان أول من أنشد أبو عبد الله محمد بن حبوس . . . فأنشد في ذلك اليوم قصيدة أجاد فيها ما أراد ، أولها :

بلغ الزمان يهديكم ما أملا وتعلمت أيامه أن تعدلا  
وبحسبه أن كان شيئاً قابلاً وجد الهداية صورة فتشكلا (134)

كذلك أقام المنصور ندوة أدبية على أثر عودته من غزوة الأرك حيث « ورد عليه الشعراء من كل قطر من أقطار مملكته يهنئونه ، فلم يكن لكثرتهم أن ينشد كل شاعر قصيدته بل كان يختص بإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة . وانتهت رقاع القصائد وغيرها في هذا اليوم إلى أن حالت بين يعقوب وبين من كان أمامه لكثرتها (135) » .

وكان للخلفاء الموحدين وخاصة منهم عبد المؤمن والمنصور احساس بالفن وشعور بالجمال جعلهما يتذوقان الشعر ويتفهمانه وينقدانه . أنشد الشاعر الأصب المرواني (136) أمام عبد المؤمن قصيدة يعارض بها بائنة أبي تمام : « السيف أصدق أنباء من الكتب » قال :

ما للعدا جنة أوقى من الهرب ... ..  
« فقال عبد المؤمن رافعاً صوته : إلى أين ... إلى أين ... ؟ »

(182) انظر تفاصيل هذه الندوة في المعجب ص 213 - 223 وفي مغرب ابن عذاري

ج 3 ص 45 - 46 .

(133) هو جبل طارق .

(134) المعجب ص 213 - 214

(135) النفع ج 2 ص 403 وانظر المعجب 293 ومغرب ابن عذاري ج 3 ص 197 .

(136) هو حفيد الشريف الطليق المرواني الذي توفي قريباً من سنة 400 ( انظر المعجب

. ( 217 - 215 )

فقال الشاعر :

... ..  
أين المفر وخيل الله في الطلب  
وأين يذهب من في رأس شاهقة  
وقد رمته سماء الله بالشهب  
وحدث عن الروم في أقطار أندلس  
وبالبحر قد ملأ العبرين بالعرب

فلما أتم القصيدة قال عبد المؤمن : بمثل هذا يمدح الخلفاء (137) . وأنشده  
مرة ابن سيد اللص (138) :

غض عن الشمس واستقر مدى زحل وانظر إلى الجبل الراسي على جبل  
أنى استقر به أنى استقر به أنى رأى شخصه العالي فلم يزل

فقال له عبد المؤمن : « لقد نقلتنا يا رجل ، وأمر به وأجلس (139) » إشعاراً  
من الخليفة بأن مادحه لم يدرك أبعاد اللحظة وما كانت تقتضي من معان مدحية  
تبرز شجاعة الخليفة وإقدامه على الجهاد وتحقيقه للنصر وليس مجرد تشبيهه بالجبل  
الثابت المستقر . ومدح ابن مجير يوسف بن عبد المؤمن بأحد الفتوح قال :

إن خير الفتوح ما كان عفواً مثل ما يخطب الخطيب ارتجالاً  
وكان أبو العباس الجراوي حاضراً فاعترض عليه بأنه اهتدم بيت وضاح:  
خير شراب ما كان عفواً كأنه خطبة ارتجالاً

(137) المعجب 316 .

(138) هو أحمد بن علي بن محمد سيد الكنتاني شاعر اشبيلي ولد سنة 502 أو 503 وتوفي سنة 577  
أو 78 و « يعرف باللص لقبه بذلك أبو بكر الأبيض الأديب في صفره لاغارته بزعمه  
على الأشعار فقلب عليه » ( التكملة ج 1 ص 80 ته 212 . انظر في ترجمته كذلك المطرب  
ص 201 وزاد المسافر ص 52 والرايات ص 19 ومغرب ابن سعيد ج 1 ص 282 وبغية  
الرواة ص 149 ونفع الطيب ج 5 ص 335 .

(139) المعجب ص 217 .

فبدر المنصور - وكان بالمجلس وهو إذ ذاك وزير أبيه يوسف - وقال : إن كان اهتمامه فقد استحق لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف ، فسر بجوابه وعجب الحاضرون (140) .

وبلغ من ميل الخلفاء الموحدين إلى الشعر أن نسب إليهم المؤرخون أبياتاً وقصائد لا تملك إلا أن نشك في صحة نسبتها إليهم ، لا سيما من لم يكن منهم - من حيث التكوين الفكري وقدرة التعبير - مهياً لقول الشعر . أما حين يتعلق الأمر بالمهدي أو المرتضي - وكان مشهوداً لهما بالتبريز الثقافي - فإن حدة الشك تخف بعض الشيء .

وهذه قضية كثيراً ما نصادفها في تاريخنا الفكري والأدبي حيث نجد المؤرخين يعدون غير قليل من رجال الحكم والدولة في سجل الكتاب والشعراء والمؤلفين . وهي قضية تحتاج في معالجتها الى كثير من التروي والحذر بدءاً من الشك الذي يحثنا عليه ما نعرف من أن الخلفاء والأمراء والحكام عامة كان لهم كتاب وشعراء كثيراً ما كانوا يؤلفون باسمهم وينظمون ، خاصة حيث يكون لهؤلاء المسؤولين نصيب من ثقافة علمية أو أدبية ، وخاصة كذلك حيث يكون للدولة - أو حين تريد أن يكون لها - طابع فكري ، كما هو الشأن بالنسبة لدولة الموحدين ، وخاصة بعد هذا حين تقتضي تقاليد المراسلة التوسل بالشعر في المخاطبات والمكاتبات الرسمية (141) .

ففي الخريدة (142) أن المهدي قال قبل قيامه بالمغرب هذه الأبيات :

اني وفي النفس أشياء مخبأة      لألبس لها درعاً وجلباباً  
كيا أظهر دين الله من دنس      وأوجب الفضل للسادات ايجاباً

(140) النفج ج 2 162 .

(141) انظر نماذج من ذلك في البيان المغرب ج 3 ص 39 - 42 - 72 - 88 - 114 .

(142) ق 4 ج 1 ص 195 .

تا لله لوظفرت كفي ، بطلبها ما كنت عن ضرب أعناق الوري أبي  
وفي الحلل (143) أنه قال في أبي عبد المؤمن :

تجمعت فيك أشياء خصصت بها فيكنايبك مسرور ومفتبط  
فالسن ضاحكة والكف مانحة والصدر متسع والوجه منبسط

وفي تاريخ البيهقي (144) أن الإمام المهدي لما حضرته الوفاة جلس ذات يوم في  
بيته إذ سمع صوتاً رقيقاً من وراء البيت وهو يقول :

كأنني بهذا البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله  
فأجاب المهدي :

كذاك أمور الناس يبلى جديدها وكل منا حقاً ستبلى خصائله  
فأجابه الهاتف قائلاً :

تزود من الدنيا فإنك راحل وانك مسؤول ، فما أنت قائله  
فأجاب المهدي :

أقول بأن الله حقاً شهادته وذلك قول ليس تخفى فضائله  
فأجاب الهاتف فقال :

فخذ عدة للموت انك ميت وقد أزر الأمر الذي انت نازله  
فأجاب الهاتف فقال :

نبيت ثلاثاً بعد عشرين ليلة الى منتهى شهر فما أنت كامله

(143) ص 98 .

(144) ص 81 - 82 .

كذلك أورد له ابن خلكان (146) أبياتاً ثلاثة هي هذه :

أخذت بأعضادم اذناوا      وخلصك القوم اذا ودعوا  
فكم أنت تنهى ولا تنتهي      وتسمع وعظما ولا تسمع  
فيا حجر السن حق متى      تسن الحديد ولا تقطع

أما عبد المؤمن فقد ذكر المراكشي أنه « كتب رسالة الى عرب افريقية يستنفرهم فيها الى الغزو بجزيرة الأندلس وأمر أن تكتب في آخرها أبيات قالها رحمه الله في ذلك المعنى (146) » أولها :

أقيموا بني العلياء هوج الرواحل      وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل  
وذكر ابن عذارى (147) أن عبد المؤمن أمر - على اثر فتح المهدي سنة 555-  
أن تكتب هذه القصيدة في وصف الفتوح :

وأشرقت الشمس المنيرة فوقنا      وأصبح وجه الحق غير محجب  
وطهر هذا الصقع من كل كافر      وعاد به الإسلام بعد تقلب  
وكسرت الصلبان في كل بيعة      ونادى منادي الحق في كل مرقب  
وسرنا بأعناق المطي اليكم      فطار بها شأو السرور بمغرب  
فأبشر أبا حفص بنصر مؤزر      كفيل بما تبغيه في كل مذهب  
ولا بد من يوم أغر محجل      يسيل دماء الكفر في كل مذنب  
وتشفى صدور المسلمين بغزوة      تكون على حكم الحسام المدرب

(145) الرايات 98 والوفيات ج 2 ص 53 .

(146) المعجب 225 واکتفينا باطلاع إذ في مغرب ابن عذارى أن الأبيات من قول ابن عياش  
( ج 3 ص 89 ) .

(147) البيان المغرب ج 3 ص 41 .

ويغزو بلاد الروم جيش عرمرم  
بغيل من بني قيس وأبناء يعرب  
يصول به عن عصابة الحق معشر  
يحملة ما يلقاه خسير مجرب  
فيدفع بالصمصام كل مجاهر  
ويقطع بالبرهان كل مشغب  
فظوبى لأهل الغرب ماذا يرونه  
من النصر والفتح المبين المقرب

فأمر الأمير أبويعقوب أن يكتبها الطلبة باشبيلية ويحفظوها وذكر لهم أنها  
من انشاء أبيه (148) .

وعند صاحب الحلل (149) أن أبا محمد عبد الله الجياني هنا عبد المؤمن ببعض  
انتصاراته بقصيدة أولها :

أضاعت لنا الايام واتصل النجج  
وكانت وجوه الدهر مسودة كالج  
فرد عليه الخليفة بقوله :

هو الفتح لا يحلو غرائبه الشرح  
أصاب بني التجسيم من بأسه طرح  
أنتنا به البشرى على حين غفلة  
بهلك قوم كان موعدها الصبح

وفي القرطاس أنه « خرج يوماً مع وزيره أبي جعفر بن عطية (150) متنزهاً  
الى بعض بساتين له براكش، فمر في طريقه بشارع من شوارع المدينة فإذا بطاق  
في دار عليه شباك خشب قد قابله منها وجه جاريه كأنه الشمس الضاحية قد

---

(148) نفس المصدر .

(149) ص 131 .

(150) هو الكاتب الوزير أبو جعفر احمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي  
(517 - 533) كان كاتباً لعلي بن يوسف تاشفين بن علي الرابطين قبل اتصاله بالموحدين  
ثم عين كاتباً ووزيراً لعبد المؤمن ولكنه لم يلبث أن كشف عنه أشياء دفعته إلى قتله على  
الرغم من كثرة استعطاقه له . ( أنظر المعجب 199-200 والبيان المغرب ج 8 ص 26-35  
والعلوم والفنون ص 14 - 15 والمراجع المذكورة ) .

بادرت الطاق تنظر اليه ، فنظر اليها عبد المؤمن فأعجبه حسنهما من قلبه كل  
الحل ، فقال ارتجالاً :

قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت

فقال أبو جعفر : حوراء تنو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المؤمن : كأننا لحظها في قلب عاشقها

فقال أبو جعفر : سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي

فاستحسن اجازة وزيره فخلع عليه وأمر له بمال جزيل(151)»

كذلك ذكر له العماد الحنبلي بيتين قالهما « وقد كثر انشوار عليه »(152) هما :

لا تحفلن بما قالوا وما فعلوا ان كنت تسمو الى العليا من الرتب

وجرد السيف فيما أنست طالبه فما ترد صدور الخيل بالكتب

وأما المنصور فقد أورد له المقري(153) أبياتاً كتب بها الى المغرب ، هي :

يا أيها الراكب المزجي مطيته على عذافرة تشقى بها الأكم

بلتغ سليمى على بعد الديار بها بيني وبينكم الرحمن والرحم

يا قومنا لاتشبوا الحرب أن خدمت واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا

كم جرب الحرب من قد كان قبلكم من القرون فبادت دونها الامم

حاشا الاعارب أن ترضى بمنقصة ياليت شعري هل تراهم علموا

(151) القرطاس ص 144 .

(152) شذرات الذهب ج 4 ص 183 .

(153) النفع ح ص 100 .



يقودهم أرمي(154) لا خلاق له  
الله يعلم أني ما دعوتكم  
ولا لجأت لأمر يستعان به  
لكن لأجزي رسول الله عن نسب  
فإن أتيتم فحبل الوصل متصل  
كانه بينهم من جهلهم علم  
دعاء ذي قوة يوماً فينتقم  
من الامور وهذا الخلق قد علموا  
ينمى اليه وترعى تلسم الذمم  
وأن أبيتهم فعند السيف نحتكم

كذلك تقرأ في الحلال (155) أبياتاً للمأمون قالها في مجزرة بمراكش سنة 627  
قتل فيها آلافاً من مخالفيه وهي :

أهل الحرابة والفساد في الورى  
ففساده فيه الصلاح لفسيره  
ذكارهم ذكرى اذا ما أبصروا  
لو عم حكم الله سائر خلقه  
يمززون في التشبيه للذكار  
بالقطع والتعليق في الاشجار  
فوق الجذوع وفي ذرى الاسوار  
ما كان اكثرهم من اهل النار

كما نقرأ في مغرب ابن عذاري أشعاراً لعمر المرتضى أوردها بعد أن قال  
عنه : كان أديباً عفيفاً شاعراً ظريفاً غير أن شعره كان ضعيفاً ووقفت له على  
سفر مجلد من شعره (156) ، وهي قوله :

ولما مضى العمر الا الاقل وحن لروحي فراق الجسد  
دعوت الى الله مستعظفاً ليصلح مني ما قد فسد

154 ( يعنى قرقوش الذي كان يتأمر مع ابن غانية .

155 ( ص 139 .

156 ( ج 3 ص 542 وقد وردت هذه الابيات في الحلال ( 141 ) مع كسر في البيت الأول .

ويذهب عنها الريا والحسد  
وسوق العفاف بها قد كسد

ويصلح نفسي وأخلاقها  
فسوق الرياء بها نافع

وقوله في شهر ربيع (157) :

أذكى من المسك العتيق نسيماً  
يزهو به فخرأ وحاز عظيماً  
ملاً الزمان علاؤه تعظيماً  
وتأنقت أرجاؤها تنعيمياً  
وغدا به دين الإلاه قويماً  
فلقد غدا بين الشهور كريماً  
صلاوا عليه وسلوا تسليمياً

وإني ربيع قد تعطر نفعه  
بولادة المختار أحمد قد بدا  
بشرى بشهر فيه مولده الذي  
ضامت به شرق البلاد وغربها  
فاعترت أمر الله يوم طلوعه  
فاعرف لهذا الشهر حقاً قدره  
شهر كريم جاء فيه محمد

وقوله معتذراً عن لقبه (158) :

هيات أين وأين منى المرتضى  
إلا ما أرجوه منك من الرضى

يدعون عبدك سيدي بالمرتضى  
مالي على ما لقبوه قدرة

وقوله يرثي نفسه (159) :

وما أخذت من الدنيا سوى كفن  
تالله لو كان لي حكم على زمن

قهر المنية تحت التراب أسكنني  
فيا بنيّ ويا إلفي ويا سكني

يوماً من الدهر ما فارقتم أبدأ

وبين باك من اللذات ممتنع  
ألبيت من بعد عري أهون الخلع

تركتهم بين تشتيت ومجتمع  
ونسوة بالفنا يبكون من جزع

وما مدت لهم يوم الوداع يدا

(157) نفس المصدر .

(158) نفس المصدر .

(159) المصدر السابق ص 453 - 454 .

أنا الغريب بأرض ضاق مسلكه      مع البنين ولكن كنت أملكه  
ما كان ظني صغير القوم أتركه      في حجر مرضعة يحبو فتمسكه

بالرغم مني تركت المال والولدا

طمعت في الروح أن يبقى معي فأبى      لمّا تحقق أن الأمر قد وجبا  
ونال صرف زماني كل ما طلبا      وصرت مستوحشاً من جملة الغربا

وعند قطع رجائي لم أجد أحدا

عين الزمان أصابتني بنظرها      وأذهبت عزتي في طول مدتها  
عجبت من بطئها عني وسرعتها      وكيف ما زجني تكوين صبغتها

في حين فارق مني روعي الجسدا

مهما يكن من صحة نسبة هذا الشعر إلى الخلفاء (160) أو عدم صحته ، فإنه يدل على ميلهم إلى تذوق الأدب وتعاطيه . ولا شك أن هذا الميل كان له أكبر الأثر في خلق نهضة أدبية لهذا العصر . وكان نتيجة لهذه النهضة أن جمعت عدة دواوين شعرية وألفت كتب أدبية وصلنا البعض منها وضاع الكثير . من هذه الكتب والدواوين :

– ديوان الخليفة عمر المرتضى (161) .

– ديوان شاعرنا الأمير أبي الربيع .

---

(160) انظر أرقاماً منسوبة إلى أبناء الخلفاء والأمراء الموحدين في الغصون اليانعة ص 150 والبيان المغرب ج 3 ص 99 – 100 وأمراؤنا الشعراء ص 32 – 35 والعلوم والفنون 160 – 164 .

(161) ورد ذكره في البيان المغرب حيث قال ابن عذاري « وقفت له على سفر مجلد من شعره بنظمه ونثره » ( ج 3 ص 452 ) .

- ديوان أبي بكر عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي (162) .
- ديوان أبي عبدالله محمد بن حبوس (163)
- ديوان أبي العباس الجراوي (164) .
- ديوان أبي عمرو ميمون خبازة الخطابي (165) .
- ديوان أبي عبدالله محمد بن علي بن العابد الأنصاري (166) .
- المطرب في أشعار أهل المغرب لأبي الخطاب بن دحية (167) .
- صفوة الأدب ونخبه كلام للجراوي (168) .

(162) ورد ذكره في الجذوة حيث ورد أن ابن القطان قال: «أرانا شعره مجموعاً (ص 278).

(163) ورد ذكره في المطرب حيث قال ابن دحية: «وقد رفعت ديوان شعره للمقام المولوي السلطاني الملكي الكاملي الناصري أدام الله انعامه» (ص 200) وذكره صاحب الذيل والتكلمة حيث قال بأن شعره يناهز «سنة آلاف بيت وقد وقفت منه على مجلد متوسط» (الإعلام لابن ابراهيم ج 3 ص 31) وهو غير موجود .

(164) ذكره ابن الأبار في التكلمة حيث قال: «وقفت على ديوان شعره» (ج 1 ص 128 تـ 323) وهو غير موجود .

(165) ورد ذكره في ازهار الرياض حيث قال المقرئ «وقد كتب عن أبي عمرو هذا كثيراً من شعره أبو عمرو سالم بن صالح النهرواني المالقي» (ج 2 ص 380) وهو غير موجود.

(166) ذكره في البغية حيث قال «وله شعر كثير مدون» (ص 77) وهو غير موجود .

(167) طببع في القاهرة سنة 1954 بتحقيق ابراهيم الابياري وحامد عبد الحميد واحمد بدوي.

(168) ذكر ابن الأبار أنه «ألف للسلطان كتاباً في معنى الحماسة لحبيب سماه صفوة الأدب ونخبة كلام العرب أخذه الناس عنه» (التكملة ج 1 ص 128 تـ 323) أنظر كذلك كشف الظنون (ج 2 ص 1079) حيث وصفه بأنه «من أحسن الجاميع» . يوجد مختصر له بقلم المؤلف يسمى (الحماسة المغربية) أو (الحماسة المتأخرة) كما يسميه بعض المستشرقين . ويوجد هذا المختصر مخطوطاً في مكتبة السلطان الفاتح باسطنبول كما توجد صورته بخرانة الرباط العامة .

\* \* \*

ولو حاولنا أن نلقي الضوء على أدباء هذا العصر لاحتاج الأمر منا إلى حيز جيد بنا عما نحن بصده في هذه الدراسة التمهيدية . لذلك سنقتصر منهم على بعض الأعلام الذين تبلورت في شعرهم مواقف واضحة واتجاهات متميزة عسانا نحدد ملامحها من خلال ما سنورد لهم من نماذج ، انطلاقاً مما شاع عن أدب هذا العصر أنه كان أدباً دينياً مذهبياً متأثراً بالدعوة الموحدية ، لا مجال فيه للخمریات وأدب التغزل والجانب الذاتي عامة ، وأنه كان بسيطاً لا أثر فيه للصنعة والزخرف . وهي سمات سنرى في بقية هذا الفصل ثم حين ندرس شعر أبي الربيع أنها أطلقت على أدب هذا العصر ونسبت له تعسفا .

ويمكننا أن نميز خمسة اتجاهات متمثلة عند هذه الطوائف من الشعراء :

1 - شعراء العصر المرابطي الذين أدركوا عهد الموحدين ولكنهم لم يتجاوبوا مع مذهبه فضلاً عن أن يتأثروا به ، وربما كان لبعضهم منه موقف معارضة ، فظلوا في شعرهم ذاتيين تلح عليهم فيه موضوعات الوصف والغزل وما إليها مما يتيح التعبير عن المشاعر الفردية والأحاسيس الخاصة ، في أسلوب تبدو عليه ملامح الصنعة القائمة على محسنات البديع ، متأثراً بتيار الشعر الأندلسي الذي كان قد بدأ يطبع إنتاج شعراء المغرب في عصر المرابطين ، على الرغم من الطابع الفقهي الذي كان يميز هذا العصر .

ويعتبر القاضي عياض من أبرز شعراء هذه الطائفة ، وهو يقول في زرع نخلته شقائق النعمان وقد هبت عليها الريح :

---

(169) يوجد الجزء الاول من هذا المختصر في خزانة جامعة القرويين تحت رقم 246

( ق 154 ) .

تحكي وقد ماست أمام الرياح  
شقائق النعمان فيها جراح (170)

انظر إلى الزرع وخاماته  
كتيبة خضراء مهزومة

ويقول متغزلاً (171) :

لبالي وصلها بالرقمتين  
رأيت بعينها ورأت بعيني

رأت قمر السماء فأذكرتني  
كلانا ناظر قمرأ ولكن

ويقول معاتباً وشاكياً في لوعته في جناس تام رائع :

لكنه للضنى والسقم أوصى بي  
أخا جوى وتباريح وأوصاب  
كأنني راصد للنجم أوصابي  
إلا جنى حنظل في الطعم أوصاب (172)

يا من تحمل عني غير مكترث  
تركتني مستهام القلب ذا حرق  
أراقب النجم في جنح الدجى سهراً  
وما وجدت لذيد النوم بعدكم

ويقول في نفس الروح والأسلوب :

كطائر خانه ريش الجناحين  
فإن بعدكم عني جنى حميني (173)

الله يعلم أني منذ لم أركم  
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم

ويقول عند ارتحاله عن قرطبة (174) :

حداتي وزمت للفراق ركابي  
وصارت هواء من فؤادي ترائبي

أقول وقد جد ارتحالي وغردت  
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي

---

(170) المطرب 87 وانظر البيتين في قلائد العقبان (ص 234) مع تغيير في صدر البيت الثاني حيث ورد كآتي : كئائباً تجفل مهزومة .

(171) نفع الازهار ص 9 .

(172) المطرب 87 .

(173) المصدر السابق ص 88 .

(174) القلائد 234 .

وداعي للأحباب لا للحبائب  
وسقّى رباها بالعمود السواكب  
طليق الحيا مستلان الجوانب  
معاهد جار أومودة صاحب

ولم تبق إلا وقفة يستحشا  
رعى الله جيراناً بقرطبة العلى  
وحيناً زماناً بينهم قد ألفتها  
أ إخواننا بالله فيها تذكروا  
ويقول كذلك من قصيدة (175) :

فأبدى له جهد اعترافي أو عذري  
ألفتهم إلف الخائل للقطر  
فنايمم أذكى وأنكى من الجمر  
وإن طال لم يمزج بصد ولا هجر  
أحملها نجوى تلجلجُ في صدري  
معطرة الأرجاء دائمة البشر

عسى تعرف العلياء ذنبي إلى الدهر  
وقد حال ما بيني وبين أحبة  
هم أودعوا قلبي تباريح لوعة  
على أن لي سلوى بأن فراقهم  
سأفزع للريح الشمالي لعلني  
تبلغ منها للوزير تحية

2 - شعراء عاصروا عهدي المرابطين والموحدين وانتصروا هؤلاء  
وساروا في تيارهم المذهبي ، يمدحون الخلفاء ، يصفون فتوحاتهم ويهنئونهم  
بالانتصار ، متأثرين بالمبادئ التي أقام عليها المهدي دعوته ، ومعبرين عنها  
وخاصة ما يتصل منها بإثبات الدعائم السياسية لهذه الدعوة . ويعد ابن  
حبوس (176) في طليعة هذه الفئة ، فقد كان متصلاً بالمرابطين يحظى عند  
أميرهم علي بن يوسف إلى حد قال عنه المراكشي « انه كان في دولة لمتونة  
مقدماً في الشعراء » (177) . ولكنه لم يلبث أن اتخذ موقفاً ضد المرابطين

(175) المصدر السابق ص 233-234 .

(176) أبو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس (500-570) انظر في ترجمته المعجب  
ص 213 والمطرب ص 199 وزاد المسافر ص 1 والتكملة ج 2 ص 677 تـ 1711 ووفيات  
الاعيان ج 2 ص 15 والاعلام لابن ابراهيم ج 3 ص 26 وانظر كذلك :

La poésie à Fés sous le Almoravides et les Almohades par  
H. Pérès ( Hespéris T 18 1934) .

. وانظر بحثاً للكاتب ( دعوة الحق ص 4 عد 6 مارس 1961 ) (177) ص 214 .

اضطره إلى أن يهرب للأندلس . ويعلل المراكشي لهذا الموقف بأنه « نقلت إليهم عنه حماقات » (178) . ولعلنا من خلال العناصر القليلة المتوفرة لدينا عن حياته وشعره نرجح أن يكون التفسير للحماقات مرتبطاً بتحرر الشاعر الفكري ، ورفضه في هذه الفترة المنهارة من تاريخ المرابطين لموقف الفقهاء المتزمت . ولدينا قصيدة للشاعر تتضح من خلالها أبعاد ثورة ابن حبوس ، يقول فيها (179) :

تدع ولم يحفل بضلة ملحد  
الغيب قلت قسدي من الدعوى قد  
والعقل ينكر كل ما لم يشهد  
وهي القريبة ، من له بالأبعد  
جرحوا القلوب وأقبلوا في العود  
إن لم تعلمهم عو لها فكأن قد  
تلك التي جلبت منية أربد

الدين دين الله لم يعبأ بعب  
قالوا بنور العقل يدرك ما وراء  
بالشرع يدرك كل شيء غائب  
من لم يحط علماً بغاية نفسه  
أعداؤنا في ربنا أحببنا  
ستناهم منا الغداة قوارع  
وتصب فيهم سحبتنا بصواعق

.....

جاءت من الدعوى .....  
فإذا طلبت حقيقة لم توجد

قال الفلاسف قلت تلك عصابة  
خدعت بالفاظ تروق لطافة

.....

وجميع مسنون النبي محمد

يلغى كتاب الله بين ظهورهم

وإذا كانت محاولة الربط بين موقفه من المرابطين وبين الأفكار الواردة في القصيدة وخاصة ما يتصل منها بالدعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة تجعلنا

(178) ص 214 .

(179) الاعلام ج 3 ص 28 - 29 .



ترجح أن تكون هذه القصيدة موجهة للفقهاء الذين تمسكوا بالفروع ، فإن ما نلاحظه فيها من هجوم صريح وعنيف ضد الفلاسفة يجعلنا نميل إلى اعتبارها تعبر كذلك عن موقف فكري عند الشاعر ضد التيار العقلي الذي كان طاغياً في عهد الموحدين ، مما يدل على أن ابن حبوس كان معتدلاً في تفكيره يرفض نقل الفقهاء الجامد كما يرفض غلو الفلاسفة في أعمال العقل . ويبدو الشاعر بهذا الموقف الوسط أقرب إلى التزام آراء الدعوة الموحدية في الحدود التي رسمها لها ابن تومرت داخل إطار متوازن بين الشرع والعقل .

ومهما يكن فقد أصبح ابن حبوس - بعد أن عاد إلى المغرب على أثر فتح عبد المؤمن للأندلس - شاعر الخليفة الرسمي ، يصاحبه في إقامته ورحلته ويشهد معه الوقائع والحروب ويمدحه ويصف فتوحه وانتصاراته . وقد تكون قصيدته في فتح بجاية هي أول شعره بعد عودته ، وفيها يقول (180) :

من القوم بالغرب تصغي إلى	حديثهم أذن المشرق
جروا والمنايا إلى غاية	فلم يسبقوها ولم تسبق
بأيديهم النار مشبوبة	فمها تصب باطلا تحرق
يقودهم ملك أروع	تفرد بالسؤدد المطلق
إلى الناصرية سرنا معاً	ولما تفتنا ولم تلحق

وقد كانت الندوة التي أقامها عبد المؤمن على ظهر جبل الفتح فرصة الشاعر حيث برز بقصيدته التي أولها (181) :

بلغ الزمان بهديكم ما أملا	وتعلمت أيامه أن تعدلا
وبحسبه أن كان شيئاً قابلاً	وجد الهداية صورة فتشكلا

(180) زاد المسافر ص 6 .

(181) زاد المسافر ص 2 .

وفيها يقول عن آراء المذهب من خلال استعارات محكمة وتشبيهات رائعة :

فلا نتم الحق الذي لا يترى	فيه وليس يجائز أن يُجھلا
ولأنتم سر الإلاه وأمركم	ملأ العوالم بجملا ومفصلا
عزلت ولاة الحس عن إدراكه	فهو المنزه حسبه أن يعقلا
كأترتم زهر النجوم أسنة	وأدرتم فلكا عليها القسطلا
ومنعم الريح الهبوب لأنكم	أرسيتم الحلق المضاعف اجبلا
صدت تمشى القهقري ولو انها	خاضت رماحكم لعادت منخلا

وفي طريق عودته إلى مراکش توقف الخليفة يجيشه على شاطئء المحيط عند مدينة الرباط ، فاستوحى الشاعر من روعة الإطار وجلال الموقف قصيدته التي يقول فيها (182) .

ألا أيهذا البحر جاورك البحر	وخيم في أرجائك النفع والضر
وجاش على أمواهك العقل والحجا	وفاض على أعطافك النهي والأمر
وسال عليك البر خيلا كماتها	إذا حاولت غزو وأفقد وجب النصر
لملك يطغيك اشتراك سمعته	فذلك بحر لا يشاكله بحر
فأنت خديم الشمس والبدر عنوة	وتخدمه في أمره الشمس والبدر
ويجويك شطر الأرض تقمر بفضه	وفي صدره الافلاك والبحر والبر

وعلى هذا النحو من القول سار ابن حبوس في مدح الخليفة وأبنائه وخاصة منهم أبا يعقوب مما جعله يحظى عندهم وباستمرار .

(182) المصدر السابق ص 2 - 3 والاعلام ج 3 ص 27 .

3 - شعراء نشأوا في أحضان الدولة ووهبوا أنفسهم وشعرهم لها فكانوا لسان حالها المعبر عن مواقفها والمدافع عن كيانتها من خلال مدح الخلفاء ووصف الفتوح والإشادة بالانتصارات . ولعل أبا العباس الجراوي (183) كان في طليعة هذه الفئة من الشعراء فقد « كان عالماً بالأدب حافظاً بليغ اللسان شاعراً مفلحاً (184) » وكان « من شيوخ الأدب رزق طول العمر والجاه ومجالسة الخلفاء فأول من جالسه منهم عبد المؤمن ثم جالس أبا يعقوب ثم جالس المنصور (185) ... وهو أديب المغرب على الإطلاق في زمانه مع ما له من اعتداد بالنفس والافتدال في التقصيد (186) » . وينكاد كل شعره أن يكون في إطار الدولة الرسمي ، لم يتح فيه المجال لذاته إلا نادراً ، مما جعله يعتبر بحق شاعر الخلافة الموحدية . ويكفي في الدلالة على ذلك أن عبد المؤمن يقول له : « يا أبا العباس اننا نباهي بك أهل الأندلس » ومع ذلك فإننا لا نجد من شعره في عبد المؤمن إلا ثلاث قصائد . الأولى (187) قالها في انتصار له بالأندلس سنة ست وخمسين وخمسة مائة ، مطلعها :

أعليتَ دين الواحد القهار      بالمشرفية والقننا الخطار  
وفيهما يقول :  
وسلكت من طرق الهداية لاجبا      طوبى لمن يمشي على الآثار

(183) انظر في ترجمته وشعره : الفصون البيانة 98 والمغرب ج 2 ص 209 وزاد المسافر 7 والتكلمة ج 1 ص 128 ته 323 والمقتضب 44 وأزهار الرياض ج 2 ص 364 والنفع ج 5 ص 228 ووفيات الاعيان ج 2 ص 494 والبيان المغرب ج 3 في أماكن متفرقة والاعلام لابن ابراهيم ج 1 ص 342 وشاعر الخلافة الموحدية وذكريات المشاهير عدد 6 .

(184) التكلمة ج 1 ص 128 .

(185) الفصون 99 - 100 .

(186) المصدر السابق 102 .

(187) البيان المغرب ج 3 ص 46 - 47 .

وجرت معالكم إلى الأمد الذي  
وقفت على ما قد أردت سعادة  
بعدت مسافته على اسفار  
وقفت عليها خدمة الأقدار

.....

لاغرو ان كنت الأخير زمانه  
وافيت أندلساً فأمن خائف  
والفصل للأصال والأسجار  
وسما لأخذ الثار رب الثار  
منه عقود عزائم الكفار  
وحللتهم جبل الهدى فحللتهم

ويقول في الثانية (188)

ومن يكن من أمير المؤمنين فقد  
اهناً إمام الهدى فالعدل منبسط  
قامت على فضله منه الشهادات  
والدين منتظم والكفر أشتات

أما الثالثة (189) - وقالها في فتح المهديّة - فمطلعها :

لمن الخيول كأنهن سيول  
وفيا يقول :

عم البسيطة ملكه فكأنه  
جهل النصارى أنه الملك الذي  
سيل على كل البلاد يسيل  
يرث البلاد وعذرهم مقبول

كذلك نجد للجراوي قصائد في يوسف منها قصيدة (190) في بعض انتصاراته  
بالأندلس ، أولها :

عن أمركم يتصرف الثقلان  
وبنصركم يتعاقب الملوان

---

(188) المصدر السابق 47 - 48 .

(189) نفس المصدر .

(190) البيان المغرب ص 104 .

وبما يسوء عدوك ويسركم  
جاهدتهم في الله حق جهاده  
تتحرك الأفلاك في الدوران  
ونهضتم بحماية الإيمان

ومنها قصيدة (191) في مدحه وتهنئته بالبرء من مرض ألم به ، مطلعها :

ستملك أرض مصر والعراقا  
وتجري نحوك الأمم استباقا

وذكر له ابن خلكان هذين البيتين (192) « من شعره من جملة قصيدة مدح  
بها الأمير يوسف ... وهو بديع غريب » :

ان الامام هو الطبيب وقد شفى  
حمل البسيطة وهي تحمل شخصه  
علل البرايا ظاهراً ودخيلاً  
كالروح توجد حاملاً محمولاً

وربما كان الجراوي في هذه الفترة - على الرغم من قوله عبد المؤمن له -  
لا يحتل المكانة الأولى التي يبدو أن الذي كان يشغلها هو الشاعر ابن حبوس ،  
ولعل هذا ما جعله لا يبرز في الحلبة إلا على عهد المنصور الذي من تقديره له  
أنه كلفه بمجالسة الأمير عبد الرحمن ابن منقذ الذي أرسله صلاح الدين الأيوبي  
على رأس سفارة إلى مراکش . وقد أنشأ فيه العديد من القصائد يصف فيها  
مختلف مواقفه وتحركاته . منها قصيدة (193) في فتح بجاية ، مطلعها :

لواؤك منصور وسعدك غالب  
وحزبك للأعداء عنك محارب

وفيه يقول مادحاً الخليفة :

إمام له فضل على الخلق باهر  
ومرتبة تنحط عنها المراتب

(191) المصدر السابق ص 125 .

(192) الوفيات ج 2 ص 495 .

(193) البيان المغرب ج 3 ص 151 - 152 .

وفوراً ألاً الله تلك المناقب  
وقد زاحت منها السماء الذوائب  
تقرّ لها بالمعلوات المناسب  
ولا عجب إن المزايا مواهب

مناقبه مثل الكواكب كثرة  
هي الدوحة السماء في الأرض أصلها  
له نسبة قيسية قرشية  
حقيق بيرات النبوة والهدى

وله في مدحه (194) وتهنئته بالشفاء :

عم السرور به وانثالت النعم  
سهد ولا قلب إلا شفه ألم  
ببرئه وهو طلق الوجه مبتسم  
وزاحت زحلاً في أفقه الهمم  
نوراً فلم يبق لا ظلم ولا ظم  
فليس يوجد لا جهل ولا عدم

بره الإمام حياة الخلق كلهم  
شكا فلا مقلة إلا أضربها  
تجهم الدهر لما أن شكا وبدا  
صحت بصحته الآمال وانتمشت  
أفاض عدلاً على الدنيا وألبسها  
وبث في كل إقليم هدى وندى

ومن أحسن شعره قصيدته (195) في غزوة الأرك ، ومطلعها :

هو الفتح أعياء وصفه النظم والنثرا  
وعمت جميع المسلمين به البشرية

كذلك قال الجراوي في الناصر حيث نذكر له من شعره فيه قصيدتين (196)  
أنشأهما في التهنئة بتجديد بيعته . يقول في الأولى :

والجد غير مقابل بمزاح  
أغنى عن الإصباح والمصباح

تأبى الخلافة من سوى أكفائها  
عشيت بنوركم البلاد فمن بها

(194) المصدر السابق ص 188 .

(195) المصدر السابق ص 197

(196) المصدر السابق 212 - 213 .

سكنت ببيعته القلوب ولم تزل  
 عم السرور بها البسيطة كلها  
 لازلت للأعياد تمنح بهجة  
 تهفو من الاشفاق دون جناح  
 كالصبح فاض على ربي وبطاح  
 يعيي سناها أعين اللماح  
 ويقول في الثانية :

هي بيعة أحيا الإلاه بها الورى  
 سبقت قلوب الخلق أيديهم بها  
 كل يمد يد الضراعة راغباً  
 وحمى بها دين النبي المصطفى  
 ورجا زمانهم بها أن يسمفا  
 في نيلها مسترحماً مستعطفأ

ولو أمعنا النظر في هذا الشعر وغيره لوجدنا الجراوي - على الرغم من سيره في اتجاه الدولة الرسمي - لم يتشرب مبادئ مذهبها ولم يعمق في نفسه تجربة الثورة الموحدية القائمة على هذا المذهب . ومن ثم جاءت أفكاره سطحية يوردها بتقريرية وتكرار ، لا تعكس الظلال النابعة من وعيه بالدعوة . وهذا ما يجعلنا نشك في فعالية شعر الجراوي من حيث قدرته على تصعيد مد الطاقة الشعورية الواعية لدى متلقيه وخلق مزيد من الانفعال بالمذهب والتجاوب معه .

4 - شعراء ذاتيون ساروا في الاتجاه الذي سار فيه أدباء العصر المرابطي من قبل ، والذي يلح على موضوعات الغزل والوصف وعلى أسلوب الصنعة القائم على المحسنات البديعية ، بل قالوا - أو بعضهم على الأقل - في الموشحات والأزجال ، تأثراً بتيار الشعر الأندلسي الذي ازدهر في ظله هذا الاسلوب وتلك الموضوعات وكذا فن الزجل والتوشيح . وكان من هؤلاء من سار بعيداً في هذا الاتجاه أمثال الشاعر ابن غرلة (197) الذي اشتهر

(197) انظر ما كتبنا عنه في ( القصيدة ) ص 537 فما بعد وص 552 فما بعد وانظر كذلك كتابنا (موشحات مغربية) ابتداء من ص 115 .

في التوشيح والزجل ، وكان معاصراً لعبد المؤمن ومحباً لابنته رميلة ، وتعرض للقتل . وفيها يقول موشحته التي مذهبها :

من يصيد صيداً فليكن كما صيدى  
صيدى الغزالا في مراتع الأسد

وعند الحلي أن رميلة كانت بدورها شاعرة « فصيحة اللسان تنظم الأزجال الرائعة الفاتحة (199) » ومنها هذا الزجل (200) الذي مطلعاه :

مشى السهر حيران حتى رأى إنسان عيني وقف  
وفي خرجته تقول واصفة خالاً بخد حبيبها :

اسيمر جنان في شقه من نعمان قد التحف

ولكن بعض هؤلاء الشعراء - على الرغم من تركيزهم على الذات - لم يكونوا ليغفلوا الاتجاه الرسمي المتمثل في تيسار الشعر المذهبي ، فكانوا من فينة لأخرى يعلنون عن وجودهم بمدح هذا الخليفة أو ذاك ، وكأنهم يحاولون بذلك إثبات مسايرتهم لحظ الدولة ، لا سيما حين يكون لهم فيها منصب مسؤولية. ويكاد الشاعر أبو حفص عمر السامي الاغماتي(121) أن يكون على رأي

---

(198) العاقل الحالي الورقة 20 ظ 21 وانظرها في (موشحات مغربية) ص 147 .

(199) العاقل الحالي 20 ظ .

(200) المصدر السابق 21 .

(201) ولد بأغاث في حدود سنة 530 وتوفي سنة 603 باشيبيلية وهو يتولى قضاءها . انظر فيه الغصون اليانعة 91 وزاد المسافر 101 وصلة ابن الزبير ص 72 تـ 130 والتكملة تـ 1851 (ط مجريط) والازهار ج 2 ص 361 وجذوة الاقتباس 286 ورفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ج 1 ص 100 وذكريات المشاهير عدد 30 .



هذه الطائفة من الشعراء الذين سنرى أن أبا الربيع كان واحداً منهم. ويكفيينا للتعرف على ملامح شخصيته أن نورد ما قال عنه ابن سعيد حيث ذكر « أنه كان فقيهاً علامة ، وفي النظم والأدب أندر علامة ، جلت بين قومه بمدينة فاس مقداره ، وقضيت بها في الجاه والمال أوطاره إلى أن كان هنالك من أهل الفتيا ثم صار من جلساء أصحاب الأمر وأرباب العليا ، ثم ترقى إلى الخطابة والقضاء وصار ذا إبرام وإمضاء ، ومن المشهور عنه في قضائه العدل في الاحكام وقلة النزق عند اختلاف الخصام .

وكان في غاية من الظرف ، إذا أقبل شمت رائحة الطيب منه على بعد وإذا غسلت ثيابه لا يكاد يفارقها ، وكان منزله كأنه الجنة ، حتى وجد فيه أعداؤه مطعنا ، ورفموا للمنصور أنه غير حافظ للناموس الشرعي بكثرة تغزله واشتجار مقطعاته وانهاكه في العشق » (202) .

وشعره في الغزل كثير تكفيينا منه هذه النماذج نوردها دليلاً على براعته في هذا الفن وعلى تأنقه في الاسلوب ، يقول (203) :

همُ نظروا لواحظها فهموا	وتشرب عقل شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها	أيدعر قلب حامله الحسام
سما طرفي إليها وهو باك	وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فأنوح شوقا	على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب بينها في الصدر غمًا	إذ اغتربت ذكاهُ أتى الظلام

(202) الغصون البانعة 91-92

(203) الغصون 93 والازهار ج 2 ص 366 ورسالة الشقندي (النفح ج 4 ص 196)

ويقول :

ويعدوه النسيم فيستقيم  
وذاك الردف لي ولها ظلوم  
ويتعبها إذا راحت تقوم  
عليه من نضارتها نعيم  
قتلت فتاهم وهو الكريم  
فرايها بعيد ما يروم  
إذا قتل الغرام فلا غريم  
بها ياريم حبك ما يريم  
كطرفك صح ناظره السقيم  
وإن أقبلت تبيض الهموم

مشت كالغصن يثنيه النسيم  
لها ردف تعلق في لطيف  
يعذبني إذا فكرت فيه  
وما حيي لها إلا عذاب  
أعينك ياسليمي من سليم  
بلى أنت الغزالة في سناها  
وما لك طالب بتراتِ نفسي  
فؤادي سار نحوك في ضلوع  
وداؤك صح في قلب سقيم  
إذا أعرضتِ تسودّ الأمانى

وقال ابن سميّد معلقاً على قوله في البيتين الثاني والثالث من هذه القصيدة بأنه « اشتهر في الغرب والشرق (205) » كما علق على المقطوعة قبلها بأنها « مما هو داخل في كنوز المعاني (206) ». ويبدو أن الشاعر الأغماتي وجد في إطار الموشحة مجالاً مناسباً لغزله إلى حد قال عنه ابن سميّد بأن « له موشحات يفنى بها في الأقطار (207) ». والأسف أنه لم يذكر له منها إلا قوله :

عانقت منها البانة\*  
واشوقي لحسانه\*

حسانة رخيمة  
والنقى الرجراج

(205) الغصون 93

(206) نفس المصدر .

(207) نفس المصدر .

أما شعره الذي سلك فيه الحظ المذهبي فقليل بالقياس إلى شعره الذاتي .  
ومن أهم ما وصلنا منه قصيدة (208) قالها في مدح يوسف وتهنئته ببيعته الثانية  
أولها :

ألا هكذا تبني العلا والمآثر      وتسمو إلى الأمر الكبير الأكبر  
نؤم لبيعات الرضا مطلع الهدى      وحيث الهدايا تعتلئ والأوامر

وقصيدة(209) يمدح فيها المنصور ويهنئه بالنصر في وقعة الأرك ، يقول فيها :

أطاعتك الذواويل والشفار      ولبئى أمرك الفلك الممدار  
ببشرى مثل ما انفتحت رياض      وسعد مثل ما وضع النهار  
وفتح مثل ما انفتحت كمام      وشقت عن صدور مها صدار  
وآمال كما مدت ظلال      وأفعال كما مدت بحار  
وأعلام بنصرك خافقات      لها في كل جو مستطار  
ليهنىء أرض أندلس بدور      من السراء ليس لها مرار

ولعل أشهر قصائده وأروعها وأكثرها تعبيراً عن روح الدعوة الموحدية  
قصيدته (210) التي مدح فيها يوسف بن عبد المؤمن والتي استهلها بأبيات  
أدارها ببراعة على عد (سبعة) الرموز عند الشيعة - وخاصة منهم  
الاسماعيلية - إلى أسرار كثيرة يقول فيها :

الله حسبك والسبع الحواميم      تغزو بها سبعة وهي الأقاليم  
سبع المثاني التي لله قمت بها      عليك من نصرها نص وتقديم

(208) الأزهار ج 2 ص 366 .

(209) الغصون 96 .

(210) الأزهار ج 2 ص 362 - 343 - 364 .

كل الورى حاكم بالله محكوم  
جواد مالك والمنصور مخدوم  
يجحد ربك هيهات التناجيم  
فيما وتم لها زلفى وتكريم  
هل في البسيطة ظلام ومظلوم  
فأنت فيهن إكمال وتتميم  
وحبل من فارق الإجماع مصروم

وأنت بالسور السبع الطوال على  
والدهر سبمته وسبعة جعلت  
وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة  
تسمو بنفس على السبع السداد سمت  
أنوار عدلك في الآفاق داعية  
أعلى بك الله أعلاماً هديت بها  
عليك أهل الهدى والحق متفق  
وفيها يقول :

آياته وهو عند الله معلوم  
حكم الامام ، فما في الدين تحكيم

إن الخليفة سر الله ظاهراً  
فسلموا واخلعوا الآراء واتبعوا

.....

من ذا يقاس به والمثل معدوم  
عليه من ربه بشرى وتسليم  
ذاك الرحيق بهذا المسك نختم

عز الإمام فلا تضرب به مثلاً  
أعطى الورى فضل ما أعطاه خالقه  
صل بالصلاة عليه صدق مدحته

5 - شعراء كانوا يسرون في الخط المنهبي ولكنهم أدركوا الاضطراب الذي تعرضت له دعوة المهدي ، وكان لهم رأي في التناقض المنهبي الذي ظهر في أواخر الدولة ولا سيما على عهد المأمون . فاتجهوا إلى المنهل الديني يستوحون منه في روح تصوفي ، وكأنهم أحسوا ببدء انهيار الدعوة والدولة معاً فمالوا إلى هذا الاتجاه هروباً من الواقع المفجع وبجناً عن سبيل للسكون والخلاص . ولعل ميمون بن خبازة (211) أبرز شعراء هذه الفئة . قال عنه المقري نقلًا

(211) المتوفى بالرباط سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . انظر فيه الأزهار ج 2 ص 378 والجذرة =

عن الذيل والتكلمة « كان من أكبر أعاجيب الدهر في سرعة البديهة ناظماً أو نائراً مع الإجابة التي لاتجارى والتفنن في أساليب الكلام، معرّبه وهزله، على اختلاف اللغات، تطور كثيراً وتصوف ونسك ووعظ وكان في آخر عمره جانحاً إلى امتداح ملوك عصره فكان يأتي في ذلك بما لم يسمع بمثله ولا يطمع في لحاقه سرعة ارتجال وحسن افتنان وسرعة امتثال. وله في ذلك أخبار غريبة عريقة (212) » .

ومن شعره المذهبي قصيدة لم يصلنا منها غير بيتين يقول فيها (213) :

وجد النبوة حلة مطوية لا يستطيع الخلق نَسَجَ مثاها  
فأسر حسواً في ارتغاء يبتغي بحاله نسجاً على منواها

وقد « قال هذه القصيدة في المأمون بن المنصور حين تبرأ من إمامهم المهدي وأبدى مساويه وأسقط اسمه من الخطبة وهو المعني بقوله : وجد النبوة حلة مطوية (214) .

كذلك يظهر موقفه من الصراع الذي دار بين الموحدتين في أواخر دولتهم قصيدته التي أورد منها المقرئ ثلاثة أبيات بعد أن قال : « وحكي أن المعتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحد ضرب بظاهر مراکش قبة حمراء فبادر إليها العرب والنصارى من عسكر عمه المأمون فقطعوا أطناها فقال في ذلك أبو عمرو هذا من قصيدة :

---

= 208 والاعتباط ج 2 ص 84 وذكريات المشاهير عدد 7 والقصيدة ص 540 رموشحات مغربية ص 123 .

(212) الازهار ج 2 ص 379 .

(213) المصدر السابق .

(214) المصدر السابق ص 380 .

انظر إلى القبة الحمراء ساقطة  
 من كان أولى بها إن كنت ذا بصر  
 ولما وجدت لما سمت وغدت  
 لما رأت مضر الحمراء عن كئيب  
 المعجم أو معدن العليا من العرب  
 فوق الضلال وكانت أعجب المعجب (215)؛

ويتجلى لنا اتجاهه الذاتي في قصيدته (216) التي يعبر فيها عن الحنين إلى  
 أحبائه والتي نردها هنا لزوعة الصنعة البديعية فيها :

هب النسيم ضحى ففاح المنديل  
 أسرى عليلاً فاستحث إلى الصبأ  
 يهوى الغدير وساكنيه ومن له  
 ما شام برقاً بالفضا إلا انبرى  
 والبرق في نقع السحائب سيفه  
 فكان ذلك البرق واشٍ قد مشى  
 وأنا الفداء لجيرة نزلوا الحمى  
 وتحملوا يوم الفراق وإنما  
 قبسوا ومن قلب المعضب موقد  
 ما هزتم إذ أعرضوا لو عووضوا  
 حملوا الجمال على الجمال كأنما  
 أبدت لنا حلني الطلسي وتبسمت  
 ومن المعائب أن أهيم بجنة  
 ويهان مرسل ناظري في حبها  
 وتأرجت منه الصبأ والشمال  
 صبأً بأنفاس الصبأ يتعملل  
 لو كان يدنو منه ذلك المنزل  
 شوقاً على جمر الفضى يتعملل  
 سيف الكمي إذا يكر ويحمل  
 بنميمة والرعد لاح يعذل  
 ورحى القلوب هو الحمى والمنزل  
 بقلوبنا يوم الفراق تحمّلوا  
 وردوا ومن جفن المعنى منهل  
 للوصل أو ذكروا اليهود فأقبلوا  
 أفلاكها منها الأهله تكمل  
 زهراً فراق مقلد ومقبّل  
 حلت بقلبي وهو نار تشعل  
 ومن التناقض أن يعز المرسل

(215) الازهار ج 2 ص 382-383 .

(216) المصدر السابق ص 383 .

أما شعره الديني فيتمثل في قصيدة مديحية طويلة (217) مطلعها :

حقيق علينا أن نجيب المعاليا      لنُغني في مدح الحبيب المعانيا

وفيهما يقول ماحياً ما سبق له من مدح للحكام :

سهوت بمدح الخلق دهري فهذه      سجدوي لجبري كل ما قلت ساهياً  
فلا مدح إلا للذي بمدحيه      تطيع إذ ما كنت بالمدح عاصياً  
رسول براه الله من صفو نوره      وألبسه برداً من النور ضافياً

\* \* \*

ولسنا بعد هذا نريد أن نضيف شيئاً في الحكم على هذا هذا العصر ، فذلك ما سنؤجله إلى حين الحديث عن شعر أبي الربيع وخصائصه ؛ ونود أن نختم هذا الفصل بكلمة عن النشر . وأول ما نلاحظه أنه تنوع في عهد الموحدين ليشمل الخطابة والمناظرة والتأليف والرسائل . أما الخطابة وقد برز فيها المهدي إبان دعوته فتتسم بالسهولة والتأثير والإقناع بالاعتماد على القرآن والحديث . وأما المناظرة فكذلك لمع فيها نجم ابن تومرت خاصة حين كان يجادل فقهاء المرابطين ويحاول إقناعهم بأرائه . ويمكننا من خلال الكتب التي ألفت في هذا العهد ، وفي طلبعتها « أعز ما يطلب » أن نلاحظ أن أسلوب التأليف كان ميالاً إلى السهولة وإن تخللته بعض السجعات العفوية في محاولة للتحليل والتعليل والتمداد والاقتراب من القرآن والحديث . ومثل هذا نستطيع قوله عن الرسائل حيث إن المتصفح لما ورد منها في القسم الأول من كتاب « أخبار المهدي » وللمجموع « رسائل موحدية (218) » لا يلبث أن يلاحظ أسلوبها الواضح الجزل

(217) المصدر السابق ص 384 والجزء 209 .

(218) اعتنى بنشره ليفي برونسال ضمن مطبوعات معهد العلوم العربية سنة 1941 وهو يضم سبعة وثلاثين رسالة رسمية اقتبسها الناشر من مخطوط كان في ملك المستعرب =

البسيط ومحاولة تحسينه بالسجع ، وأن يلاحظ أنها تسير في الغالب على هذا النحو :

- تبدأ بهذه العبارة : من أمير المؤمنين ( مع الدعاء له ) ... إلى ...
- البعدية .
- التجميد .
- الصلاة على الرسول والآل والأصحاب .
- ذكر المهدي والثناء عليه .
- بدء الرسالة الحقيقي حيث الدخول إلى الموضوع .
- ذكر مكان الإرسال .
- الانتهاء بالتاريخ .
- الطول ( حسب اقتضاء الحال وإن كان هو الغالب ) .

---

= جورج كولان وأضاف إليها رساله (هي العاشرة) نقلها من صبح الاعشى ( ج 6 ص 443 ط الاميرية بالقاهرة) . أما كتاب هذه الرسائل فهم :

- 1 - ابو جعفر بن عطية القضاعي المراكشي (517 - 553) وله في المجموع ست عشرة رسالة كتبها عن عبد المؤمن .
- 2 - أبو عقيل بن عطية (520 - 553) حيث قتل مع أخيه أبي جعفر .
- 3 - أبو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبي (ت سنة 568) .
- 4 - أبو الحكم علي بن محمد المرخي .
- 5 - أبو القاسم بن عبد الرحمن القالمي .
- 6 - ابو الفضل جعفر بن محمد بن محشرة (541 - 598) .
- 7 - أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش التجبير (550 - 618) .



ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن المنصور كان في الكتابة يميل إلى الإيجاز ،  
فقد قال في مجلس مهنثيه بالانتصار في غزوة الأرك «الفتح أعظم من الإطناج  
في وصفه ، وأمر الكاتب أبا الفضل بن أبي الطاهر وأكد عليه أن يوجز الكتب  
في هذا الفتح غاية الإيجاز ولا يسلك في العبارة عنه مسلك شيء مما تقدم من  
أوصاف الفتوحات وأن ينحرف فيه منحه كتب الصحابة رضي الله عنهم في  
فتوحاتهم (219) » .

---

(219) البيان المغرب ج 3 ص 197 .

الباب الثاني

حياته وشعره



الفصل الأول

حياته



على الرغم من ان أبا الربيع كان أميراً من أمراء الدولة الموحدية ، ولي فيها عدة مناصب عالية ، وعلى الرغم من أنه كان أديباً له مكانته بين أدباء هذا العصر - فإنه لم يحظ من المؤرخين - سواء منهم معاصروه أو غيرهم - بما يستحق من عناية وتقدير ، وأكاد أقول إنه لقي بعض الإهمال .

والمتصفح لكتاب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » وهو من أهم الكتب التي أرخت للأدب والسياسة في هذا العصر ، لا يعثر على ذكر لأبي الربيع إلا ثلاث مرات : الأولى عند حديثه عن بجاية (1) قال : « ... كان الوالي عليها أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن (2) » . أما الثانية فأتثناء كلامه على محمد بن عبد ربه الكاتب حفيد صاحب العقد ، قال : « كان يكتب لأبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ، وكان مختصاً به » . وأما الثالثة ففي ختام حديثه عن ابن عبد ربه حيث اتهم أبا الربيع بأنه ليس صاحب الشعر

---

1) مدينة على ساحل البحر المتوسط اسمها الفينيقيون وكانت تسمى صلدة ثم أصبحت على عهد الرومانيين تسمى صلداى . جدد بناءها الناصر بن علناس ابن زيري الصنهاجي سنة 457 هـ وسماها الناصرية . وقد سميت بجاية بعد ذلك نسبة للقبيلة البربرية التي كانت ترابط بها . أصبحت عاصمة بني حماد في عهد المنصور بن الناصر الحمادي ، واحتلها عبد المؤمن سنة 1152 م . أحتملها الألبان ثم الاتراك سنة 1555 م . ثم الفرنسيون سنة 1833 م . أنظر كتاب الجزائر لاحد توفيق المدني ص 196 - 197 والبكري ص 82 وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبيري .

(2) المعجب ص 170 .

(3) المعجب ص 297 .

المنسوب إليه وأن هذا الشعر لابن عبد ربه نحلّه إياه . وهذه لاشك تهمة خطيرة ألصقتها المراكشي بأبي الربيع سنضعها في الميزان ونبحث أسبابها حين نتناول موضوع شعره . ولعله من المؤسف ان يتخذ المراكشي مثل هذا الموقف السلبي من شاعرنا الأمير ويحجم عن تفصيل الحديث عن حياته وشعره في وقت أبدي عناية بمن هم دونه مكانة وأدباً .

وقد عرفنا بأبي الربيع جامع ديوانه محمد بن عبد الحق الغساني فذهب إلى انه « من حلّى بحاسنه عاطل الدهر وفخر يجميل مناقبه وكريم ضرائبه لسان الزمان والعصر الذي أحيا من العلوم ما كان مواتاً، ونشر منها ما أعاده الإهمال رفاتاً، وطلقه الناس بتاتاً السيد الأجل الأكل الهمام الاسنى الأفضل أبو الربيع ابن السيد المعظم الملك المكرم أبي محمد بن سيدنا الامام الخليفة الرضي أمير المؤمنين أدام الله سعده وأثل مجده وأورى في الآراء قدحه وزنده (4) » .

ثم وصفه فقال :

« فله ما شاهدته من محاسن      يقصر عن إحصاء تعدادها ذكري  
فمن سؤدد جم وحلم ورأفة      ووطأة اكناف ومن نافل غمر  
خلائق كان الدهر عطلاً فصاعها      وحلى بها جيد السيادة والعصر

وكثيراً ما أخذ خدمته بحضرتة التي هي مجتنى الآداب ومحل أولي الحجا والألباب في فنون النظم وغرر النثر والكلام فكان فسح الله أمدّه وأعلى كعبه المجلّسي في ذلك، الطلق الحائز لحصّال السبق... ولا زالت حضرتة السامية وكعبة مجده العالمة مبلغ الآمال وظنة القصاد والسؤال ومحط الركائب والرجال-موقاة صروف الزمان، مكلاة من طوارق الحدّثان، ما بقي الملوان وتعاقب الجديدان بحول الله تعالى .

ويعتبر ابن سعيد أول من سجل في إنصاف حياة أبي الربيع الأديب ، فقد أفرد له ترجمة في « الغصون اليبانة » (5) ذكر فيها انه « السيد (6) أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ، والده أكبر اخوته وهو الذي حاصر مدينة تونس (7) وغض منه اخواه أبو يعقوب (8) وأبو حفص (9) بعد وفاة أبيهم فزعموا أنهما دسا إليه جارية جميلة سمته في خرقة الجماع ، وكان حينئذ والياً على بجاية ، وولى ابنه هذا الاقليم ، فأخرجه منه علي الميورقي (10) ، وتنقل في الولايات كبلنسية وسجلماسة . وحيث كانت ولايته اجتمع إليه أهل الأدب واشتهر مكانه ، فقد كان متميزاً في قومه عالماً فيهم بهذا الشأن ، وقد اشتهر اختصاره للأغاني وديوان شعره بمجموع بأيدي الناس (11) .»

وبعد أن أشار الى جفوة المنصور له وعفوه عنه ، نقل ما كتب عنه الشقندي في معجمه فقال : « وذكره الشقندي في معجمه فأطنب في الثناء عليه وقال : هو من مفاخر بني عبد المؤمن ، وأحله منهم محل ابن المعتز من بني العباس وابن المعز من العبديين . وقال : كان قديراً على النظم حافظاً للآداب جواداً لمن يتعلق بأدنى سبب يحب رعيه ، وخبرته فوجدته يجود في أكثر الأوقات بما لا يساعد عليه الزمان . قال : ولقد قلت له يوماً : يا سيدنا تكلفون أنفسكم ما لا يساعد عليه الوقت ، فضحك وقال : انما تغالب الزمان فيما

(5) هي الترجمة الرابعة من تراجم سنة أربع وستائة من ص 131 الى 134 .

(6) كان يطلق لقب السيد عند الموحدین على الامراء .

(7) سنة 553 هـ .

(8) هو الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن .

(9) هو ابو حفص عمر بن عبد المؤمن .

(10) هو علي بن اسحق بن غانية .

(11) الغصون اليبانة ص 131 .



نتكلف ونرجو من فضل الله الا يغلبنا (12) ، ثم أورد له أبياتاً من شعره وختم الترجمة بقوله : « وكانت وفاته سنة اربع وستائة » (13).

كذلك ذكره ابن سعيد بإيجاز في « الرايات » ضمن ملوك وشعراء المائة السادسة حيث قال : « ديوان شعره مشهور ولم أجد فيه ما يشفع له في هذه المجموعة غير قوله وقد هجره منصور بن عبد المؤمن فوافق ان وفد من الشام غزو عرب ونزلوا بالقرب من الحضرة واستأذنوا في كيفية القدوم : يا كعبة الجود ... الخ الأبيات ، فلما وقف المنصور على هذه الابيات رضي عنه وأمر له بأن يتقدم بهم للسلام عليه » (14).

ولم يكتب ابن سعيد بهذا الذي كتب عن أبي الربيع في « الرايات والغصون » فسجل له ترجمة في « المغرب » نقل المقرئ منها في نفع الطيب أنه « لم يكن في بني عبد المؤمن مثله في هذا الشأن الذي نحن بصدده ، وكان تقدم على مملكتي سجلماسة ويحاية ، وكان شاعراً أديباً ماهراً ، وشعره مدون وله ألغاز » (15) ثم أورد له بعض أبيات من شعره .

وقبل أن ينقل المقرئ كلام صاحب « المغرب » نقل ما كتبه السرخسي (16)

---

12) الغصون اليانعة ص 132 .

13) الغصون اليانعة ص 134 .

14) الرايات ص 98 .

15) نفع الطيب الجزء الرابع ص 105 .

16) هو شيخ الشيوخ في دمشق تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حموية الحراساني . ولد في الشام سنة 573 هـ ، وهو « أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين . له كتاب في ثمان مجلدات ذكر فيه أصول الأشياء ، وله : « السياسة الملوكية » صنفها لذلك الكامل محمد ... وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين ، فأقام هنالك الى سنة ستائة وقدم مصر وولي مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه ... =

في رحلته عند ذكره لأبي الربيع قال : « اجتمعت به حين قدم الى مراکش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعه ولده محمد ، فرأيتُه شيخاً بهي المنظر حسن الخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية » (17).

وفي نهاية حديثه عن أبي الربيع ذكر له الرحالة المشرقي أبياتاً من قصيدة مدح فيها المنصور مطلعها :

هببت بنصركم الرياح الأربع      وجرت بسعدكم النجوم الطلّع

والابيات التي استعطفه بها بعد جفوته له ، كما أورد له جواباً على رسالة بعث بها إليه ملك السودان ينكر عليه تعويق التجار هذا نصه : « نحن نتجاوز بالاحسان وإن تخالفنا في الأديان ، ونتفق على السيرة المرضية ونتألف على الرفق على الرعية ، ومعلوم ان العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة ، والجور لا تعانیه إلا النفوس الشريرة الجاهلة ، وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده . وتردد الجلابية الى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكننا لا نستصوب فعله ، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي مثله ، والسلام » (18) ، كذلك ذكر له توقيعاً إلى عامل كثرت الشكاوى منه هذا نصه : « قد كثرت فيك الأقوال واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتصلح الحال ، وفي مبادرتي إلى

---

وقد سجل في رحلته « عجائب شاهدها بالغرب ومشايخ لقيهم ... » وفيها يقول :  
« وقد دخلت الغرب من الاسكندرية في البحر ودخلت مدينة مراکش أيام السيد الامام أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فاتصلت بخدمته ».

انظر النفع الجزء الرابع من 96 الى 108 .

(17) النفع الجزء الرابع ص 103 .

(18) النفع الجزء الرابع ص 103 .

ظهور الانكار عليك نسبة إلى شر الاختيار وعدم الاختبار ، فاحذر فإنك على شفا جرف هار « (19) .

وقد نقل كلام السرخسي الوارد في النفع أبو القاسم الزباني في كتاب « الروضة السليمانية » (20) كما نقله جامع الكناش المسمى « واسطة العقدين » (21).

ولم يكن السرخسي هو المشرقي الوحيد الذي تحدث عن أبي الربيع ، فقد نقل صاحب « النفع » أن الفقيه أبا عبد الله محمد القسطلاني قال : « دخلت إلى السيد أبي الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الأرض بقضيب من الآبنوس ، ويقول :

ولا غرو أن كانت رؤوس عداته جواباً إذا كان السيوف رسائله

ومات بعد السجامة رحمه الله تعالى » (22) .

كذلك نجد إشارات إلى أبي الربيع في بعض كتب التاريخ كاليان المغرب حيث تحدث عنه ابن عذارى في الفصل الخاص بدخول ابن غانية إلى بجاية (23) وكان قبل ذلك وصفه بأنه « من الشعراء المجيدين ... له أشعار كثيرة موجودة تدل على حذقه » (24) .

---

(19) النفع الجزء الرابع ص 103

(20) الورقة 64 و 65 .

(21) ج 2 ص 407 - 408 .

(22) النفع الجزء الرابع ص 104 .

(23) ج 3 ص 146 - 147 - 148 .

(24) المصدر السابق ص 100 .

ومثل هذا نقرأه عند ابن خلدون الذي ذكر أبا الربيع أثناء تناوله لاستيلاء ابن غانية على بجاية (25) كما ذكره بعد ذلك (26) مشيراً إلى وفاته وإلى تجديده لقصر الربيع بهذه المدينة .

وربما كانت الترجمة التي أوردها له جامع كناش « واسطة العقدين » نقلاً عن « بعض التأليف » على قصرها في غاية الأهمية حيث أشار إلى بعض شيوخه ومجيزيه وإلى وفاته بتاريخ محمد (27) .

وغير هؤلاء لا نجد من يسجل حياة أبي الربيع غير اثنين من المؤرخين المغاربة المعاصرين هما : الأستاذ محمد المتوني والأستاذ عبد الله جنون .

أما الأستاذ المتوني فقد خصه في كتابه « العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين » بترجمة قصيرة (28) اكتفى فيها بالإشارة إلى بعض مصادر شعره وإلى القضية التي أثارها المراكشي حول شعر أبي الربيع مع تحفظه عن ابداء رأيه كما سنرى بعد .

أما الأستاذ جنون فأرخ لشاعرنا ثلاث مرات :

الأولى في كتابه « النبوغ المغربي في الأدب العربي » حيث ترجم له في بضعة سطور (29) ذاكرًا أنه « صاحب السيف والقلم الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الكومسي الموحدي . كان من الكتاب البلقاء والشعراء المجيدين وهو أديب بني عبد المؤمن وذا بقمتهم الفذ، درج في بيت الرياسة والملك ولم

---

(25) ج 6 ص 242 - 243 - 244 .

(26) المصدر السابق ص 249 .

(27) ج 1 ص 327 .

(28) العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين ص 161 و 162 .

(29) النبوغ المغربي في الأدب العربي الجزء الأول ص 168 .

يمنعه ذلك من الاشتغال بالأدب والاكباب على التحصيل، فنشأ متأدباً أريحياً يتمشق الحمد ويصبو إلى العلى . وما لبث أن قدم إلى ولاية بجاية من قبل ابن عمه الخليفة يعقوب المنصور . ولما ثار بها علي بن غانية نقل إلى ولاية سجلماسة . وكان في كلتا ولايتيه كعبة القصاد من أدباء البلاد يأتونه عاقدي الآمال على أطفاه وبره فيصدرون عنه وكلهم ألسنة مدح وثناء عليه .

وفي الجزء الخاص من « النبوغ » بالمختارات الشعرية أورد (30) المؤلف مقتطفات من شعر أبي الربيع سنشير إلى مواطنها عند تحقيق الديوان .

الثانية في كتبه المسمى « أمراؤنا الشعراء » حيث أورد (31) لأميرنا مختارات من شعره في المدح والوصف والنسيب ذيلها بكلام صاحب المغرب عنه وبرسالته النثرية التي سبق أن أوردناها .

الثالثة في جزء من « ذكريات مشاهير رجال المغرب » (32) خاص بأبي الربيع جمع فيه بالإضافة إلى مقتطفات من شعره أغلب ما ورد عنه في « المغرب » و « الغصون اليبانة » و « نفع الطيب » . وأهم ما في هذه الترجمة مناقشة الأستاذ جنون في آخرها للتهمة التي ألصقها المراكشي بأبي الربيع ودفاعه عن الشاعر في كثير من الحماس كما سنرى عند عرض التهمة .

وكان يبدو أن الأستاذ محمد الفاسي قد تعرض لشاعرنا وديوانه في إحدى مقالاته التي كان ينشرها عن العصر الموحد في مجلة « الثقافة المغربية » فقد قال متحدثاً عن أبي الربيع بأنه « من الشعراء المجيدين وقد دُونت أشعاره كما ستراه

---

(30) « النبوغ المغربي في الأدب العربي » الجزء الثالث ص 54 - 194 - 247 .

(31) « أمراؤنا الشعراء » من ص 27 الى ص 32 .

(32) « ذكريات مشاهير رجال المغرب » - الأمير سليمان الموحد .

ان شاء الله عند تعرضنا للآثار الأدبية في هذا العصر « (33) ولكنه أكد لي أنه لم ينشر أي شيء عن أبي الربيع وأنه ألقى عنه حديثاً من إذاعة فاس الجهوية في يونيو 1941 ، تناول فيه جوانب من عصر الموحدين وحياة الشاعر ومقتطفات من شعره ، وهو حديث جامع تفضل الأستاذ الفاسي فوافاني بنسخة منه .

هذه هي المصادر التي هداها البحث إليها للتعرف على حياة أبي الربيع ، وهي مصادر قليلة وناقصة لم تتناول من هذه الحياة غير جوانب محدودة ، سنحاول استناداً إلى بعض معالمها أن ننسج خيوطاً لعلها أن تكمل رسم صورة حياة الشاعر .

\*\*\*

وأول ما يلفت نظر الباحث في هذه المصادر انها أغفلت جميعها الإشارة إلى تاريخ ميلاد الشاعر ونشأته وما قد يلقيان على شخصيته من أضواء . ولعلنا نستطيع أن نستنتج من المعلومات التي عندنا أنه من أقران الخليفة المنصور ، وربما كبره بقليل ، فهو ابن عمه ووالده أكبر اخوته ، وقد وجدته السرخسي حين قدم إلى مراکش بعد وفاة المنصور « شيخاً بهي المنظر » (34) . وإذا عرفنا أن المنصور توفي سنة 595 ولما يكمل الخمسين ، وإذا عرفنا كذلك أن أبا الربيع عند وفاة عمه كان كما يصفه السرخسي في رحلته - استطعنا أن نحدد تاريخ ميلاده ونجعله بين سنة 530 وسنة 540 هـ .

والذي لا شك فيه أنه قضى طفولته أو جزءاً منها على الأقل في بجاية خلال

---

(33) الثقافة المغربية عدد غشت 1941

(34) النفع الجزء الرابع ص 103

الفترة التي كان أبوه فيها والياً على بجاية ، وقد امتدت من سنة 547 (35) إلى 560 وهي سنة وفاته (36) حيث توفي وهو ما يزال في ولايته . ولعله في هذه الفترة تلقى تعليمه على الشيوخ المحليين وعلى العلماء الذين كانوا معينين لمساعدة والده في مهمته ، حيث ان عبد المؤمن حين « ولى السيد أبا محمد عبد الله بجاية وجه معه الشيخ أبا سعيد يخلف ابن الحسين والكتائب أبا بكر ابن جيش » (37) .

ومن المؤكد بعد وفاة عبد الله أن يوسف بن عبد المؤمن كفل أهله وأولاده (38) . وهذا ما يرجح عندنا ان أبا الربيع نشأ وترعرع في بيت الملك والرياسة ، وأنه تلقى تعليمه بالمدرسة الملكية التي كانت مخصصة لتربية الأمراء الموحدين ، وهي مدرسة « تمتاز بمبالغة الخلفاء الموحدين في اختبار اساتذتها الذين تذكر منهم على سبيل المثال أبا العباس أحمد ابن عبد الجليل التدميري (39) . . . وأبا العباس أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي (40) . . . وأبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد اللخمي الاشبيلي المعروف بابن علوش (41) وأبا محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الأنصاري الحارثي

---

(35) المعجب 206 - 207

(36) البيان المغرب ج 3 ص 60 .

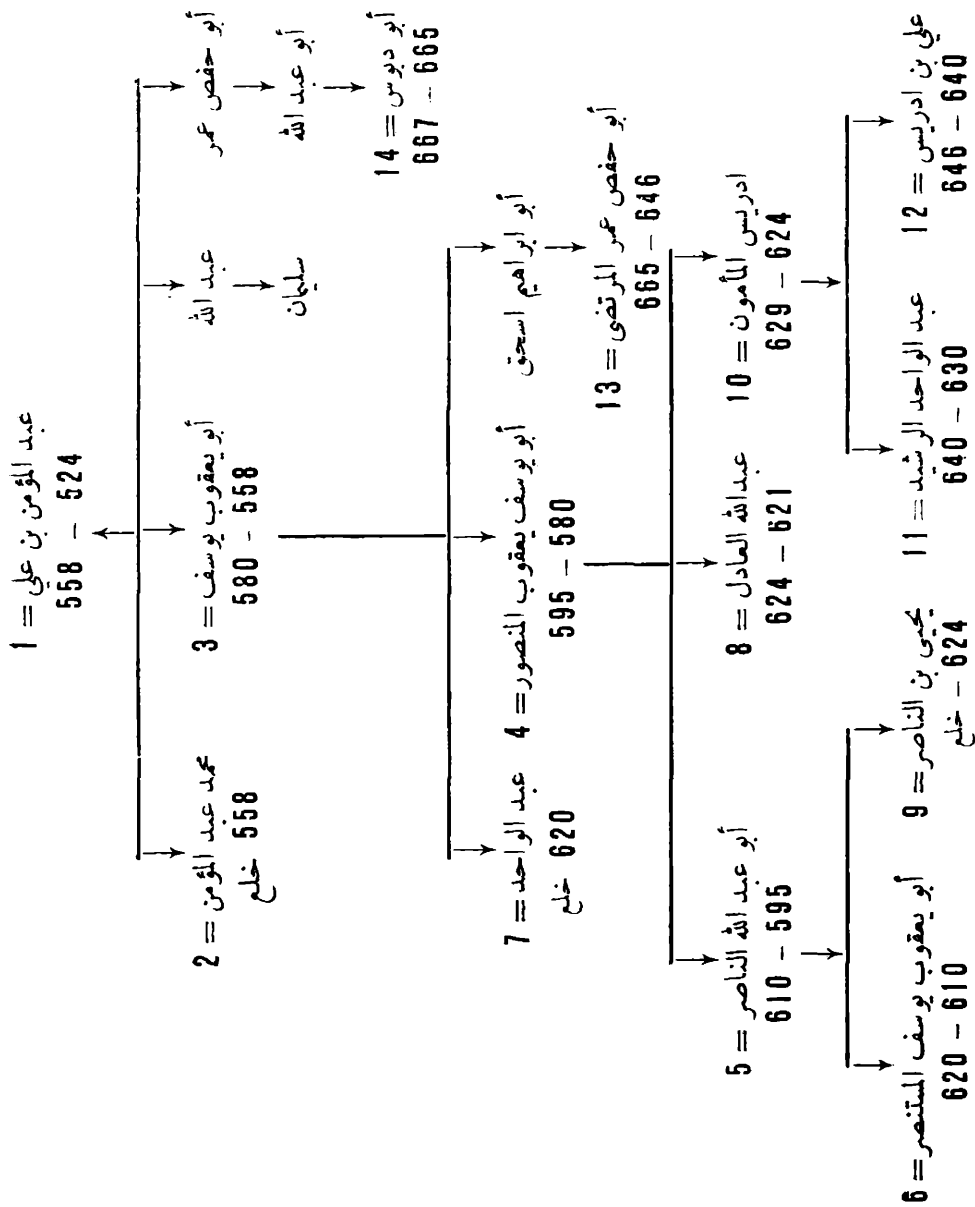
(37) الحلال 115 .

(38) انظر المن بالامامة ص 239 حيث قال : « وآرى جملته وأهله » .

(39) المتوفى سنة 555 .

(40) المتوفى بعد سنة 560 .

(41) المتوفى بعد سنة 599 .





البلنسي (42) ... وأبا الحسن علي بن محمد بن يوسف الفهري (43) الياقوبي  
الضريير (44) .

ولعل منهاج هذه المدرسة لم يكن يختلف عن منهاج مدرسة الحفاظ  
الموحدين ، فقد رباهم عبد المؤمن « بحفظ كتاب الموطأ وهو كتاب أعز ما  
يطلب وغير ذلك من توالييف المهدي ، وكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة  
داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة من  
المصامدة وغيرهم ، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريد . فيأخذهم يوماً  
بتعليم الركوب ، ويوماً بالرمي بالقوس ويوماً بالعموم في بحيرة صنعها خارج بستانه  
مربعة طول تربيعها نحو ثلاثمائة باع ، ويوماً يأخذهم بأن يجذفوا على قوارب  
وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة . فتأدبوا بهذه الآداب تارة بالعباء وتارة  
بالأدب وكانت نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده وخيلهم وعددهم كذلك » (45) .

وليس مستبعداً أن يكون أبو الربيع قد حضر حلقات التدريس في جامع  
مراكش وما كانت تزخر به من شتى ألوان العلوم والفنون ، وليس مستبعداً  
كذلك أن يكون قد رحل الى فاس والتحق بجامعة القرويين ، وكانت إذ ذاك  
ناهضة بسائر فروع المعرفة يفد الطلاب والعلماء اليها من مختلف الأقطار .

ومن المؤكد أنه كان ملازماً للمجالس العلمية والأدبية التي كان يعقدها الخلفاء  
والتي كانت تحفل بألوان مختلفة من المذاكرة في العلم والأدب والطب والفلسفة .  
ولعله كان يأنس لمجلس عمه يوسف بن عبد المؤمن وما كان يمتاز به من مناظرات  
فلسفية وطبية ، بل إنه سار على طريقته في جمع الكتب وتقريب العلماء وحشهم

(42) 549 - 612 هـ .

(43) التوفى سنة 617 هـ .

(44) العلوم والفنون والآداب عن عهد الموحدين ص 24 .

(45) الحلل الموشية ص 125 .

على البحث والتأليف ، فهو الذي طلب من ابن رشد أن يشرح ألفية ابن سينا (46) في الطب ، كما طلب من ابن بشكوال (47) أن يؤلف « كتاباً عن شيوخ ابن وهب ومناقبه » (48) . وهذا ما حفز جامع ديوانه محمد بن عبد الحق الغساني أن يكتب عنه في مقدمته أنه « أحيانا من العلوم ما كان موثراً ونشر منها ما أعاده الإهمال رفاتاً وطلقه الناس بتأبتاتاً » (49) .

ومثل هذه الدعوة إلى البحث والتأليف لا تكشف لنا عن روح الشاعر العلمي فقط ، بل تكشف لنا كذلك عن مدى ثقافته التي يزيد في إبراز ملامحها الأدبية والتاريخية تلخيصه لكتاب « الأغاني » (50) وما أفاد من أشعاره

(46) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن عبد الله ولد عام 370 هـ ( 980 ) بأفشنة بالقرب من بخارى ، وتوفي في همدان عام 428 هـ ( 1037 م ) كان أماماً في الطب والطبعميات واللاهيات . له « كتاب الشفاء » وهو دائرة معارف فلسفية ، و « القانون في الطب » وهو كتاب هام ظلت تدرسه جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر . انظر دائرة المعارف الإسلامية ( المجلد الأول ص 203 فما بعدها ) والمراجع المذكورة .

(47) هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الانصاري القروطي ولد سنة 494 هـ وتوفي سنة 578 هـ . انظر تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ج 4 ص 128 -- 129 والديباج المذهب لابن فرحون ص 114 وكتاب الصلة ج 1 ( مقدمة الناشر عزت المطار الحسيني ) .

(48) انظر الجزء الخاص بأبي الربيع من ذكريات مشاهير رجال المغرب صفحة 16 . والقصود بابن وهب هو عبد الله بن وهب صاحب الامام مالك ومؤلف « الموطن الصغير » و « الموطن الكبير » . ولد سنة 744 وتوفي سنة 813 م .

(49) انظر مقدمة الديوان .

(50) هذا التلخيص غير مذكور ضمن تلاخيص « الأغاني » المعروفة . وقد عثر مؤخراً في خزانة جامعة القرويين على الجزء الأول منه باسم « مختصر الأغاني » وهو مقيد تحت رقم 246 ( ق 154 ) . انظر قائمة نوادر مخطوطات خزانة القرويين ص 56 حيث كتب انه « من أغرب الغرائب التي ما سمع بها سامع ولا تحدث عنها متحدث » .

وأخباره ، لما قد اضطر إليه في معاناة هذا التلخيص من قراءات متعددة للكتاب والرجوع إلى دواوين الشعراء قصد التحقق من صحة نص بعض الأشعار . وقد أشار أبو الربيع في مقدمة مختصره إلى ما لجأ إليه في هذا الصدد فقال : « ... فتصفحناه مراراً واستعدنا ... فرأينا فيه ... تكراراً يجب حذفه منه ... إلى دواوين شعرية عدة ... استعنا بها على ... ما صحفه الناسخون ... » (51) ولو لم تكن ورقة المقدمة منمحية بهذا الشكل الذي يحول دون اتمام قراءة النص لأفدنا منها كثيراً في هذا المضمار . ومع ذلك فقد رجعنا إلى المختصر نفسه واستطعنا بالنظر في بعض الترجمات الواردة فيه ومقارنتها بما يقابلها في الأصل (52) ان ننتهي الى أن أبا الربيع كان يحذف بعض الأصوات التي تتخلل هذه الترجمات ، كما كان يحذف سند الأخبار المتسلسل مكتفياً بذكر رأيها الأول « وكان يلجأ في أحيان كثيرة إلى حذف ما كان يستطرد به الاصفهاني (53) من أخبار وأشعار لا تتعلق بصاحب الترجمة . أما فيما عدا ذلك

---

#### (51) مقدمة المختصر الورقة الأولى.

(52) اعتمدنا في المقابلة على طبعة دار الكتب المصرية . وقد كانت المقارنة تقتضي منا مقابلة نص أبي الربيع بنص النسخة الأصلية التي اعتمد عليها في التلخيص لولا اننا لا نعرف عن هذه النسخة شيئاً . وكل ما نعرف هو أن نسخ هذا الكتاب لم تكن متوافرة في المغرب لهذا العهد بل اننا نجد ابن خلدون في العصر الذي بعده يعبر عن صعوبة الحصول عليها بقوله في المقدمة متحدثاً عن الكتاب : « وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها » ( طبعة بولاق ص 285 ) وهذا لا يمنع من وجود نسخ من الكتاب في بعض الخزانة ولا سيما خزائن الخلفاء والامراء . ومع ذلك فربما يكون أبو الربيع قد اعتمد على النسخة التي كان بعث بها الاصفهاني الى الحكم المستنصر مقابل ألف دينار ذهب أرسلها إليه والتي يقال انه بعث بها إليه قبل ظهور الكتاب في بغداد . وقد يكون أبو الربيع اطلع على هذه النسخة خلال مدة ولايته ببليسية م وربما يكون هذا الافتراض مستبعداً طالما أن النسخة مصحفة كما يقول أبو الربيع ، مما يجعلها لا تكون نسخة الحكم .

(53) هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني أو الاصبهاني ولد في أصفهان عام =

فكان ينقل النص بلفظه لا يغير فيه شيئاً ، وكان إذا ما صادفته بعض الكلمات الغامضة ، يلجأ الى شرحها في هامش الصفحة . وقد كان بالود أن نورد نماذج لهذه النصوص لولا أنها تستغرق طويلاً . لذلك فقد رأينا أن نتركها الى ملحق خاص في آخر البحث ندرج فيه نص ترجمتين من المختصر مع الاشارة الى ما بينها وبين الأصل من فوارق .

وإذن فليس من شك في ان أبا الربيع بذل جهداً في تلخيص « الاغاني » وانه افاد من هذا التلخيص ما لا ريب انه زاد في ابراز ملامح ثقافته الأدبية والتاريخية .

وبالاضافة الى ذلك فالذي يبدو من استعمال الشاعر لبعض الأسماء والتعابير التي تشتم منها رائحة صحراء الجزيرة العربية كنجد ومنى والناقة والحادي والعيس وما إليها ، انه كان يقرأ شعر القدماء وانه تأثر بقراءته لهذا الشعر ،

---

== 284 ( 897 ) وانتقل الى بغداد حيث درس وعاش وتوفي عام 356 ( 967 ) ويمتبر كتابه « الاغاني » أهم مرجع لتاريخ الأدب والحضارة الى القرن الثالث . وقد طبع عدة طبعات أهمها ثلاثة : الأولى في عشرين مجلداً ببولاق ( القاهرة ) عام 1285 والثانية بالقاهرة كذلك ( طبعة السامي المغربي ) عام 1905 - 1906 في واحد وعشرين مجلداً ، والثالثة في دار الكتب المصرية بدأ اصدارها عام 1928 . وقد اختار من « الأغاني » جماعة منهم الوزير الحسين بن علي أبو القاسم المعروف بابن المغربي المتوفى سنة 418 والقاضي جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن واصل الحموي المتوفى سنة 297 و... ابن الزبير ... وأبو القاسم عبد الله بن محمد المعروف بابن باقيا الكاتب الحلبي المتوفى سنة خمس وثمانين واربعمائة ، والأمير عز الملك محمد بن عبد الله الحراني المسبحي الكاتب المتوفى سنة 410 وجمال الدين محمد بن عكرم الانصاري المتوفى سنة احدى عشرة وسبعمائة، ومختاره مرتب على الحروف سماه مختار الاغاني في الأخبار والتهاني . وأبو الحسن أحمد بن الرشدي ... » ( كشف الظنون المجلد الأول ص 129 - 130 ) أنظر في ترجمة الأصفهاني دائرة المعارف الاسلامية ( المجلد الأول ص 388 - 389 ) .

بل انا نجده مرة يذكر امرأ القيس (54) في إحدى قصائده حيث قال :

غريب ولا كالحى نرجو لقاءه      ولكن غريب ما تقول غريب  
بحيث شدا الكندي قبلك إلفه      « أجاترتنا ان الخطوب تنوب »

إشارة إلى ما حكى عن الشاعر الجاهلي من انه وهو يحتضر ببلاد الروم رأى قبر أميرة دفنت في سفح جبل فسأل عنها ، ولما علم بقصتها قال الأبيات التي منها هذا البيت الذي اقتبس منه أبو الربيع :

أجاترتنا إن الخطوب تنوب      وإني مقيم ما أقام عسيب (55)

كذلك نجده يقتبس من القحيف العقيلي ومن المتنبي . فهو يقول في رثاء مضمناً بيتاً للقحيف (56) ومصرحاً باسمه :

---

(54) هو حندج بن حجر الكندي يقال ان أباه طرده لتشيبه بفاطمة بنت العبيد العنبرية وانه بعد موت أبيه في وقعة مع بني اسد فقد الملك الذي انشأه جده آكل الوار في نجد وهام على وجهه فللقب بالملك الضليل . ويقال كذلك ان امبراطور القسطنطينية دعاه ليستعين به على الفرس فكثت عنده طويلاً ثم استعمله على الشام، ولكنه توفي في أنقرة أثناء رحيله لتولي منصبه . ويروى في موته ان الامبراطور أراد أن يثار لشرفه الذي لوته امرؤ القيس بتفريده بابلته فخلع عليه حلة مسمومة فظهرت في جسمه قروح ومن ثم عرف ببذي القروح . له ديوان نشره دي سلان في باريس عام 1837 وطبع في الهند عام 1313 هـ وفي القاهرة عام 1324 هـ مع شرح عاصم بن أيوب البطيوسي كما طبع مؤخرآ في القاهرة - دار المعارف بتحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم معتمداً على روايتي الاصمعي والضي . أنظر دائرة المعارف الاسلامية ( المجلد الثاني ص 622 فما بعدها ) والمراجع المذكورة .

وانظر « الاغاني » الجزء التاسع من ص 77 إلى ص 107 ( دار الكتب ) .

(55) انظر قصة هذه الأميرة في « الاغاني » الجزء التاسع ص 101 ( دار الكتب ) .

(56) القحيف بن خمير بن سليم العقيلي . انظره في طبقات ابن سلام ( الطبقة العاشرة من فحول الإسلام ) 592 وفي الاغاني ج 23 ص 243 ( دار الثقافة - بيروت ) .

يقولون صبراً ما البكاء بنافع ولا راجع من قد مضى آخر الدهر  
فقلت وأجفاني تجود بمائها أما لي في قول العقيلي من عذر :  
« فما تشتفي عيناى من دائم البكا عليها ولو انى بكيت إلى الحشر »

ويقول في قصيدة إلى الخليفة مقتبساً عجز بيت للمتنبي (57) :

قلنا نترجم عن إخلاص حبيكم « إذا سلمت فكل الناس قد سلموا »

ويبدو من ذكره لأسماء بعض ملوك العرب والفرس القدماء في شعره انه كان  
في ثقافته ملماً - إلى حد - ببعض جوانب التاريخ القديم ، فهو يذكر كسرى  
وابن ساسان وعبد المدان وحاماً وتبعاً وذا يزن . يقول مخاطباً لائتته في  
حب ألوف :

ولا تكثري لومي فلست بهاجر ألوفاً ولو خولت كسرى وتبعا

ويقول عن عتق الحمرة :

خمرة تذكرني عهد كسرى وابن ساسان وعبد المدان

ويقول في نفس المعنى :

واسقنيها سلسيلاً عصرت من عهد حام

ويقول ملغزاً في مرمر :

---

(57) أبو الطيب أحمد بن حسين الجعفي الشاعر المشهور ( 303 - 354 هـ ) وبنيته هو :

وما أخصك في بره بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وهو من قصيدة في سيف الدولة وقد عوفي ، مطلعها :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم

( ديوان المتنبي ج 2 ص 226 ) .

يحكي خدود الغواني أو يماثلها قد كان يعرفه كسرى وذو بزن  
على أنه في بعض ألغازه يحاول أن يكشف عن باعه في اللغة ومعرفته  
بنوامضها ، كما يتضح من قوله :

أحاجيك ما ذكر في الصغر وأنسى يصير إذا ما كبر  
كثير اللزوم لمن قد غدا يصاحبه وكثير الضرر

وإلى جانب هذه الملامح الأدبية والتاريخية واللغوية نجد اشارات إلى القرآن  
الكريم كقوله ملغزاً في خيمة :

وقد جاء في التنزيل ذكر له فان تكن قد حفظت النص منه ستعرب  
إشارة إلى قوله تعالى : « حور مقصورات في الخيام » (58) :

وقوله يصف الخمر :

أنزِلَها درة كاللآلي وارفعها واردة كالدهان

وهو تشبيه مأخوذ من قوله تعالى : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة  
كالدهان » (59) .

وقوله يخاطب احبابه :

أحبابنا الصبرَ إذا كما عهدتم بحكم الهوى صابرينا  
ولا تجزعوا الصروف الزمان فعاقبة الصبر للمتقين

إشارة إلى الآية الكريمة : « فاصبر ان العاقبة للمتقين » (60) .

---

(58) الرحمن 72 .

(59) الرحمن 37 .

(60) هود 49 ، والآيات القرآنية كثيرة في هذا المعنى .

وقوله متحدثاً عن حبيبه :

فإليه كل ضعف ينتهي      وعليه كل حُسنٍ وقفنا  
قلت لما ضاع قلبي عنده      حسبي الله ونعمي وكفي

إشارة إلى الآية الكريمة : « قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون » (61) .

وقوله في إحدى زهدياته :

رب إذا ما سئلتَ ان تهتدي      لقدره فاقراً هو الله

إشارة إلى قوله تعالى في صورة الاخلاص : « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوءاً أحد » .

وكما اقتبس أبو الربيع من القرآن الكريم فكذلك اقتبس من الحديث النبوي على حد قوله في مطلع قصيدة زهدية :

يا من غدا مؤمناً في سربٍ      تعجب الآمال مغترأ به

وهو مأخوذ من الحديث : « من أصبح منكم آمناً في سرب معافى في جسده وعنده قوت يومه فكأنما ميزت له الدنيا » (62) .

كذلك نجد أبا الربيع في بيت من أبياته الزهدية هو قوله :

وما المرء إلا نائم طول دهره      إذا ما انقضى عمر الحياة تنبهاً

يشير إلى قول مأثور عند الصوفية ، يظن انه حديث شريف ولكنه غير

---

(61) سورة الزمر الآية 38 والآيات القرآنية كثيرة في هذا المعنى .

(62) رواه البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن محسن ( انظر كشف الحفا ج 2 ص 227 ) .



وارد في كتب الصحاح ، هذا القول هو : « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » (63).

ولسنا نجد بعد هذه الملامح الأدبية والتاريخية والدينية أثراً لثقافته سوى إشارة إلى علم الفلك والتنجيم تبدو واضحة في بيتين ألغز بها في فرس الاسطراب ، لاشك انها تبرز لنا جانباً ولو باهتاً من ثقافته العلمية . هذان البيتان هما قوله :

لله أيّ جواد ظل مرتبطاً من تحت مربطه السبع المحيطات  
إن حل يوماً تر الأفلاك ساقطة الله حسي بل السبع السماوات

اما اهتمام الشاعر بالطب فيبدو انه انما جاء نتيجة قربه من عمه يوسف واعجابه به ، اذ انه لم يلبث بعد وفاته ان تفرغ للأدب والشعر لاسيما وان الخليفة الجديد - يعقوب المنصور - كان مغرمًا بالشعر يتذوقه ويشجعه وينقده . ولعل اهتمام أبي الربيع بالأدب كان يفوق اهتمامه بسائر العلوم والفنون ، ولعله كذلك كان يلمس في نفسه هذا الولوج فقد قال في مقدمة مختصره للأغاني متحدثاً عن الأدب : « ... قد ضربنا فيه بسهم وأقدنا منه بنصيب وافر وحظ عظيم ... » (64) .

ومثل هذه الاهتمامات المتنوعة بثقافة العصر تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ما جاء في الترجمة التي نقل جامع كناش « واسطة العقدين » حيث ورد أن أبا الربيع « كان ... يتميز بطلبٍ وفضل وأدب وقد حمل الحديث عن شيوخ وقته بالأندلس والمغرب وأجاز له من الاسكندرية الإمامان أبو الطاهر بن عوف وأبو سعيد بن جابر » (65) .

---

(63) هو من قول لعلي بن أبي طالب وعزاه الشعراي في الطبقات لسهل التمتري ( أنظر

كشف الخفاج 2 ص 312 ) .

(64) مختصر الاغاني : المقدمة ( الورقة الأولى ) .

(65) ج 1 ص 327 ،

وقد هيأته هذه الثقافة الواسعة لتحمل المسؤولية حيث تفرّس فيه المنصور القدرة على مساعدته في تسيير شئون الدولة فأسند إليه بالتوالي ولاية بجاية وسجلماسة وبلنسية . والأسف شديد أننا لا نعرف من اخباره في هذه الولايات سوى ما يتصل بمحنته أيام توليته على بجاية وما كان لها من أثر على سلوكه حين انتقل الى سجلماسة كما سترى بعد . اما ولايته على بلنسية فلسنا نعرف عنها شيئاً ولعل المنصور اتخذ كذلك مستشاراً له فيما يستعصي عليه من أمر على حد ما يفهم من قول أبي الربيع في مقطوعة يمدحه بها :

ولأبدلن\* نصحي لسمك جهدي وذا جهد المقل\* وما عسى ان أفعلا

وإذا كانت المهام التي أسندها المنصور لابن عمه بعيداً عن العاصمة قد حالت دون ملازمة مجلسه الذي كان يضم كبار الكتاب والشعراء فإنها منحتة كثيراً الاستقلال وأتاحت له فرصة تكوين شخصيته وهيأت له ظروفاً ملائمة لاقامة مجلس خاص به . فعند ابن سعيد أنه « حينما كانت ولايته اجتمع إليه أهل الأدب واشتهر مكانه » (66) . ولسنا نعرف أخباراً عن هذا المجلس سوى ما حكاه المراكشي وابن سعيد . ففي « المعجب » ان كاتبه محمد بن عبد ربه (67) دخل عليه في أحد مجالسه وقد تسربت الشمس من كوى صغار في أعلى القبّة فأطلقت بعض أشعتها عليه فقال بديها :

لما رآته الشمس يفعل فعلها في العالمين مقاسماً ومساهماً

خافت توالي الجود ينفذ ماله نثرت عليه دنائراً ودراهما

وفي « المغرب » ان أبا الربيع قسم يوماً على جلسائه أترجاً (68) فأعطاهم واحدة واحدة وخص أبا بكر عبد الرحمن بن مغاور (69) باثنتين فقال :

(66) الغصون اليانعة ص 131 .

(67) حفيد صاحب العقد .

(68) المعجب ص 300 .

(69) ولد بشاطبة سنة 502 وتوفي سنة 587 .

قسم الأترجَ فينا ملك طلقُ اليدين  
لم تكن قسمة ضيزى بين أترابي وبيني  
اذ حبا فرداً بفرد وحباني باثنتين  
هكذا ما زال حظي مثل حظ الانثيين(70)

كذلك نجد لأبي الربيع في ديوانه مساجلات أخرى مع بعض كتابه . قال  
أحدهم مرة هذا البيت :

ألفتُ بتيليتَ السهادِ وعلمت  
براغيثُها جنبيَّ حسن القلب

فأجازه أبو الربيع :

ولا كخلاف العيس نطوي بها الفلا  
فتبعد من أوطاننا ما نحبه  
عجبت لدار ليس بيني وبينها  
جرينا لها حتى إذا ما تقاربت  
نطوف فلا ندنو كأننا حوائم  
وفي عرفات اليوم للناس مطلب  
فؤادي هدي وإدلاجي مناسكي  
وتبلغنا الأوطان بعد التغرب  
وتدني من الأوطان غير المحب  
من البعد ما يعمي مطيبي وأركبي  
وقفنا فلم تبعد ولم تتقرب  
جواذر همت بالوقوع بمشرب  
وليس كحجتي في الديار ومشربي  
ودمعي جماري والمطي محصبي

وكتب إليه مرة أخرى أحد كتابه :

دمت لك الفضل علينا ودام  
عندي من عبدانكم فتية  
أدرك من أفكارهم روضة  
لهلة ما صار نبت الربى  
عليكم منا سلام مدام  
وليس عندي صفة للسلام  
أزهارها عند تراقي الكمام  
لا يسأل الأمطار إلا الغمام

فأجابه :

دونكوها قرقفا عاتقا      محتومة ما فضّ عنها ختام  
صبح من الراح ولكنّها      من دنها في مدرع من ظلام  
قد أقسمت يوم جرى قارها      لا افتضّها إلا ندامى كرام  
حيّاكم عني منها إذا      ماشجها الساقى حباب ابتسام

ولعل المناخ الثقافي والأدبي في بجاية كان يتيح مثل هذه المساجلات ، وهي ظاهرة نلاحظها حتى في عهد ولاية علي بن أبي حفص بن عبد المؤمن (71) على هذه المدينة . فقد كانت للشعراء فيه مدائح كثيرة وخاصة منهم ابن الفكون . بل لقد كانت لعلي مع ابن عمه أبي الربيع مساجلة مشهورة (72) حين كتب إليه أبو الربيع بهذين البيتين :

اليوم يوم الجمعة      يوم سرور ودعه  
وشملنا مفترق      فهل ترى أن نجمعه

فأجابه :

اليوم يوم الجمعة      وربنا قد رفعه  
والشرب فيه بدعة      فهل ترى أن ندعه

كذلك اشتهرت في بجاية مطارحات كانت تدور بين ابن الفكون والشاعرة عائشة بنت الشاعر أبي الطاهر عمارة (73) . ومن مظاهر ازدهار الحركة الشعرية في بجاية بعد هذا ما كان يلقيه شاعرها ابن الفكون من مدائح في خلفاء الموحدين

(71) أنظر في الغصون البيانة ص 150 .

(72) الغصون 154 .

(73) عنوان الدراية ص 36 .

وأمرائهم الذين ينوبون عنهم في بحاية ، كهذه القصيدة التي قال في مدح أحد ولائهم عليها ، وفيها ذكر لقصر الربيع : (74).

عشونا إلى نار الربيع وإنما عشونا إلى نار الندى والمحلق

وفها يقول :

ولما نزلنا ساحة القصر راعنا بكل جمال مبهج الطرف مونتق  
فما شئت من ظل وريف وجدول وروض متى تلهم به الريح يعبق  
وشادي مغاني الحسن في نغماته يطارحه هدر الحمام المطوق  
فيا حسن ذلك القصر لا زال أهلاً ويا طيب ربا نشره المتنشق  
رتعنا به في روضة الأئس بعدما هصرنا به غصن المسرة مورق

وقد اعتنى أبو الربيع أثناء ولايته على بحاية بتجديد هذا القصر (75) . ولا عجب أن تتيح بحاية هذا المناخ لأبي الربيع ولابن عمه وللشعراء عامة ، فهي « مدينة عظيمة ، ما بين جبال شاخمة قد أحاطت بها ، والبحر منها في ثلاث جهات : في الشرق والغرب والجنوب ... كثيرة الفواكه والأثمار وجميع الخيرات . وهي مشرفة زهية ومظلة على فحوص قد أحاطت به جبال دوره عشرة أميال ، تسقيه أنهار وعيون ، وفيه أكبر بساتينهم . ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلىين أو دونها ، وعليه كثير من جناتهم . وفي بحاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر ، متصل بالمدينة ، فيه قصور من بناء ملوك صنعها لم ير الراؤون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعاً ؛ فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة ، والمجالس المقرصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها ، قد نقشت أحسن

(74) المصدر السابق ص 203 .

(75) انظر تاريخ ابن خلدون ج ، ص 249 حيث قال : « وهو الذي جدد للربيع ».

نقش وأنزلت بالذهب واللازورد ، وقد كتبت فيها الكتابات الحسنة ، وصورت فيها الصور الحسنة ، فجاءت من أحسن القصور وأتمها منزهاً وجمالاً . وهذا الجبل معيون الذي فيه بجاية جبل عظيم عال قد ذهب في الجو ، وقد خرج في البحر ، وفيه مياه سائحة ، وعيون كثيرة وبساتين ، وهو كثير القردة ، ويكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب » (76).

ولعلنا بعد هذا ، وخاصة حين ننظر في كثرة شعر الالغاز والخر عند أبي الربيع نستطيع أن نتصور اطار مجلس شاعرنا الأمير ، ونستنتج أنه كان ندوة للمساجلات والمطارحات الإخوانية وأن روح النكتة والدعابة كانت تسوده وتطغى عليه ، وبالتالي نستطيع أن نستنتج أن صاحبه كان بطبعه ميالاً إلى المرح والفكاهة وأنه كان شخصية ذكية ووديدة ، وأكاد أقول حبيبة لا تجرؤ من كرم النفس ورقه الشعور واحترام الآخرين على أن تتكاشف الخطيء بخطأه وتنبيهه عليه . فقد كتب عنه الغساني « أن الكتب كانت تعرض عليه وتوضع للعلامة بين يديه فيتصفحها تصفح مغضٍ عن زللها ساتر لخطئها وخطئها غير مؤنب عن زلة ولا منبه على فمها » (77) .

وليس هذا فحسب ، بل انه كان عالي النفس رفيع الهمة لا يتملق الخليفة أو يتمسح بأعبابه على عادة أمثاله من الأمراء والشعراء . وباستقصاء ديوانه لا نجد غير قصائد معدودة في مدح الخليفة وتهنئته ، تشكل في مجموع أبياتها أقل من سدس الديوان ، وهي نسبة ضئيلة لا تضع شاعرنا في طبقة المداحين أو الشعراء الرسميين ، وتجعلنا نعتبره من فئة الشعراء الذاتيين (78) الذين أكثروا القول في الوصف والغزل . وشعره في الغزل لا يكشف فقط عن إحساس مرهف

---

(76) الاستبصار ص 129 - 130 .

(77) مقدمة الديوان .

(78) أنظر الفصل الثاني من الباب الأول .

ووجدان مشبوب وإنما يكشف كذلك عن عاطفة عميقة تفتحت لحب صادق وهب قلبه إياه فلم يظفر منه بغير قليل من المتعة والنعم . وقد عرفنا الشاعر بحبيبتيه : ألوف ورملة ، دون تخرج من ذكر اسميهما .

فمن شعره في ألوف وقد بعدت ديارها :

ألفت جفوني السهد فيك الوفاً فلها على رعي النجوم عكوف  
بعدت ديارك يا الوفا كأنها نحن العراق نوى وأنت الريف

ومن شعره في رملة التي حاول اخفاء حبها دون جدوى :

واني لأخفي حب رملة جاهداً وأعلم حقاً انه سيضيع  
وما أنا بالمفشي له انما الذي ينمّ به دمع يلم هموع

أما موضوع الاستعطاف والاعتذار فيوقفنا عند حادث خطير اعترض حياة أبي الربيع أثناء ولايته على ثغر بجاية، حيث غضب المنصور عليه بسبب ضياع هذا الثغر من زمامه ووقوعه في قبضة ابن غانية (79) الذي استطاع بأسطوله أن يقوم بهجوم مفاجيء على بجاية في غيبة أبي الربيع الذي كان في طريقه إلى مراکش . وتفصيل الحادث ان ابن غانية وجنوده وصلوا إلى بحر بجاية على حين غفلة من أهلها « وقدموا زورقاً الى حريم أسوارها واستوثقوا بالاستفهام من جليلة أخبارها، فأشرف عليهم من أهل البلد من سألمهم عن شأنهم وما اضطرم إلى الهجوم من غير استيذانهم فأخبروا انهم غزاة يطلبون مرافق السواحل وهم بين نخادع ومقاتل .. وكان السيد أبو الربيع على مقربة منها راحلاً إلى الحضرة والكل من هؤلاء غير مستعدين ... فأقبل العدو من الغد على تعبئة واستعداد وتأهب وامتداد ... وانضموا إلى السواحل والأسوار انضم الطير إلى الأوكار وفتحوا إلى إحدى الجهات بأسرار تقدمت قبل من المكاتبات، فتدلى لهم

(79) هو علي بن اسحاق بن غانية الميورقي .

قوم من السوق والفساق وأسروا إليهم بعورات البلد وغفلة أهلها وقلة المقاتلة من أهل النجدة به فقويت بذلك آمالهم وامتدت أطماعهم. وهبط لمحاربتهم اخلاط من الناس من غير قائد يجمعهم، كسُف من العدة، نحأى من الضعف والوحدة... فاستولوا على البلد بأسره... وترك يحيى بن غانية أخاه بالبلد وخرج من فوره ليلاحق بالسيد أبي الربيع فالتقى معه بموضع يعرف بياميلول. فالتحازت العرب الى العدو وانطوت الى حزبه ورجعت معه على السيد وحربه، فخلع عن محلته واستولى العدو على ما كان فيها من أمواله وعباله وثقلته... وانهمزم السيد أبو الربيع واستشهد بعض رجاله وتخلي الى الجزائر فوجدتها غير حصينة، فأنحدر منها الى تلمسان واستقر بها... فريداً من جنده عارياً إلا من أدبه ومجده» (80).

ومهما يكن من أمر هذا الغزو المفاجيء وبالرغم من أن أبا الربيع كان غائباً عن بجاية في تلك الفترة فان المنصور جفاه وغضب عليه، مما اضطره الى استعطافه والاعتذار له. وعند ابن سعيد انه حين كان بمراكش تحت جفوة من المنصور «اتفق ان وفد على الحضرة وفد من الشام انتهى الى ظاهر مراكش وعين لهم الدخول في غداة اليوم الثاني، فكتب أبو الربيع للمنصور:

يا كعبة الجود التي حجت لها عرب الشام وغزتها والديلم  
طوبى لمن أمسى يلوذ بها غداً ويطوف بالبيت العتيق ويحرم  
ومن العجائب ان يفوز بنظرة من بالشام ومن بمكة يحرم

فاستحسن المنصور مقصده وأظهر الرضى عنه وأمر ان يكون هو الخارج للقاءهم والداخل بهم اليه» (81).

(80) البيان المغرب لابن عذاري الجزء الرابع ص 84 - 86 وانظر كذلك تاريخ ابن خلدون

ج، ص 243.

(81) الفصون البانعة، ص 131 - 132.

وانظر كذلك النفع الجزء الرابع ص 105، والرايات ص 98.



وإذن فقد عفا المنصور عن أبي الربيع بعد أن ظل مغضوباً عليه ما يقرب من سنتين وهي الفترة التي دامت بين هجوم ابن غانية على بجاية سنة احدى وثمانين وحضور الوفد الشامي سنة ثلاث وثمانين .

ولعله أقام مدة غير قصيرة من هذه الفترة بعيداً عن عاصمة الدولة ، فقد ذكر له جامع الديوان قصيدة قال انها نظمت في مدينة تلمسان ، أولها :

وفي غادة من ظباء القصور تركت فؤادي لديها رهيناً  
تقطّعُ نفسي عليها اشتياقاً ويذهب قلبي إليها حينئذ

وفي آخرها يقول :

لعل الذي قد قضى بالنوى سيجمعنا بكم أجمعيناً  
فنكرع في صفو عيش السرور ونرتع في ظله آميناً

والذي يبدو من حنين الشاعر إلى حبيته وما قد تكشف عنه الأبيات الأخيرة من ميله إلى التعبير عن حاله مع الخليفة ان أبا الربيع قال هذه القصيدة وهو في جفوة من المنصور .

ومن عجيب الاتفاق أن تكون هذه الأحداث التي واجهت أبا الربيع في بجاية كبيرة الشبه بما صادف والده أثناء ولايته على نفس المدينة « فقد كان عبد المؤمن حين فصل عن بجاية وولى عليها ابنه عبد الله ... عهد إليه أن يشن الغارات على نواحي افريقية وأن يضيّق على تونس ويمنع عنها المرافق التي تصل إليها على طريقه ففعل ذلك . ثم ان عبد الله تجهز في جيش عظيم من المصامدة والعرب وغيرهم وسار حتى نزل على مدينة تونس ... فحاصرها ... وأخذ في قطع أشجارها وتغوير مياهاها ، وكان الذي يملكها في ذلك الوقت لوجار بن لوجار المعروف بابن الدوقة الرومي صاحب صقلية ... وكان عامله عليها رجل من المسلمين اسمه عبد الله يعرف بابن خراسان لم يزل عاملاً عليها حتى أخرجه

الموحدون ... فلما طال على ابن خراسان الحصار أجمع رأيه ورأى أهل البلد من الجند على الخروج لقتال المصامدة. ففعلوا ذلك وخرجوا بجيـل ضخمة فالتقوا هم وأصحاب عبد الله (بن عبد المؤمن) ، فانهزم أصحاب عبد الله وقتل منهم خلق كثير ورجع عبد الله ببقية أصحابه إلى بجاية فكتب إلى أبيه يخبره بذلك « (82) .

وعلى الرغم من ان عبد الله لم يقع في جفوة من والده كما وقع لولده مع المنصور ، وظل والياً على بجاية ، فقد « غض منه اخواه أبو يعقوب وأبو حفص بعد موت أبيهم فزعموا انها دسا إليه جارية جميلة سمته في خرقة الجماء » (83) .

ولسنا ندري بعد هذا إذا كان أبو الربيع قد عاد إلى خدمة المنصور أم ظل بعيداً عن جو الحكم والسياسة، وأغلب الظن انه أصبح والياً على سجلماسة(84)، وانه كان في هذه الولاية أكثر حزمًا وشدة ، فقد دخل عليه الفقيه أبو عبد الله القسطلاني في قصر بسجلماسة فوجد بين يديه انطاعاً « عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الأرض بقضيب من الآبنوس ويقول :

---

(82) المعجب ص 227 - 228 .

(83) الغصون اليانعة ص 131 .

(84) سجلماسة ، كما بدأ وصفها كتاب « الاستبصار في عجائب الامصار » ص 200 « مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء ... بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين ... » ولكنها اندرست ولم تعد موجودة منها غير اطلال يطلق عليها المغاربة « المدينة العامرة » واقعة بمقاطعة تافيلالت في أقصى جنوب المغرب .

أنظر معجم البلدان لياقوت الجزء الثالث ص 45 ، والمسالك والممالك لابن حوقل ص 65 وأحسن التقاسيم للمقدسي ص 231 .

ولا غرو ان كانت رؤوس عاداته جواباً إذا كان السيوف رسائله(85)

وغير هذا لانعرف من اخباره في هذه الفترة شيئاً ، ولعله دام في ولاية سجلماسة حتى وفاة المنصور ، ولعله كذلك نقل إلى ولاية بلنسية ، بل إننا نجد جامع كناش ( واسطة العقدين ) يتحدث عن مناصبه فيقول انه « تولى ولاية نبيهة بالأندلس والعدوة منها قرطبة ومرسية وبيجة وسجلماسة » . والأرجح أنه اعتزل الحكم والسياسة في هذه الفترة من حياته وتفرغ للأدب والشعر ، وان كنا لا نجد له في هذه الفترة غير بعض الزهديات القصيرة كقوله :

إذا ما ذكرت الله فاضت مدامعي على كل ما فرطت فيض السحائب  
وأذكر يوم الحشر ان جئت غداً وذني معي والذنب أخبث صاحب  
وقوله :

ستعلم نفس قد قضى الله نجبها بأية ما كانت تجاهر ربه  
وما المرء إلا نائم طول دهره اذا ما انقضى عمر الحياة تنبها

ولسنا نستبعد ان يكون الشاعر قد اعتنى في هذه الفترة بتلخيص «الاغاني» أو اتمام هذا التلخيص وتنقيحه على الأقل ، لأن اهتمامه بهذا الكتاب بدأ لاشك في سن مبكرة ، ولكن الذي يدفعنا إلى عدم استبعاد اعتنايه بهذا الكتاب في أواخر حياته ان مختصره لم يظهر قبل موته . فالجزء الأول منه - وهو الجزء الوحيد الذي عثر عليه - مؤرخ في سنة 607 هـ أي بعد وفاة صاحبه بثلاث سنوات ، وان كان هذا الجزء لا يكشف عما إذا كان التاريخ المذكور تاريخ النسخ أو التأليف . وعسى أن يكشف عن النسخة الأصلية للكتاب أو عن بقيه الأجزاء المكتملة للجزء الموجود حتى نستطيع أن نؤكد هذا الرأي أو نفيه ونرى غيره .

ومها يكن من أمر ، فقد تفرغ أبو الربيع في أواخر حياته لنفسه وأدبه ، بعيداً عن جو الحكم والسياسة ، ولعله ظل كذلك إلى أن كانت وفاته سنة أربع وستائة (86) .

نعود بعد هذا إلى ما نقل ابن سعيد في « الرايات » عن معجم الشقندي من تشبيه أبي الربيع بابن المعتز العباسي وتيم ابن المعتز الفاطمي .

أما بالنسبة لشاعر بني العباس فلن نذهب بعيداً لنصل إلى ان هذا التشبيه لا يصدق عليها في غير صفة الشعر والامارة . وانها قد لا يلتقيان بعد ذلك إلا قليلاً . فعلى الرغم من أن ابن المعتز بدأ حياته أدبياً بعيداً عن جو الحكم والسياسة ، فانه لم يلبث ان طمع في الخلافة وسعى إلى تدبير مؤامرة على المقتدر نجح بها في خلعه ، لولا ان الأمر لم يتم له فلم يتول غير يوم وليلة حيث عاد المقتدر إلى عرشه وقتل هو (87) .

أما شعره فصورة لما أتيح له من رغد وترف نعم بها في حياة لاهية عبر عنها بقوله :

---

(86) كما بد « الغصون اليانعة » ص 134 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 249 . بل انا نجد جامع كناش ( واسطة العقدين ) يحدد تاريخ الوفاة برابع عشر صفر سنة أربع وستائة ( ج 1 ص 327 ) ونفبه إلى أنه في ( الغصون ص 134 ) ورد في الهامش أن وفاة أبي الربيع حسب ( الجذوة ) كانت سنة 610 ، وهو وهم ، لأن المقصود ليس أبا الربيع الموحي بالإضافة إلى الخطأ الوارد في نقل التاريخ .

(87) كان ذلك سنة 296 هـ . وابن المعتز هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن المعتز بالله . ولد سنة 247 وقاتل اثر عودة المقتدر الى الحكم . له كتاب « البديع » وكتاب « طبقات الشعراء المحدثين » وديوان شعر طبع في القاهرة في جزأين سنة 1891 م بمطبعة المحروسة ، وفي استانبول سنة 1950 حيث طبع منه الجزء الثالث والرابع بتحقيق ب . لوين . أنظر أخبار ابن المعتز في معجم الأدباء وبتيمة الدهر ووفيات الأعيان .

شربنا بالصغير وبالكبير ولم نحفل بأحداث الدهور  
وقد ركضت بنا خيل الملاهي وقد طرنا بأجنحة السرور (88)

ولعل الغزل - وهو من أهم أغراض الشاعر - يقرب بعض الشيء بينه وبين  
أبي الربيع . فهو ، وإن كان لا يخلو من اصطناع العاطفة وتكلف التجربة ،  
عفيف طاهر ، فيه كثير من التحرج والاحترام ، وهذا واضح في قوله :

ايا فتنة ما كنت منتظراً لها أما لقتيل الحجر بالوصل من بعث  
طلائع شوقي لا يقر قرارها ومولاي قاسٍ لا يرق ولا يرثي  
هلكتُ لئن دامت عليّ يمينه فيارب ادركني ووفّقهُ للحنث (89)

كذلك يقرب بين الشاعرين ميلهما إلى فن الاحاجي والإلغاز وما يقتضي من  
وصف وتصوير وتلاعب بحروف الكلمة وقلبها كقول ابن المعتز :

أنظر إليه أنابيباً منضدة من الزمرد خضر ما لها ورق  
إذا قلبت اسمه بانت ملاحه وصار مقلوبه اني بكم أثق (90)

ولعل الشاعر المغربي كان أكثر عناية بهذا الفن من شاعر بني العباس ، وهي  
عناية لا تبدو في كثرة ألغازه فحسب ، وإنما كذلك من معاناته في اخراج  
الصور والجمع بين المتباعدات على حد ما سنرى عند شاعرنا في فصل الوصف .

ويختلف ابن المعتز بعد هذا عن أبي الربيع في ادائه الفني بيميله إلى التلوين  
والزخرفة وقدرته على إيجاد الصور والاصباغ . فقد كان « شاعراً مصنّعاً من  
أصحاب مذهب التصنيع ، وكان يعجب لهذا المذهب إعجاباً شديداً دعاه إلى

(88) أنظر الديوان الجزء الثاني ص 63 طبعة استانبول .

(89) أنظر الديوان الجزء الأول ص 73 طبعة مصر .

(90) أنظر الديوان الجزء الثاني ص 125 طبعة مصر .

أن يكتب في أدواته وزخرفه كتابه « البديع » (91) وقد « وقف بتصنيعه عند الجانِب الحسي وعني خاصة بجانب التصوير وما يتصل به من تشبيهات واخيلة » (92) وهذا واضح في قوله يشبه الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر (93)  
وقوله في النارج :

وكأما النارج في أغصانه من خالص الذهب الذي لم يخلط  
كرة رماها الصولجان إلى الهوى فتعلقت في جوده لم تسقط (94)

وأما بالنسبة لتميم (95) فأغلب الظن ان تشبيهه الشقندي به لأبي الربيع لا يس غير ظواهر شكلية لا يلبث الباحث حين يتعمق بواطنها أن يكشف عن اختلاف جذري في واقع حياة الشاعرين ، لا شك انه طبع فن كل منهما بطابع خاص . حقاً انها يلتقيان في الشعر والامارة ، فكلاهما شاعر وكلاهما أمير ، وكلاهما أصيب بمحنة في حياته ، ولكن البون بينهما بعد ذلك شاسع كبير . فهو إذا كان نشأ طالباً للأدب والعلم في كنف الخلافة ، وافاد من انبيئة الثقافة التي عرف بها بلاط الفاطميين ، وخاصة بلاط والده ، فهو قد شغل باللهو والوعون عن تحمل مسئوليته كأمرير . مما جعل المعز يهمله ويغض منه وينجيه عن

---

(91) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 265

(92) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 267

(93) انظر الديوان الجزء الثاني ص 116

(94) انظر الديوان الجزء الثاني ص 123

(95) هو تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بن المنصور بالله بن القائم بأمر الله ، ولد سنة 337 بهمية تونس ( عاصمة عميد الله المهدي ) وانتقل مع والده واسرته الى مصر سنة 362 . نظر ترجمته في بتيمة الدهر ووفيات الاعيان ومعجم الأدباء وحسن المحاضرة وانظرها كذلك في مقدمة ديوانه .

ولاية العهد، لا سيما بعد أن تبين له انه على صلة ببعض أفراد الأسرة الذين كانوا يحاولون تدبير الفتنة والثورة (96) بل بلغ من عدم استقامته ان أساء الظن به اخوه العزيز فنفاه بعيداً عن مصر (97) ولكنه عاد من المنفى ليحيا حياة الترف واللهو والشرب في اسراف ومجون غير متورع عن اعلان استهتاره .

أما شعره فصورة واضحة لهذه الحياة في مختلف ظروفها . فهو يمدح الخليفة في السراء كلما سنحت له الفرصة فيسرف في مدحه ، على حد قوله في الإمام العزيز بالله الذي كان كثير العطاء له :

يد مثل صوب الغيث جوداً وناثلاً ورأي كجد الصارم العضب ذي الشطب  
ونفس لو أن الدهر من بعض مهابها لأفنته حتى لا تعد له حقب  
ألست أبا المنصور أول ناصر لمعروف كفيه على المال والنشب  
وأشرف من أعطى وأكرم من عفا وأفضل من وفى وأجود من وهب (98)

وقوله كذلك فيه :

لم يعطك الله حسناً أنت حاماه حتى استخف بنور الشمس والقمر  
ولا حبا الله بالملك العزيز ولا أعلاه حتى رآه سيد البشر (99)

وهو في المنفى يتملقه في كثير من الخضوع ليعفو عنه معبراً عن ألم الغربة والفراق ، وذاكراً ما أسدى له الخليفة من نعم ، ومحاولاً تبرئة موقفه :

وما أنا يا أبا المنصور إلا - كما تدري - على محض الوفاء

---

(96) انظر مقدمة الديوان صفحة ط - ي - ك .

(97) نفاه الى رملة بفلسطين .

(98) الديوان ص 63

(99) الديوان ص 146

وحين رجوت نصرك لي فإني بملكك بالغ أقصى رجائي

...

وقد بلّغتنني أملي فتممتمُ وتم لك السلامة في البقاء(100)

ويقول :

لو رمت قطع ودادي فيك ما انقطعا      ولو رجعت فؤادي عنك ما رجعا  
إذا ذكرتك في سر وفي علن      وجدت قلبك في حي قد انطبعا

...

ما لي إذا شئت لم أعطَ المراد وان      طلبت منك قبولاً عز وامتعا  
وان شفعت لقيمت المنع منك وإن      أذاك غيري شفيماً نال ما شفعا  
والله ما لي ذنب أستحق به      ذا المنع منك ولا ذا الردّ والشما  
ولو تذكرت ذنباً لانتنيت به      حتى أقطع قلبي تحتها قطعاً(101)

ولعل الشيء الذي نستطيع أن نستنتجه من شعره خلال حياته انه قليل  
الصدق ضعيف العاطفة . وهو استنتاج يؤكد لنا رثاؤه لأخيه عبد الله  
اذ يقول :

كل حي إلى الفناء يصير والليالي تعلقة وغرور  
وإلى الله يرجع الملك والملوك ويقضي الأمير والمأمور

---

(100) الديوان ص 38

(101) الديوان ص 262 و 263

(102) الديوان ص 147



كيف لم تسقط السماء على الأرض ولم تهو شمسها والبدور  
يوم مات الأمير بل يوم مات الصبر فيه بل يوم مات السرور

...

يوم أبكى العيون حتى بكاه الأسد سد الوارد والغزال الغرير  
وسمعت الزفير وهو صراخ ورأيت الدموع وهي بحور (102)

وابن المعز بعد هذا مغرم بالوان البديع وفنون التصنيع ، فتد كان « كابن  
المعز ... غزارة علم ومعاينة أدب وحسن تشبيهه وابداع تخييل ، وكان يقتفي  
آثاره ويصوغ على مناحيه في شعره اشعاره ... ) (103) .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف البين بين أبي الربيع وبين شاعر بني العباس  
وشاعر بني عبيد ، وهو اختلاف ستمتضح ملاحظه عند دراستنا لشعره ، فإن وجود  
بعض المعاني المشتركة التي تربطه بكل منهما تجعل شقة هذا الاختلاف تضيق  
بعض الشيء ، ولكن ليس الى الحد الذي يجعلنا نشبه بهما - كما ذهب الشقندي .  
وما نظنه الا متجاوزاً في القول -- وانما الى الحد الذي تقتضيه ظروف الفن  
والحياة عند كل منهم ، وسنعرض لهذه المعاني في مواضعها عند تعرضنا  
للموضوعات الشعرية عند أبي الربيع .

## الفصل الثاني

### شعره



يبدو من المقدمة التي صدر بها الغساني ديوان أبي الربيع أن هذا الديوانُ جمع في حياة صاحبه ، وفي فترة كان جامعاً مبعداً عن خدمة الشاعر ، وكأنه قصد من جمعه أن يتقرب إلى مخدمه ليعيده إلى حظيرة كتّابه . فهو يقول : « هذا كتاب جمعت فيه ما أملاه علي وبعث به من غرر نظمه إلي واختصني بتأليفه دون كتابه ، وندبني إليه من بين خدّمته وأصحابه ، من حلي بمحاسنه عاطلُ الدهر وفخر يجميل مناقبه وكرم ضرائبه لسان الزمان والعصر ، الذي أحيانا من العلوم ما كان مواتاً ، ونشر منها ما أعاده الإهمال رفاتاً وطلقه الناس بتأبتاً ، السيد الأجل الأكمل الهمام الأسنى الأفضل أبو الربيع بن السيد المعظم الملك المكرم أبي محمد بن سيدنا الإمام الخليفة الرضى أمير المؤمنين ادام الله سعده وأثل مجده وأورى في الآراء قدحه وزنده . فخذ شط بي الدهر عن خدمته وحرمني الزمان جميل عشرته وأعدمني حميد سيرته كندر عيش كان بخدمته صافياً ، ونضب بحر كان بتعليمه وتبصره زاخراً طامياً ، فأسال من حرمني النظر إلى جميل ذاته وأعدمني المشاهدة إلى حميد صفاته أن يعيدني إلى سامي حضرته ويرجعني إلى معهود خدمته ويكحل رمدي جفني برؤيته ، فيعود زمن مضى حميداً ويرجع ما خلق من الحظ قشيباً جديداً ويقرب ما أصاره القدر بعيداً بفضل الله ومنته وحوله وقوته » (1) .

ومما يؤكد أن الديوان جمع في حياة صاحبه أن النسختين الخطيتين الموجودتين

(1) مقدمة الديوان .

منه في الرباط والاسكوريال مؤرختان في سنة واحدة هي ثمان وثمانون وخمسة أي قبل وفاة أبي الربيع بستة عشر عاماً .

بل إنا نجد في الديوان أبياتاً يطلب فيها أبو الربيع من كاتبه الغساني أن ينسخ له هذا الديوان ، وهي التي يقول فيها :

ألا قل للفقير الألمي مقال مذكّر شرفاً قديماً  
متى غسان قد ذكرت بمطل متى عُرُفت بأن تأتي ذميماً  
وحاشي أن يقصر عن مداها وأنت ورثتها حسباً صميماً  
فمجتل نسخ ديوان القوافي فما ظني ترى فيه سثوما  
وما فيه سوى يوم ويوم لمن يخشى الملامة أن تدوما  
وهذا القول ذكر أو عتاب وحسبك ذكره هزت كريماً

ولسنا نعرف شيئاً عن جامع الديوان سوى انه محمد بن عبد الحق الغساني ، وانه كان كاتباً لأبي الربيع ، وانه أُبعد من خدمته لسبب لاندري عنه شيئاً ، وانه كان يتمنى العودة إلى حظيرة كتّابه ، وانه عاد إليها بعد ان جمع الديوان وقدمه إليه .

ولعله خطأ ما ورد في النسخ (2) ونقله الأستاذ المنوني (3) من ان ابا عبد الله محمد بن عبد ربه كاتب أبي الربيع هو جامع ديوانه . ويبدو ان المقرئ خلط

---

(2) أنظر المقرئ لدى ترجمته لابن عبد ربه حيث قال ( وجمع ابن عبد ربه المذكور شعر السيد أبي الربيع بن عبد الله بن أمير المؤمنين بن علي، وكان ابن عبد ربه المذكور كاتباً للسيد أبي الربيع » ( النسخ ج 2 ص 301 ) .

(3) العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدین ص 140 و 161 .

بين كاتبتي الشاعر فنسب الجمع إلى غير صاحبه وتبعه في ذلك الأستاذ المتونني على الرغم من وجود نسخة من الديوان لديه . ومع ذلك فليس مستبعداً أن يكون الديوان قد جمع مرة ثانية ، وان يكون جامعه في هذه المرة هو ابن عبد ربه ، وان يكون الشعر المنسوب الى أبي الربيع ، وهو غير موجود بنسخة الغساني ، منقولاً عن نسخة ابن عبد ربه ، وعسى أن يكشف البحث عنها ذات يوم .

والذي يبدو من تشابه في النسختين الموجودتين لدينا من الديوان في الاسكوريال والرباط انها منقولتان لا شك عن نسخة أخرى سابقة لعلها النسخة الأصلية ، وإلا فقد تكون إحدى هاتين النسختين منقولة عن الأخرى ، ولكننا لا ندرى أيهما تكون الأصل وان كنا نرجح ان تكون نسخة الاسكوريال أسبق وذلك لعاملين :

**الأول :** انها أكثر ضبطاً وصواباً من نسخة الرباط .

**الثاني :** ان بعض اخطاء نسخة الرباط ترجع الى عدم تنبه الناسخ لما بين الخطين الاندلسي المغربي والمشرقي من فوارق في التعجيم كما في الفاء والقاف مثلاً ، مما يؤكد أن نسخة الرباط منقولة عن الاسكوريال .

مهما يكن ، فإنه توجد لدينا من الديوان هاتان النسختان ونسخ غيرهما :

**الأولى :** وهي نسخة الرباط ، مكتوبة بخط مغربي أندلسي لا بأس به . وهي مسجلة تحت رقم 1310 د وتوجد في مجموع من ورقة 77/أ إلى 101/ب مسطرتها 20 مقياسه 270 / 205 ، وفي كل صفحة حوالي ثمانية عشر سطراً . فرغ منها في ثالث شعبان عام 588 . والمجموع يضم في أوله ديوان أبي فراس الحمداني ، وهو محبس كما في صفحته الأولى من قبل « أمير المؤمنين ابن الملك المنصور السلطان ابن الامام المهدي القائم بالله الشريف ... على المسجد المعروف داخل الحضرة المراكشية ... وشرط أيده الله ، ألا يخرج هذا المحبس عن المسجد

المذكور ... وكتب باليوم الثالث من شهر الله رجب عام سبعة عشر وألف .  
وهي تبندىء بقوله : « الحمد لله كما هو مستحق وأهله ، حمداً يمتري به إحسانه  
وقضله ، وتستدام بموالاته وآلؤه وطوله ، وصاواته على خير أنبيائه ورسله ،  
المتبعث بخير ملله ونحله سيدنا محمد نبيته ، وعلى آله وسلم تسليماً . هذا كتاب ... » .

\* \*

الثانية : وهي نسخة الاسكوريال (4) ، مكتوبة بخط مشرقى جيد وفي  
ثلاث وثلاثين ورقة صغيرة ، في كل صفحة منها ثلاثة عشر سطراً . فرغ منها  
في نفس التاريخ المذكور . وتحمل عنوان « نظم العقود ورقم الحلل والبرود » .  
وهي تزيد بيتين على نسخة الرباط ، ولعلها نسخت في طليطلة على ما يبدو من  
الصفحة الأولى حيث كتب بعد اسم الجامع وفي سطر مستقل « طليطلة » .  
وكتب بخط مغربي متوسط في أول هذه النسخة وبعد ذكر اسم الجامع بيتان  
إلغازيان لأبي الربيع هما :

خبّر فديتك من أبوه طائر ان كنت تفهم وابنه إنسان  
بين الابوة والبنوة وهو لا طير ولا إنس ولا شيطان

كما كتب في آخرها وبخط مغربي مخالف وغير مقروء ما يلي :

( ... الخميس الرابع لجمادى الآخرة

..... من العجمي

... شهر ابريل من السنة المذكورة)

وكتب أسفله بخط مغربي مغاير :

( الحمد لله في يد الولد المبارك أبي عبد الواحد

(4) تفضل مشكوراً بإرسالها إلي وأنا يومئذ بالقاهرة الأستاذ الصديق الدكتور محمد الميمني .

ابن الأمير أبي علي الأمير المرحوم أبي سعد ابن السلطان  
المرحوم . . . . . عبد الرحمن . . . . . يوم الأحد  
الثاني عشر لشوال عام ستة وثمانين وثمانمائة )

وهذا ما يفهم من أنها ملكت مرتين وان تاريخ آخر تليك هو سنة 886هـ.  
والنسختان سارتا على تقسيم واحد مع ملاحظة أن نسخة الاسكوريال  
أدرجت بعض قصائد النسيب في باب الإلغاز .

وكا جاء في النسختين ، فقد قسم الغساني ديوان أبي الربيع إلى خمسة أبواب :  
الأول : في المدح وما يتعلق به ، ويضم ثمانين بيتاً موزعة على خمس  
قصائد ومقطوعات .

الثاني : في الرثاء والتأبين ، ليس فيه غير قصيدة واحدة عدد أبياتها  
سبعة وعشرون .

الثالث : في النسيب ، ويشمل خمسة وأربعمئة بيت موزعة على إحدى  
وخمسين قصيدة ومقطوعة .

الرابع : في الألغاز وما ينحو نحوها من التشبيه ، ويضم إحدى وثلاثين  
قصيدة ومقطوعة مجموع أبياتها ستة وأربعون ومائة .

الخامس : في الزهد وعدد أبياته تسعة عشر تشملها خمس مقطوعات .

\* \* \*

وقد كدنا أن نعتمد على نسخة الاسكوريال ونعتبرها الأصل لولا أننا اهتدينا  
إلى النسخة الآتي ذكرها :

الثالثة : وقفت عليها في مكتبة السلطان أحمد الثالث في قصر طوبكابي .



باسطنبول ورقها 2333 . وهي مكتوبة بخط مغربي أندلسي جيد ومشكول ،  
وتقع في إحدى وخسين ورقة تحتوي كل صفحة منها على سبعة عشر سطراً .  
وكتب في صفحتها الأولى :

( صاحب السلطان بايزيد محمد خان خلد ملكه )

ديوان شعر ولد عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب

كتاب منظومات أبي الربيع بالعربية )

وكتب على نفس الصفحة :

( عمركم قليل ورزقكم كثير والله بما تعملون بصير )

كما كتبت قطعة شعرية غير مقروءة ؛ وتوجد بالصفحة بعض الأختام .

وتبتدىء هذه النسخة - دون ذكر اسم الجامع - بجمدلة مختلفة عن الجملة  
المستهلة بها نسخة الرباط والاسكوريال ، حيث افتتحت هكذا « حمداً لله أولى  
ما ابتدأ به المتكلم وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً ، هذا كتاب . . » . وعلى  
الرغم من أن بعض الأبيات الواردة في النسختين السالفتين سقطت منها ، فإنها  
تحتوي على شعر أكثر منهما ، حيث تضم أربعاً وأربعين وأربعمائة وألف بيت  
على سبع ومائتي قصيدة ومقطوعة ، وترتيبها كالاتي :

**الباب الأول:** باب المديح ، ويضم سبعين ومائتي بيت موزعة على ثلاث وعشرين  
قصيدة ومقطوعة .

**والثاني :** باب الرثاء ، ويضم ثلاثة وعشرين ومائة بيت موزعة على ثلاث  
عشرة قصيدة ومقطوعة .

**والثالث :** باب النسيب ويضم خمسة وستائة بيت موزعة على خمس وسبعين  
قصيدة ومقطوعة .

والرابع : باب الالغاز ، ويضم خمسة عشر ومائتي بيت موزعة على تسع وأربعين مقطوعة .

والخامس : باب التشبيه ويضم أربعة وستين بيتاً موزعة على عشرين قطعة .

والسادس : باب العتاب ، ويضم واحداً وتسعين بيتاً موزعة على أربع عشرة قصيدة ومقطوعة .

والسابع : باب الزهد ويضم ستة وسبعين بيتاً موزعة على ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة .

\*\*\*

الرابعة : نسخة المنوني ، وهي تزيد على نسخة الرباط بثلاث قطع شعرية ، وقد تفضل صاحبها الأستاذ الصديق محمد المنوني فأرسل إلي - مشكوراً - نسخة منها مرقونة . وهي غير مؤرخة .

\*\*\*

الخاصة : نسخة الأستاذ المرحوم ادريس بن المامي ، وهي حديثة حيث نسخها الأديب المرحوم أحمد النميشي ، وهي قريبة من نسخة الرباط ، ولعلها منقولة عنها .

\*\*\*

وقد أثار المراكشي لدى ترجمته لابن عبد ربه قضية اتهام تس شاعرية أبي الربيع وتظعن في صحة نسبة هذا الشعر إليه ، فعنده أن ابن عبد ربه « نحل كثيراً من شعره السيد الأجل أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن أيام كتابته له ، ولم يدع بعد ذلك في شيء مما نحله إياه من شعره ولا ذكر أنه له ، فكان أكثر شعره ينشد لأبي الربيع وترويه الرواة له » . ويزيد المراكشي ، وكأنه يعلل اتهامه ، فيقول : « عرفت ذلك بمد مفارقتة

إياه ، لأنني فقدت شعر السيد أبي الربيع واختلف على كلامه ، ورأيت بخطه اشعاراً نازلة عن رتبة الشعر جداً ، فعلمت ان ذلك الأول ليس من نسجه « (5) .

وكان منتظراً من المقرئ وابن سعيد أن ينظرا في هذه التهمة أو يشيرا إليها على الأقل فيما كتباه عن أبي الربيع أو ابن عبد ربه ، ولكنها سكنا عنها ، وكأنهما لم يعيراهما أي اهتمام ، بل كتب ابن سعيد على العكس من ذلك ، يؤكد أن « ديوان شعره مشهور » (6) وأنه « مجموع بأيدي الناس » (7) .

والأستاذ المنوني هو أول من أشار إلى هذه التهمة ولكن دون أن يبدي فيها رأيه ، فقد قال بعد أن أورد نص المراكشي : « هكذا يحكم المراكشي على شعر السيد أبي الربيع ، وعلى عكسه نرى ابن سعيد في المغرب ينوه به ككاتب شاعر أديب ماهر له شعر مدون حسب ما ينقل هذا في النسخ . واني وان كنت لا أستبعد صحة رأي المراكشي لمعاصرتي لأبي الربيع ولما استند إليه في حكمه ، فاني أحتفظ برأيي النهائي في الموضوع حتى يتسنى لنا الوقوف على ديوان السيد أبي الربيع » (8) .

وقد تعرض الأستاذ جنون لهذه القضية في آخر العدد الخاص بأبي الربيع من ( ذكريات مشاهير رجال المغرب ) ، فوضع التهمة في الميزان وناقشها في كثير من التحمس للشاعر فقال : « وهذه تهمة خطيرة يلصقها المراكشي بأميرنا الشاعر فتطيح بكل ما بنينا له من مجد أدبي رفيع ، ولكن ألا تكون دعاية سيئة من الكاتب ابن عبد ربه ضد مخدومه أبي الربيع بعد مفارقتة إياه .

---

(5) المعجب صفحة 300 .

(6) الرابات صفحة 98 .

(7) الفصون اليانعة صفحة 131 .

(8) العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين صفحة 162 .

وخصوصاً اذا كانت هذه المفارقة عن سخط لا عن رضى ، ومعها لا حرج عليه عنده وعند أمثاله فيما ينش من الشر وينشر من السوء ، فلم تزل تلك هي طريقة انتقام المبطلين من المحقين ؟

ولا يغرنك قول المراكشي أن ابن عبد ربه هذا لم يدع بعد ذلك في شيء مما نخبه إياه من شعره ، ولا ذكر أنه له ، فانما هو كلام فارغ وعذر باطل ، وإلا فمن أين عرف المراكشي نفسه أن ابن عبد ربه نحل كثيراً من شعره لأبي الربيع ؟

نجيب بأنه عرف ذلك من فقدته شعر أبي الربيع واختلاف كلامه عليه لما فارقه ابن عبد ربه كما قال هو ، ولكن لماذا لا يكون هذا الكلام من شعر أبي الربيع الذي لم يحتفل له ولا اعتنى بتجويده بعد ، فهو على كل حال نازل عن رتبة الشعر الجيد ولكن لا يدل حتماً على أن ما ينسب لأبي الربيع من شعر عال ليس له ؟

ثم ان مما يلزم قياساً على حكم المراكشي هذا أن كل أمير أو خليفة نظم شعراً جيداً فهو ليس له ، وانما هو لأحد كتابه أو شعرائه ... وعلى كل حال ، فانما نتنزل ونقول : ان هذه الدعوى ان لم تكن نتيجة عداوة شخصية لأبي الربيع ولا دسياسة أندلسية ضد هذه العدو وأدائها - فإن فيها مبالغة كبيرة جداً اذ يمكن أن يكون الأمير أبو الربيع استعان مرة بكتابه على تهذيب شعر له او اتمام احدى قصائده أو كلفه بالقول أصلاً في غرض من الأغراض لضيق وقته وعدم موادة ملكة النظم له في وقت يكون نزع ضرر الشاعر فيه أهون عليه من قول بيت من الشعر - كما يقول الفرزدق - فبنى هذا الكاتب أو غيره من الحبة قبة ، وروج بين الناس ان شعر أبي الربيع ليس له وانما هو نحله إياه .

وقد رأينا فيما نقلناه عن الشقندي صدر هذه الترجمة ، وهو من هو تعصباً على المغرب والمغاربة كيف يكبر من قدر المترجم ويطنب في مدحه ويقرنه في هذا الشأن بعبد الله بن المعتز العباسي وتميم بن المعز الفاطمي . ولئن حملنا هذا

الكلام على المبالغة وقلنا ان المترجم غراه بكرمه فقال فيه ما قال - والله تفتح  
اللها - فكيف نقول فيما حكاه من وقائع الحال التي حضرها بنفسه ورأى المترجم  
ينظم فيها الشعر الجيد كقصة هذا الشخص الذي تشفع له فيه فولاد واحسن  
إليه ، ولكنه اخلف الظن به فقال فيه أبو الربيع :

لا تصنع المعروف إلا لمن رأيتَه أهلاً لشكر الصنيع

إلى آخر الأبيات . ومن يدرينا ان هذا ابن عبد ربه كان من هذا القبيل على  
رغم مدح المراكشي له ؟

ومثل هذه القصة حكاية النهر الذي جلس عليه أبو الربيع والشقندي في  
سفر ليلاً فتمثلت فيه النجوم والقمر وارتجل أبو الربيع في ذلك الأبيات .. حكاها  
الشقندي . فأين كان هذا ابن عبد ربه ليقول الأبيات وينحليها بخدومه اللهم إلا  
أن يكون انقلب شيطاناً يرى ولا يُرى ، وكما يقال : لكل شاعر شيطان .  
والأبيات الفذة التي رفعها إلى المنصور لما وفد عليه وفد من الشام وكان بحال  
جفوة منه ، من الذي نظمها له ؟ وهو قد كان تحت غضب السلطان غير مرغوب في  
صحبتِه ، فهل هي أيضاً من الشعر النازل عن رتبة الشعر جداً يا مولانا المراكشي؟  
ان ما ذكره المراكشي من شعر ابن عبد ربه ونوه به ذلك التنويه العظيم  
لا يبلغ في شيء درجة كثير من شعر أبي الربيع الذي ذكرناه ، والناقد بصير  
وللشعر ميزان ، وان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر » (9) .

والواضح من هذا الدفاع أن الأستاذ جنون يرد التهمة في كثير من التحيز  
لأبي الربيع . فعلى الرغم من إثارتِه لمختلف الملابس التي تحيط بالقضية ، فانه  
لم يتناول منها في المناقشة غير الجوانب الدفاعية عن أبي الربيع ، غير مقلب بقية

---

(9) ذكريات مشاهير رجال المغرب العدد 10 الخاص بأبي الربيع من صفحة 26 إلى  
صفحة 30.

الجوانب التي ربما ساعدته على بحث التهمة في موضوعية علمية بعيدة عن الدفاع المتحمس المنحاز .

ولعلنا بادىء ذي بدء في حاجة إلى التعرف على ابن عبد ربه . فعند ابن سعيد انه : « من ولد أبي عمر بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ، رحل إلى المشرق ، وله رسالة في صقلية ذكر فيها ما جرى له بمصر ، وكان كاتباً لأبي الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن سلطان المغرب . ومن شعره قوله :

كأنا الشمس وقد قابلت بدر الدجى ، والأفق الأهيف  
عيناً هزبر كلف وجهه ينظر في عطفه لا يطرف  
فإن تقل ما لونها واحد قلت : وهذا سبع أخيف » (10)

وعند المراكشي أن المنصور أمر بعرض الجند ذات يوم : « فلما انتشروا بين يديه وأعجبه ما رأى من حسن هيأتهم قام فصلى ركعتين شكر الله عز وجل . واتفق إثر ذلك الركوع أن جاءت سحابة فأمرت مطراً جوداً حتى ابتل الناس فقال في ذلك ... ابن عبد ربه ... :

بادي الكرامة بل بادي الكرامات قد شفع الله آيات بآيات  
يا ليت شعري ما شيء دعوت به قبل السلام ومن بعد التحيات  
شيء تأثر عنه الجو فاتفقت فيه السحائب رايات برايات  
من كل وطفاء لفتاء الرباب همت ماء نقياً على زعف نقيات  
قل كيف لا يفتح الله البلاد وقد تفتحت لك أبواب السماوات

فاشتهر من يومئذ أبو عبد الله هذا وعرف مكانه ونبه قدره ، وله احسان كثير

وقدم راسخة في صناعتي النظم والنثر مع تحقق بشيء من أجزاء الفلسفة من علوم التعاليم وعلم المنطق ... وأنشدني من قديم شعره مقطوعة سينية لم أسمع بأحسن منها ، لم يبق على خاطري منها سوى آخر بيت منها وهو :

ولكن قوماً لا يغيب نهارهم إذا غربت شمس يديرونها شمساً

وله رحمه الله رحلة الى مصر لقي فيها ابن سناء الملك (11) وأخذ عنه من شعره وهو أول من سمعت يذكره عندنا ويروي شعره ... (12).

وعلى الرغم من أن مجال هذا البحث لا يسمح بالتوسع في مناقشة هذه القضية وما تتطلب من دراسة مقارنة لم تيسر لنا وسائلها بعد ، فإننا نستطيع بالنظر في ديوان أبي الربيع وفيما بين أيدينا من شعر قليل لابن عبد ربه أن ننتهي إلى أنه إذا كان شعر أبي الربيع يمتاز بالبساطة والوضوح والسلامة فإن شعر ابن عبد ربه يبدو أرقى أسلوبياً وأجمل ديباجة ، وربما كان أكثر خفة ورشاقة وأصاله . ولعل السبب في ذلك أنه كان ذا ثقافة أدبية واسعة له تهيأ لأبي الربيع الأمير الحاكم .

---

(11) هو أبو القاسم السعيد هبة الله بن القاضي الرشيد أبو الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك (550 - 608 هـ) وهو أكبر شعراء مصر في العصر الأيوبي ومن أكثرهم إنتاجاً للمنظوم والمنثور . له ديوان طبع بتحقيق محمد عبد الحق ضمن مذكورات دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد عام 1958 ، وكتاب « دار الطراز » نشره الدكتور جودة الركابي في دمشق عام 1949 ، وكتاب « فصوص الفصول » مخطوط بدار الكتب المصرية ( 2265 أدب و 1409 أدب ) . انظر كتاب الدكتور عبد العزيز الاهواني « ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر » - مكتبة الانجلو المصرية 1962 وانظر كذلك « دراسات في الشعر في عصر الايوبيين » للمرحوم محمد كامل حسين ص 121 - 130 .

(12) المعجب 297 - 300 وانظر كذلك ترجمة ابن عبد ربه في التفحج الجزء الثاني صفحة 300 - 301 .

أما القضية التي أثارها ضد أبي الربيع فليس مستبعداً أن تكون مجرد دعاية سيئة منه أشاعها بعد أن ترك خدمته ، وإن كنا لا نرى في شخصية أبي الربيع ولا في أسباب انفصال ابن عبد ربه عن خدمته ما يستدعي اتخاذ مثل هذا الموقف . فالذي يبدو من دراسة حياة أبي الربيع أنه كان شخصية ودیعة ورقيقة لا تثير حولها غير جو من المرح والحب بعيد عن زوابع الضغينة والعداء ، وأن ترك ابن عبد ربه لخدمته لم يكن نتيجة فصل أو طرد وإنما كان لا شك نتيجة حل بلاط أبي الربيع على أثر جفوة المنصور له ، ان لم يكن حصل قبل ذلك عن رضى من ابن عبد ربه وطلب منه .

وليس مستبعداً كذلك أن تكون القضية دسيسة أندلسية ضد العُدوة ، لا سيما والعصر عصر صراع بين أدباء الأندلس والمغرب - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ولكننا لا نجد أحداً من أدباء الأندلس يثيرها غير ابن عبد ربه ، ولو كانت كذلك لما سكنت عنها الذين تصدوا للمغرب يفاخرون بالأندلس ويباهون بأدبه وحضارته وخاصة منهم الشقندي الذي بدا على العكس مادحاً لأبي الربيع مكبراً من قدره .

ومثل هذا الموقف حين يتخذه الشقندي وهو من هو تعصباً ضد المغرب لا يعني في الواقع شيئاً إلا أن أبا الربيع « غزاه بكرمه فقال فيه ما قال » . (13) أما ما رواه الشقندي من حكايات حضر وقائعها بنفسه ورأى الشاعر ينظم فيها أبياتاً من الشعر الجيد فليس دليلاً على أن هذه الأبيات من وحي الساعة ولا على أنها من انشائه ، إذ قد يكون الشاعر في تلك اللحظة مجرد منشد لشعر سبق أن قاله هو أو غيره . وما يقال عن هذا الشعر يقال كذلك عن الأبيات التي رفعها للمنصور أيام جفوته .

---

(13) على حد قول السيد جنون ( ذكريات مشاهير رجال المغرب العدد 10 الخاص بأبي الربيع صفحة 8 ) .



وبلغ الحماس بالسيد جنون فحكّم بأن شعر ابن عبد ربه « لا يبلغ في شيء درجة كثير من شعر أبي الربيع » (14) وكان جديراً به قبل اصدار مثل هذا الحكم القاطع أن يترى بعض الشيء حتى تتسنى له محاولة المقارنة بين الشاعرين في دراسة علمية تضع فنهما في الميزان بعيداً عن التحيز والارتجال .

ولعلنا بعد هذا كله نستطيع أن نستبعد ادعاء ابن عبد ربه ، وان كنا نرى طبيعياً أن يسلك أبو الربيع سبيل الملوك والأمراء في كل زمان ومكان ويتخذ له كتاباً يحررون رسائله ويؤلفون كتبه ويقرضون شعره أو يساعدونه على قرضه . وإذا كان لنا مجال للشك بعض الشيء في صحة نسبة هذا الشعر لأبي الربيع ، ففي فن الوصف ما يبرر هذا الشك كما سيتضح لنا حين نتناول هذا الفن . بل انا نجد المراكشي يورد أبياتاً وصفية رائعة يقول إن ابن عبد ربه أنشده إياها لنفسه بينما هي واردة في ديوان أبي الربيع . وهذه هي الأبيات :

بين الرياض وبين الجو معترك      بيض من البرق أو سمر من السمر  
إن أوترت قوسها كف السماء رمت      نبلاً من الماء في زَعْف من الغدّار  
لأجل ذاك إذا هبت طلائعها      تدرّع النهر واهتزت قنا الشجر

وقد علق عليها المراكشي فقال : « ما سمعت بثلاثها ، هذا على إكثار الناس في هذا المعنى وتوارد هم عليه حتى صار أخلق من الليل والنهار من كثرة تكراره على الأسماع فلا يتخلص منه إلا من لطف حسه وجاد طبعه وحسن ميّزه ... فانظر إلى حسن توطئته لهذا المعنى وقوة تخلصه إلى هذا التشبيه بأحسن لفظ وأسهله على السمع والنطق » (15) .

(14) انظر المصدر السابق .

(15) المعجب 298 - 299 .

ومن يدري فقد تكون هذه القضية ناتجة عن انتشار شعر أبي الربيع ، إذ يبدو أنه كان شائعاً ليس في عصره فحسب بل حتى في العصور التالية ، وإلى حدٍ نسبت بعض قصائده للعهد المريني أو تمثل بها أدباء هذا العهد في المراسلات الرسمية والتهنئة بالفتوح . فقصيدته المشهورة التي قالها في مدح أبي يوسف على إثر فتح قفصة والتي استهل بها الديوان ، ومطلعها :

هبّت بنصركم الرياح الأربع وجرّت بسعدكم النجوم الطلّح

نجدها واردة في ( الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية ) (16) مع كتاب موجه من أبي محمد بن اشقيلولة لأبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني في التهنئة بفتح الاندلس ، كما نجدها في نفس المناسبة واردة عند صاحب القرطاس (17) .

\*\*\*

والحديث عن موضوعات شعر أبي الربيع يقتضي منا أن نتعرض لطبيعة الأغراض التي عالجها شعراء العصر . فقد طرّقوا مختلف الموضوعات الشعرية التي كانت معروفة لهذا العهد ، فنظّموا قصائد في كل الفنون التي نظم فيها شعراء البلاد العربية الأخرى من مديح وهجاء وغزل وحماسة ورتاء وزهد ووصف ، خلافاً لما ذهب إليه الأستاذ المنوني من أن الشعر المغربي « خلا في الجملة ولا سيما أيام عظمة الموحدين من السقاسف التي كانت شائعة في الأدب العربي حينئذ فنذر فيما وقفت عليه (18) شعر الخمرات وقلّ أدب التغزل المكشوف ، وذلك تأثراً

---

(16) ص 182 - 183 .

(17) ص 230 - 231 .

(18) هكذا يقول الأستاذ المنوني في كتاب العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين صفحة 139 .

بالطابع الديني الذي كازت عليه الدولة ابان عظمتها ، حتى أن عبد المؤمن لما أنشد في مجلسه أبو بكر محمد بن ميمون بن عبد الله القرطبي أبياتاً ثلاثة يتغزل فيها في شاب من أهل أغمات هجره هذا الخليفة ومنعه من الحضور في مجلسه وصرف بنيه عن القراءة عليه . وما يؤثر من شعر لعبد المؤمن في التغزل بفتاة قدت فؤاده ومساجلته في هذا الموضوع مع وزيره ابن عطية الى آخر القصة الشهيرة ، فالغالب أن ذلك مفتعل على عبد المؤمن من خصومه » (19) .

وقد عارض هذا الرأي الأستاذ عبد الله جنون في المقدمة التي صدر بها كتاب الاستاذ المنوني فقال : « ... ونحن مع كامل التقدير لجهود المؤلف وتمام الموافقة على جل ما له من أنظار ، فإننا لا نخفي عدم قبولنا لبعض الآراء التي ذهب إليها في بعض المسائل ... كإنكاره للمحاولة الشعرية المشهورة التي جرت بين عبد المؤمن بن علي ووزيره أبي جعفر بن عطية تأييداً لما ذهب إليه من أن الطابع الديني الغالب على الدولة جعل الشعر الغزلي يقلّ بل ينعدم من بين موضوعات الشعر . وهذا تعمق كبير ، فما منع الروح الديني المسيطر على الصحابة

---

(19) المصدر السابق . والخبر عن ابن ميمون وارد في « بغية الوعاة » صفحة 62 ومجده أن ابن ميمون « كان يحضر مجلس عبد المؤمن مع جملة العلماء ويبيدي ما عنده من المعارف الى أن أنشد في المجلس أبياتاً كان نظمها في أبي القاسم بن محمد بن تبتيت وهي :

أبا قاسم والهوى جنّة	وها أنا من مسها لم أفق
تفحّم جهنّم نار الضلوع	كما خضت بحر دموع الحدق
أكنت الحليل أكنت الكلم	أمنت الحريق أمنت الفرق

فهجره عبد المؤمن ومنعه من الحضور في مجلسه وصرف بنيه عن القراءة عليه ، وسرى ذلك في اكثر من كان يتردد عليه على أنه كان في المرتبة العليا من الطهارة والعفاف » وفيها أنه توفي براكش سنة 567 وقد قارب السبعين . أما الخبر عن المساجلة فقد سبق أن أوردناه ( انظر الفصل الثاني من الباب الاول ) .

في عصر النبوة من أن يقول كعب بن زهير ( بانث سعاد ) وينشدها النبي ﷺ  
والصحابة في المسجد وتكون سبباً في نجاته واجازته » (20) .

وليس من شك في أنه قد كان لطابع الدولة أثر ما في فن شعراء العصر كما يبدو في مدائح بعضهم للخلفاء، حيث يختلط المدح بعمان دينية تخلق نوعاً من الشعر المتصل بالعميدة والتصوف على حد ما سنرى عند التعرض لشعر أبي الربيع في مدح المنصور . ومع ذلك فلم يكن لهذا الطابع الديني أن يحول دون انطلاقهم للنظم في موضوعات الخمر والنسيب . وليس من شك كذلك في ان النصوص الشعرية التي وصلتنا عن هذا العصر تنفي بتاتا ما ذهب إليه الأستاذ المنوني من رأي . ولعله يكفينا أن ننظر في طوائف شعراء هذا العصر (21) وأن نشير بصفة خاصة إلى شاعر كأبي حفص الانماني - وكان مسؤولاً في الدولة - وما في شعره من غزل رقيق ليمتأكد لنا أن طابع الدولة لم يقيد فنون الشعر الموحد في شيء ؛ بل ما لنا نذهب بعيداً وفي ديوان أبي الربيع ما يعني عن كل دليل . فشعر الغزل والنسيب يستغرق حوالى ثلثي ديوانه - وهو من هو مكانة في الواجهة الرسمية للدولة - في حين لا يشكل المدح غير السدس منه . ولعله لم يتيسر للأستاذ المنوني وقت تأليفه كتابه أن يطلع على هذه النصوص التي كانت لا شك ستغير من نظرتة إلى الشعر المغربي في هذا العصر .

نعود بعد هذا لأبي الربيع فنجد أنه عالج أغراضاً شعرية مختلفة ، سنتناولها حسب الترتيب الآتي :

أولاً : الغزل .

(20) انظر مقدمة السيد جنون لكتاب العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين .

(21) أنظر الفصل الثاني من الباب الاول .

ثانياً : المناسبات وستعرض فيها للموضوعات التالية :

1 - مجالس الأندلس .

2 - التهاني .

3 - الاستعطاف .

4 - الرثاء .

ثالثاً : الوصف ، وهو قسمان :

1 - صريح .

2 - أَلغاز .

رابعاً : الزهد .

\* \* \*

## أولاً : الغزل

والغزل - كما سبق أن أوضحنا - يستغرق نصف ديوان الشاعر ، وهي نسبة عالية ليس فحسب إذا قيست بمجموع شعر أبي الربيع - وهو قليل - وإنما إذا قيست كذلك بما عند معاصريه المغاربة من رصيد في هذا الفن . ولعلنا قد نفتقد مثل هذه النسبة حتى عند غير معاصريه .

وليس الغزل عند شاعرنا من ذلك اللون التقليدي الذي يستهل به الشعراء قصائدهم ويقدمون به لغيره من الأغراض ، وإنما هو غزل مستقل في كيانه غاية لذاته .

وقد سبق ان اشرنا في ترجمتنا للشاعر إلى أن هذا الغزل لا يكشف فقط عن إحساس مرهف ووجدان مشبوب ، بل يكشف كذلك عن عاطفة عميقة تفتحت لحب صادق وهب قلبه إياه ، فلم يظفر منه بغير قليل من ألوان المتعة والنعم . فهو قد أحب وقاسى من حبه ، فعبر عن ذلك في غزل رقيق عفيف لا يبتعد عن اللفظ الشريف والغاية النبيلة ، فيه وجدٌ وشكوى وحرقة وبكاء ، وسهاد وشوق ، وحزن ورهبة ، وقلق وصبر . تنأى الحبيبة فيذهب النوم عن عينه ويسهر يرعى النجوم ويبكي بدمع منهمر غزير :

الِفْتُ جفوني الدمع فيك الوف فلها على رعي النجوم عكوف  
وتعلمت كيف البكاء فدمعها يربي على قطر الحيا وينيف

ولكن البكاء لا يطفىء من نار البعد والشوق ، وإنما يزيد لها اشتعالاً والتهاباً :  
فبكي ليظفي حره بدموعه غلطاً فكان الدمع بعض زناده  
عجباً لنار لم يزد لها دمعها إلا وقوداً وهي من أضداده

ويكتب لها عسى أن يكون في ردها ما يشفي غلته فلا يزيد الجواب إلا  
إحساساً بألم البعاد ونار الشوق :

كُتبت إليها أشتكي ألم النوى لعلّي أرى يوماً إليّ كتابها  
وكنت أرى ان الجواب تعلق فقد زاد ما بي ان رأيت جوابها  
ويبعث لها الرسل يزورونها ويحملون لها تحياته وأشواقه :

وزر الديار إذا وصلت مسلماً وانذب بها قلبي الصريع طويلاً  
واقراً السلام على ألوف وقل لها بتلطف: أحبيبي - فديت - قتيلاً

ويوصيهم بالتلطف في إخبارها ، حتى لا تقلق وتضيق . ويدفعه الخوف  
من ازعاجها إلى الترفق في تبليغ سلامه فيكلف الطير بنقل ما بينها من عواطف:

يا أيها الطير خبر ما للحبيب لدينا  
وانه ليس شيء احب منه إلينا  
واقرا السلام عليه منا ومنه علينا

ويطلب منها أن تسأل الريح :

أقول إذا هب النسيم غدية على كبدي الحرى عليك بليلاً  
سل الريح لم فاح الغداة نسيمها أجزت على مغنى الحبيب ذيولاً

ولكنه لا يلبث أن يستسلم لهجرها بعد أن عجزت كل وسائل الاتصال عن  
اقناعها بحاله :

ان يكن وصلٌ فنعم لعيني أو يكن هجر فصبر جميل

وهو على الرغم من البعد والهجر يحافظ على العهد وعلى الأمل في تحقيق  
الوصل :

لا تحسبوا أني كلفت بغيركم      وجدأ وأني خنتكم عهدا  
 ما ذاك من شيم الكرام وإنني      أرعى الزمان وأحفظ العهدا  
 إن كان هذا الدهر حالف صرفه      فينا البعاد وأظهر الحقدا  
 وتعصبت لفراقنا أيامه      وتجمعت لقتالنا جندا  
 فالله يخلف ظنه ويديلنا      وصلاً وينظم شملنا عقدا  
 ويتيح للصبر المشوق لقاءكم      عَجَلًا فيضحى عيشه رغدا

ويتساءل عما إذا كانت تحافظ مثله على العهد :

ألوفُ وقاك الله كل مساءة      بعيشك قولي كيف حالك من بعدي  
 حفظتِ ذمامي أم نسيت مودتي      فاني وحق الحب باق على العهد

وهو في ذلك يتحمل ألواناً من الحن لا يواجهها بغير الصبر وإن عيل :

لا تضق ذرعاً بمهنته      فاغترار الصب في المهن  
 عيل صبري في محبته      واعترتني أضربُ الحن

وقد غدا من ذلك يعاني من السقم والنحول وكثرة البكاء :

ترون جسوماً براها النحول      تكاد من السقم ألا تبينا  
 وناراً مضمرة في الحشا      تسيل على الخد ماء معيناً

بل لقد غدا من فراقها أبيض الشعر منهك الجسم لين العظم دائم البكاء  
 والسهاد :

وشيتن أيام الفراق مفارقي      وأنهكن من جسمي وأبلين من عظمي  
 فمها يراني الناس قالوا صبابة      أضرت به ماذا اعتراه من السقم  
 فقلت لهم : ما الأمر ، ما قد طلبتم      ألا فاسألوني تجربوا بعدُ عن علم



ترادف طول البين صيرني كما ترون وأبدى ما أسر من الكتم  
ووكّل طرفي بالسهاد فليس لي منام ولكني رقيب على النجم  
إذا جمع النوم أرسلت عبرة وعفيت آثار الركائب باللم  
أغالب نفسي كي أفوز بغفوة لعلني أرى فيها الأحبة في الحلم

وتتحقق له هذه اللحظة فينعم فيها بالوصل :

جاد بالوصل فلما ان رأى فلق الصبح دعا وانطلقا  
ترك الصب على حال ردي مقلًا غرقى وقلبا محرقا  
أشكر الله كفاي وصله والرضى عني وقرب الملتقى  
ومبيني معه يجمعنا لحف العز وأبراد التقي

وهو لا يلبث يطرح التساؤل عن هذه الزيارة الليلية التي تتيحها له الحبيبة ،  
البخيلة بها في النهار :

ألا كيف زرت الصبّ في فاحم الدجى وقد كنت في وجه الصباح بخيلا  
على أنه لا يقنع بزيارة الطيف ويظل أبداً يطلب الوصل الحقيقي في  
لهفة ورجاء :

لعل الذي قد قضى بالنوى سيجمعنا بكم أجمعينا

ولكن اللقاء كالفراق ، مصحوب بالدموع ، وإن كانت دموعاً من نوع آخر :

تلاقينا على باس فكانت تحيئنا مساجلة الدموع  
فلو أبصرتنا يوم التقينا كما التقت الطباء لدى الشروع  
بكينا في الفراق وفي التلاقي فلم تخل المدامع من هموع  
فيوم فراقهم أسفاً عليهم ومن فرح بهم يوم الرجوع

وهو قبل أن يتحقق له اللقاء، وعلى الرغم من وضعه المؤلم بعيداً عن حبيبته، لا يسلم من لوم العواذل ، ولكنه لا يعيرهم اهتماماً :

يا لائماً في الحب لا يقلع أقصر فإنّ اللوم لا ينفع  
ففي غزال فؤادي له مرعى وفي النفس له مكرع  
آليت لا أصغي إلى لائمه حتى ولو لام الورى أجمع

وهو في هذا كله يحمل الدهر مسؤولية التفريق والابعاد :

فلو ان هذا الدهر ينصف شاكياً لفرّق ما بيني وبين المصائب  
ولو انه يجري على العدل حكاه لجمع ما بيني وبين الحبايب

ولعله في ذلك على حق ، إذ كلما تهباً له لقاء الحبيبة نادى داعي الواجب للرحيل إلى غزو أو غيره من المهام التي تناط به . ويقف موزعاً بين نداء قلبه كمحب جادت عليه الحبيبة بالوصال ، ونداء واجبه كأمر يقدر مسؤوليته في الدولة .. فلا يتردد لحظة في تلبية داعي الوطنية والمجد ، لا يثني عزمه إغراء أو عاطفة :

وقائلة أين الترحل سيّدي وتترك قلبي من هواك مصدّعا  
فقلت لها مهلاً فلست بتارك لعذلك ما أرجو به ان أرفعاً  
اذا ما أردت الغزولم يثن عزمي رخم يسوم العزم ان يتمنعاً

...

فلما رأى ان لا انثناء وانني عزمت بكى خوف النوى ثم رجّعا  
وقال رعاك الله مالي حيلة سوى انني أدعو لترجع مسرعا  
فللّيه ما شجى حبيباً رأيتيه تفيض مآقيه عشية ودّعا  
ولله ما أندى ازاراً بفضله مسحت له يوم التفرق مدمعا

والقصيدة تذكرنا في هذا الموقف بقصائد الشعراء الذين تشبث بهم زوجاتهم وحببياتهم حين يزمعون على السفر والرحيل ، فهي تذكرنا برائية أبي نواس (22) التي يمدح فيها الخصيب (23) ويصف رحلته إليه ، والتي يقول فيها متحدثاً عن حبيبته :

تقول التي من بيتها خف مركبي	عزيزٌ علينا ان نراك تسير
اما دون مصر للغنى متطلب	على ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر	جرت فجرى في جريه عير
ذريني أكثر حاسديك برحلة	الى بلد فيه الخصيب أمير
إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا	فأبي فتى بعد الخصيب تزور

وهي تذكرنا كذلك بقصيدة ابن زريق (24) العينية التي يقول فيها :

(22) هو الشاعر المشهور أبو علي الحسن بن هانئ الحكمي المعروف بأبي نواس . ولد بالاهواز حوالى عام ١٤٠ ، وتوفي ببغداد حوالى عام ١٩٥ . له ديوان طبع في القاهرة وبيروت . انظر في أبي نواس ( اخبار ابي نواس ) لابي هفان المهزومي ، واخبار أبي نواس ونوادره ومجونه لابن منظور ، وابو نواس لمحسن الامين ، وأبو نواس بين التخطي والالتزام للدكتور علي شلق ، وألحان الحان لعبد الرحمن صديقي ، وانظر قصيدته الرائعة في « أبو نواس » لمحسن الامين صفحة 101 الى 106 .

(23) صاحب مصر من قبل الرشيد . وقد رحل اليه أبو نواس من بغداد ومدحه بعدة قصائد ولكنه لم يلبث ان هجاه .

(24) هو الكاتب الشاعر أبو الحسن علي بن زريق البغدادى . رحل إلى الأندلس وبها توفي عام 420 هـ ( 1029 ) .

أنظر بروكلمان 1 صفحة 133 وكشف الظنون الجزء الثاني صفحة 1326 وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي الجزء الأول صفحة 164 - 165 - 166 حيث وردت القصيدة كاملة .

لا تعذليه فان العذل يولعه      قد قلتِ حقاً ولكن ليس يسمعه  
جاوزت في لومه حداً يضر به      من حيث قدّرت ان اللوم ينفعه

...

قد كان مضطهماً بالبين يحمله      فضلعت بخطوب البين أضلعه  
يكفيه من روعة التنفيذ ان له      من النوى كل يوم ما يروّعه  
ما آب من سفر الا وأزعجه      رأي إلى سفر بالعزم يجمعه  
كأنما هو من حل ومرتحل      موكل بفضاء الأرض يذرعه

...

تأبى المطالع إلا أن تجشمه      للرزق كداً وكم ممن يودعه

...

أستودع الله في بغداد لي قمراً      بالكرخ من فلك الازرار مطلعته  
ودعته وبودّي أن يودعني      صفو الحياة واني لا أودعه  
وكم تشفع بي أن لا أفارقه      وللضورات حال لا تشفعه  
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى      وأدمعي مستهلّات وادمعه  
لا اكذب الله ثوب العذر منخرق      عني بفرقة لكن ارقعه

وأبو الربيع في موقف الوداع يواجه كذلك ابنته التي تتساءل عن رحيله بعين  
باكية ، ثم لا تلبث أن تستسلم فتودعه داعية له :

تقول ابنتي الصغرى غداة رحيلنا      وأدمعها كالقطر بل هي أسرع  
حنانك هذا البين حتم وقوعه      علينا فما ينفك منه تروّع  
وشدت على حضني كفتي مشوقة      وقالت أبي تمضي فما لي أرجع  
بنية كفي من بكائك واصبري      ولا تجزعي ان البكا ليس ينفع  
فقال على اسم الله فارحل مصاحباً      وسر في أمان لا نبابك مضجع

وعلى الرغم من عفة أبي الربيع التي شابه فيها شعراء البادية الأمويين (25) وشعراء العاطفة العباسيين (26) فإنه - على عكسهم - أحب أكثر من واحدة، فقد ذكر لنا اسم أوف ورملة وأشار في بعض شعره إلى ثلاثة لم يذكر اسمها كانت تلومه بدافع حبها له لا شك وتدعوه إلى هجر أوف ، ولكن يبدو أنه لم يكن يبادلها نفس الشعور وأنه كان يردّها عما هي بصدده :

الأنتي كفي فما أنا بالذي أصيخ الى قول العواذل مسمعا  
ولا تكثري لومي فلستُ بها جرح أوفاً ولو خوّلت كسرى وتبعاً  
وكيف بنفسي بالسلو عن التي شربت بها كأس الصبابة مترعاً  
وعُلققتها طفلاً صغيراً ويا فماً فما إن أرى عنها، حياتي، منزعاً

كذلك تغزل أبو الربيع في أخرى رابعة يبدو أنه تعلق بها خلال مقامه بتلمسان حين كان في جفوة المنصور :

وفي عادة من ظباء القصور تركت فؤادي لديها رهيناً  
تقطعُ نفسي عليها اشتياقاً ويذهب قلبي إليها حيناً

ونكاد نميل الى أن الشاعر لا يعبر في هذه القصيدة عن غير حبه لأوف أو رملة بعد ان حالت جفوة المنصور له دون مقابلتها .

وعلى الرغم من أننا لا نعرف عن أوف إلا أنها أم حفصة ، فإننا لا نستبعد أن تكون زوجته وأم أولاده، لم يفرق بينهما غير المهمات التي كانت تضطره إلى السفر :

(25) هم شعراء المدرسة العنودية ، من أبرزهم قيس بن ذريح وقيس بن الملوح وكثير بن عبد الرحمن وجميل بن معمر .

(26) أمثال العباس بن الأحنف وعلي بن الجهم ودعبل وأبي العتاهية .

يا أم حفصة والمطيئُ بنا على قرب من العذب الشهي المورد  
هل بلغتك الريح أني قادم ومسلم ان شاء ربي في غد  
ومع ذلك ففي البيت التالي ما يبعد هذا الافتراض :

كيف امتنعتِ أوفنا من وصلنا هذي الزيارة لم تكن في موعده  
ولعله - وخاصة بهذا الفراق المتواصل - مال الى رملة التي لا شك انها كانت  
من طبقة أوف والتي كان يريد اخفاء حبها عن ان يشيع بين الناس فلا تلبث  
دموعه ان تفشيه :

واني لأخفي حب رملة جاهداً وأعلم حقاً انه سيشتيع  
وما أنا بالمفشي له انما الذي ينم به دمع يلم هموع

ولسنا نشك في ان حب الشاعر لأكثر من واحدة لا يعني انه كان من طبقة  
الاباحيين الذين تنقلوا من واحدة الى أخرى طلباً للعبث واللهو ، فهو قد أحب  
المرأة انساناً يسعى الى قلبها فعمبر عن حبه في غزل رقيق وصف فيه كما رأينا  
مشاعره وعواطفه دون اسراف أو جنون ، واحبها فناناً معجباً يجمالها يرسم  
صورتها غير مسف في التصوير أو مفتحش في الوصف ، متورعاً عن ذكر ما  
يخدش العفة والاباء :

أمشبهة ريم النقا ومها القفر ونخلة حسناً سنا الشمس والبدر  
ورائعة الحسن الذي قيد طائعا فأودع ما بين الجبين الى النحر  
ومن خدها يربي على الشمس بهجة ومن قدما يزري على الغصن النضر  
ومن لحظها يغنى عن الفتك بالظبا ببيض رفاق أو مثقفة سمر  
بألك من كشح هضم ومعطف وردف ثقيل قد تمايل مزور  
وشعر شنيب يضحك الحسن فوقه وطرف عليل قد تكحل بالسحر

ويصفها كذلك فيقول :

أوجهك يا فتان أم قمر السعد      وتلك الثريا أم مخنقة العقد  
أريت بياض الصبح في فاحم الدجى      وأطلعت بدر التم في القضب المدد  
وقدأً يحاكي الرند لينا ونفحة      إذا هبت الريح الرخاء على الرند  
أراد قوام الغصن يحكي انتشاءه      وأين قوام الغصن من ذلك القند  
كأن قضيب الآس لونا ونعمة      قوامك إذ تخطو بمخضرة البرد

فأبو الربيع كغيره من شعراء الغزل في الجاهلية والاسلام أحب في المرأة  
الوجه الوردى والعنق الطويل والجبين الواضح والقم العذب والرائحة العطرة  
والقوام الرشيق والخصر النحيل والردف الثقيل والشعر الفاحم والأسنان  
اللؤلؤية المنظومة ، وهي كلها أوصاف تناولها شعراء المشرق منذ قال  
امرؤ القيس :

هصرت بفودي رأسها فتايلت      عليّ هضم الكشح ربأ الخلخل  
مهيفة بيضاء غير مفاضة      ترائبها مصقولة كالسجنجل

...

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي      بناظرة من وحش وجرة مطفل  
وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش      إذا هي نصته ولا بمعطل  
وفرع يزين المتن أسود فاحم      أثيث كقنو النخلة المتعككل

...

وكشح لطيف كالجديل مختصر      وساق كأنبوب السقي المدلل (27)

وهي نفس الأوصاف التي تصور المثل الأعلى لجمال المرأة عند أغلب شعراء

الأندلس (28) والتي تمثلها هذه الأبيات من مقصورة حازم (29) :

فرع أثيث فوق فرع ناعم قد ماس من سكر الشباب وانثنى  
وغرة شب بقلبي نورها ناراً فأمسى للشجون مصطلي  
وناظر يمنع كل ناظر من ورد خد ناظر أن يجتنى  
خط قويم بين قوسي حاجب وشارب كلاهما قد انحنى  
ومبسم يزدحم البرق به إذا انبرى ما بين ظلم ولما  
وعنق كأنه جيد طلي قد عطف الليث التفاتاً وعطا

(28) اختلف شعراء الاندلس في تصوير المثل الاعلى لجمال المرأة ، فاذا كان أغلبهم قد وافقوا المشاركة في تمثلهم لهذا الجمال فان بعضهم خالف هذا المثل كان حزم الذي كان يحب الشعر الأشقر الذي يرى فيه لون النور والتبر والترجس ، ويكره الشعر الاسود الذي لا يرى فيه غير لون أهل جهنم والرايات السود :

يعيبونها عندي بشقرة شعرها  
يعيبون لون النور والتبر ضلة  
وهل عاب لون الترجس الغض عائب  
وأبعد خلق الله من كل حكمة  
به وصفت ألوان أهل جهنم  
ومذ لاحت الرايات سوداً تيقنت  
فقلت لهم هذا الذي زانها عندي  
لرأي جهول في الغواية ممتد  
ولون النجوم الزاهرات على البعد  
مفصل جرم فاحم اللون مسود  
ولبسة باك مشكل الاهل محتد  
نفوس الورى ان لا سييل الى الرشد

انظر طوق الحمامة صفحة 30 .

وابن حزم في هذا يوافق شعراء بني امية الاندلسيين الذين كانوا يفضلون الشقراوات ( انظر الشعر الاندلسي لغارسيا غومس ص 47 ) .

(29) هو حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني ولد بقرطاجنة بشرق الأندلس سنة 608 ( 1211 ) ثم انتقل إلى افريقية حيث توفي بتونس عام 684 ( 1285 ) .  
انظر ازهار الرياض الجزء الثالث صفحة 172 وبغية الوعاة صفحة 214 ونفح الطيب الجزء الثاني صفحة 72 .



ومعهم شكا السوار ربه لما تشاكت ريّ ساقيه البرا  
ومعطف لين وخصر ذابل ظامٍ وردف ناعم قد ارتوى (30)

ولم يكن غزل أبي الربيع ليخلو من بعض اللقطات الحسية التي تصوره  
يطلب المتعة ويسعى إلى اللذة ، ولكنها لقطات لا تبدو في غير مجالس الشرب  
كما سنرى عند الحديث عن خمريات الشاعر ، أما فيما عدا ذلك ، فقد كان عفيفاً  
يحسب للفضيلة حسابها ويحترم نفسه ويقدر مركزه .

والذي نريد ان نسجله لأبي الربيع انه انتهى من طول معاناته الصادقة  
للحب الى استخلاص ما يشبه نظرية فلسفية ترى ان طريق الحب وعر وان امره  
خفي وان حقيقته غير معروفة :

ومن ركب الحب في المرتقى فقد ركب المنهج الأوعرا

...

الحب دق فلا تُدري حقيقته فمن يرد فيه لا يقدر على الصدّر  
وجل عن ان يرى يخفى فكمنه في القلب مثل كمن النار في الحجر  
ان تقدحوا زنده تظهر حرارته أو تتركوه خفى عن أعين البشر

ومثل هذا الرأي يذكرنا بتفسير ابن حزم للحب حيث قال : « الحب ...  
دقت معانيه لجلالته عن ان توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة » (31) .

بل يزيد أبو الربيع فيتوج هذه المعاناة بالاستشهاد :

صلّوا على ميتكم انه يوم النوى استشهد في المعترك

---

(30) رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة لأبي القاسم الفرناطي الجزء الأول من  
صفحة 185 إلى صفحة 188 .

(31) طوق الحمامة صفحة 5 .

ويكفيه في ذلك رثاء قاتله حيث يحذر من المطالبة بدمه :

صد عني صد محتشم ورثا لي وهو يقتلني

...

فاحذروا ان تطلبوا بدمي طرفة خوفاً من الفتن

وعلى الرغم من ان أبا الربيع في غزله لا يعبر عن غير أحاسيس وعواطف صادقة ، وعلى الرغم من ان صدق هذه العواطف والأحاسيس جعل تعبيره عنها لا ينبع من غير أعماق نفسه ، فانه لا يستبعد أن يكون قد تأثر بمن سبقه أو عاصره من الشعراء . وليس من شك في انه من الصعب ان نحدد مواطن هذا التأثر لا سيما والمعاني التي طرقها شائعة بين شعراء الغزل في كل عصر . ومع ذلك فقد ذكر جامع الديوان في مستهل القصيدة التي أولها :

يا خليلي بذي الأثل قفا وسلا ربعم كيف عفا

انه قالها في طريقة مهبّار (32). ولسنا ندري اذا كان الغساني يعني بهذه الملاحظة قصيدة بعينها أو انه يعني طريقة الشاعر العراقي في عمومها المتسممة بالروح البدوية . وأغلب الظن انه لا يقصد الى غير هذا الرأي . وطريقة مهبّار لا تبعد كثيراً عن طريقة أبي الربيع : عفة في الغزل ومعان مألوفة وبكاء ونحيب ولوعة وصبر وانتحاب للبعد والفراق . ومن خير ما يمثل هذه الطريقة قصيدته التي يقول فيها :

---

(32) هو مهبّار بن مرزويه الديلمي الفارسي كان مجوسياً واسلم . توفي سنة 428 هـ . له ديوان طبع في أربعة أجزاء ( دار الكتب المصرية بالقاهرة - 1925 ) ، انظر مقدمة الديوان فقد وردت فيها ترجمة الشاعر منقولة عن رقيات الأعيان لابن خلدان و « المنتظم في تواريخ الملوك والأمم » لأبي الفرج الجوزي . وانظر كذلك تاريخ الفكر العربي لاسماعيل مظهر ( فصل مهبّار الديلمي ، دلالة شعره على نسبه من ص 173 إلى ص 183 ) .

يا نداماي بيسلّع هل أرى      ذلك المغبى والمصطبجا  
 أذكرونا ذكرونا عهدكم      رب ذكرى قرّبت من نزحا  
 واذكروا صبّا اذا غنى بكم      شرب الدمع وعاف القدحا  
 رجع العاذل عني آيسا      من فؤادي فيكم ان يفلحا  
 لو درى - لا حلت ناجية      رحله - فيمن لحاني ما لحا  
 قد شربت الصبر عنكم مكرها      وتبعت السقم فيكم مسمحا  
 وعرفت الهّمّ من بعدكم      فكأنني ما عرفت الفرحا (33)

كذلك تذكرنا قصيدة أبي الربيع النونية التي قالها بتلمسان والتي أولها :

وفي غادة من ظباء القصور      تركت فؤادي لديها رهينا  
 تقطّع نفسي عليها اشتياقا      ويذهب قلبي إليها حنينا

بقصيدة ابن زيدون (34) النونية التي مستهلها :

(33) الديوان الجزء الأول ص 203 .

(34) هو أبو الوليد أحمد بن زيدون الخزومي القرطبي ( 394 - 463 هـ ) عاش في قرظبة ثم انتقل الى اشبيلية حيث نعم في رعاية بني عباد وهو صاحب ولادة بنت المستكفي . وإليها أرسل قصيدته النونية التي يشكو فيها الأم هجرها له . ولابن زيدون ديوان نشر في القاهرة سنة 1932 بتحقيق كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة ، ورسالة كتبها على لسان ولادة أفحش فيها في هجاء ابن عبدوس مناقسه في حب ولادة شرحها ابن نباتة في « سرح العميون شرح ابن زيدون » .

انظر « ابن زيدون » لأحمد زكي « وابن زيدون » للدكتور شوقي ضيف و « ابن زيدون عصره وحياته وأدبه » لعلي عبد العظيم .

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وثاب عن طيب لقيانا تجافينا  
بنتم وبنّا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

وعلى الرغم من ان القصيدتين لا تشتركان في الوزن ولا في بعض المعاني فانه لا  
يستبعد أن يكون الشاعر المغربي قد قرأها وتأثر بها ولو إلى حد .

## ثانياً : المناسبات

يضم هذا الفن ألواناً من الشعر رأينا أن نسلكها في عقد واحد لصدورها عن الشاعر في مناسبات عامة وخاصة وهي :

- 1 - مجالس الشرب .
- 2 - التهاني .
- 3 - الاستعطاف .
- 4 - الرثاء .

### مجالس الشرب :

على الرغم من قلة الشعر الذي أوحى به هذه المجالس لأبي الربيع ، فإنه يعطينا صورة مكتملة عنها تحددت ملاحظتها في خمس نقاط :

- 1 - الوقت المفضل للشرب .
- 2 - الرفاق الذين يضمهم المجلس .
- 3 - نوع الشراب ولونه .
- 4 - وصف الساقى .
- 5 - رأي الشاعر في الشرب .

أما الوقت فعشية حيث الشمس غاربة والطيور مفردة وعين الزمان نائمة :

فاغتبقها يا خليلي ولاء واغتم نومة عين الزمان  
حيث عود الروض عود فصيح ومن الأغصان فيه مئان  
ومن الطير قيانٌ عليها ومن الزهر ستور القيان  
وإذا الشمس أوان الغروب لونها أحمر كالجر قان  
عندما تسقط في الماء ناراً يصعد الليل كمثل الدخان

وكا يشربها غبوقاً فانه يشربها صبحاً بل لعله يفضلها كذلك ، اذ نراه  
ينصح خليله ان يستيقظ من النوم لاغتنام الصبوح :

لا يؤثر النوم في حال تذبذبه فكم تنام طويلاً بعده وكم  
وقد نصحتك في شرب الصبوح فلا تضيع النصح اني غير متهم

وقد سبق أبو نواس الى هذا النصح حين قال :

فلما رأيت الصبح أسفر وجهه وحت نواقيس الدجى في الهياكل  
طفقت أفديته وأدعوه باسمه فقال مجيباً : ما تشا؟ بتناقل  
فقلت له : تفديك نفسي وأسررتي ويفديك طراً كل حاف وناعل  
فقم فاصطبجها وانف عنك خمارها فليس لها مثل الصبوح المعاجل(35)

وقد يكون الفصل شتاء تطر له السماء :

الجو يبكي بدموع سجام والروض عن ذاك له ابتسام  
فافضض من الدن لنا ختمه فأول اللذة فض الختام

ويتحدث ابن المعتز عن الشرب في هذا الفصل معللاً له بتعليل آخر رائع :  
 هجم الشتاء ونحن بالبيداء والقَطْر بلّ الارض بالأنواء  
 فاشرب على زهر الرياض يشوبها زهر الحدود وزهرة الصهباء (36)  
 وقد يكون ربيعاً يتهلل له الجو وتبتسم له الطبيعة :

لله يوم أينعت ثمراتُه      سمرت لنا عن وجهه لذاته  
 ألقى الربيع عليه حلة وشبهه      فتضوعت بنسيمها نفحاته  
 والأنس مبعوث يدير كؤوسه      رشاً تغاير في الجمال صفاته

وأما الرفاق فائنان تراه يحشهما على ان يسقياه ويشربا حتى ينفوا لهم :  
 خليليّ اشربا واسقياني      وانفيا لهم بنت الدنان

وقد يكون رفيقاً واحداً كما سبق ان رأينا في نصحه بشرب الصبوح .  
 ويبدو أن أبا الربيع في تحديده لرفاق مجلس شربه بهذا العدد يوافق سابقه من  
 الشعراء . فأبو نواس - وهو المعلم الأول الذي قنن شرب الخمر وسن آداب  
 المنادمة يحدد العدد الاقصى للرفاق فيقول :

ثلاثة في مجلس طيب      وصاحب الدعوة والضارب  
 فان تجاوزت الى ثالث      أتاك منهم شغب شاغب (37)

وهو قد يشرب مع رفيق واحد اذا كان من طبقة عالية :

(36) الديوان الجزء الثاني ص 27 .

(37) الديوان ص 105 .

ومتصل بأسباب المعالي له في كل مكرمة قديم  
رفعت له النداء بقم فخذها وقد أخذت مطالعها النجوم (38)

ومثل أبي الربيع نجد ابن المعتز يشرب مع رفيقين :

اسقياني واعملا طربا وأديرا الكأس وانتحبا (39)

أما الخمر فهي عند أبي الربيع مدامة ومشمولة وبنت الدنان ، وهي معتقة  
تذكر بمهود الفرس القديمة :

خمرة تذكّرني عهد كسرى وابن ساسان وعبد المدان

بل انها عصرت من عهد حام :

واسقنيها سلسبيلا عصرت من عهد حام

وقدم الخمر ممدوح عند سائر الشعراء ، فأبو نواس يقول :

ولا تسقنيها بنت عشر فانها كما عصرت لم ينس فرقتها الكرم  
ولكن عجوزاً بنت كسرى قديمة معتقة قد دب في طينها الحلم (40)

وابن المعتز يقول :

سلافة ورثها عادُ عن إرمٍ كانت ذخيرة كسرى عن أب وأب (41)  
ويقول :

---

(33) الديوان ص 55 .

(39) الديوان الجزء الثاني ص 31 .

(40) الديوان ص 104 .

(41) الديوان الجزء الثاني ص 30 .



أسكنوها في الدن من عهد نوح كظلام فيه نهار حبيس (42)

والخمر عند أبي الربيع حمراء تشبه لون خد الساقى :

وساقٍ يطوف علينا ضحى وكأس المدامة في راحته

وقد اشبهت راحتهُ خده فخلت المدامة من وجنته

وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :

كان سلاف الخمر من ماء خده وعنقودها من شعره الجمعد يقطف (43)

أما الساقى فمن خده تعصر الخمر ، وهو جميل وأحور ، يُسكر بنظرته  
أضعاف ما تسكر :

تنبه إلى شرب مشمولة يطوف علينا بها جؤذر

يدل شذاها وإشراقها على ان من خده تعصر

إذا شاء أرسلها نظرة فتسكر أضعاف ما يسكر

فيا عاشقين على رسلكم من الشرب ساقيم أحور

متى يستفيقون من سكر من إذا فنيت خمره ينظر

وإلى حور عين الساقى يشير أبو نواس حين يقول :

يسقيكها أحور العينين ذو صدع مشمر بمزاج الراح قد حدقا (44)

---

(42) الديوان الجزء الثاني صفحة 50 .

(43) الديوان الجزء الثاني صفحة 54 .

(44) الديوان صفحة 64 .

والشاعر لا يسكر فقط بل يحفظ الساقى وخرمه ، وإنما يمزجها بلثم الرضاب  
ورشف الريق :

فمدامتى من كأسه ولحاظه وتنقثلى برضاه رشف رضابه  
فلئن سكرت لقد شربت مزاجها من ريقه وجفونه وشرابه  
وهو يذكرنا بقول أبي نواس :

يسقيك كأساً من مشعشة ممزوجة من فيه بالظلم (45)

وقول ابن المعتز :

سقاني خمرأ من يديه وريقه فأسكرني سكرين من دون جلاسي (46)

وقول تميم بن المعز :

يدير بريقه ويدير خمرأ شرابٌ في شراب في شراب  
كأن يديه حاكت وجنتيه بنار يصطلى منها لهاب (47)

وأبو الربيع في ذلك كله لا يصغي لمن ينكر الشرب :

لست أصغي لعذول عليها شأنٌ من يعذلني غير شان  
فهي ليست حراماً عنده :

ولا ترى إلا إلى نشوة تمحو فما في مثل ذا من حرام

---

(45) الديوان صفحة 178 .

(46) الديوان الجزء الثاني ص 50 .

(47) الديوان ص 57 .

ولا مانع لديه من طلب اللهو والسعي إلى اللذة ما دام سينسك إن طال  
به العمر :

فاقض الذي تهواه من لذة لا بد ان عشت من النسك

وقريب من هذا المعنى قول ابن المعتز وهو لا يستعجل التوبة :

اعاذلُ دع لومي وهات وهات هل العيش فاصدق غير ذا بجياتي  
اعاذل اني لا أعاجل توبة ولست ألاقى توبة بأناقي (48)

### التهاني :

سبق ان قلنا في الحديث عن حياة أبي الربيع انه كان عالي النفس رفيع  
الهمة لا يتملق الخليفة أو يتمسح بأعبابه على عادة امثاله من الأمراء والأدباء ،  
وان ما قاله في المنصور والناصر - وخاصة منها الأول - لا يكاد يذكر في  
ديوانه وبالتالي لا يضعه في طبقة المداحين . والحق ان أبا الربيع لم يمدح المنصور  
سعيًا وراء الكسب والارتزاق ، وإنما تأثرًا بمواقفه وإعجابًا بشجاعته ، مما جعل  
مدحجه صادقًا ليس فيه اسراف أو غلو يضعان الخليفة في غير نطاقه الانساني .  
فهو يمدحه بالشجاعة وقوة الجأش ونصرة دين الله :

فأثيت تنصر أمره متوكلا ومع التوكثل عزمة ومضاء  
وأخذتَ للأعداء كل ثنية فرأيت كيف تقتل الأعداء

وإذا ما حمي الوطيس فلا مفر منه للأعداء إذ الأرض كلها في قبضته :  
أين المفر ولا مفر هارب والأرض تُنشر في يديك وتجمع

وهو يذكرنا بمدح الشريف الطليق المرواني لعبد المؤمن في ندوة جبل الفتح  
حيث قال :

ما للعدا جينة أوقى من الهرب أين المفر وخيل الله في الطلب  
وأين يذهب من في رأس شاهقة وقد رمته سماء الله بالشهب (49)

ومع ذلك فهو لا يرضى بغير الملوك والأمراء غنيمة :

لم ترض إلا بالملوك غنيمة نعم الغنائم عمرك الأمراء

ويصف الشاعر الخليفة بأنه يضئ الظلماء وبأنه سحابة هطاء تروي روضة  
عطشانة وبأنه شمس تبعت الفيء والهجير :

ضأت بنور اياك الظلماء وتبشرت بقدمك الارحاء  
وهل البلاد وأنت إلا روضة عطشانة وسحابة هطاء  
كالشمس تبعت فينها وهجيرها يضحى الهجير وتخضر الأفياء

وتشبيه الخليفة بالشمس قديم ، لجأ إليه نابغة بني ذبيان (50) في إعلاء قدر  
النعمان (51) على أقدار غيره من الملوك ، وهو تعليل غير تعليل أبي الربيع ،  
فقال :

---

(49) المعجب ص 216 .

(50) هو أحد شعراء المعلقات ويسمى زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب الذيباني ويكنى  
بأبي أمامة وأبي ثامة . اشتهر بمدحه النعمان بن المنذر ملك الحيرة . له ديوان نشره  
ديرنبورج عام 1868 - 1869 في المجلة الآسيوية معتمداً على نشر الشنتمري ، ونشره في  
القاهرة مصطفى أدم عام 1910 بعنوان « التوضيح والبيان عن شعر نابغة بني ذبيان » .  
انظر في النابغة : الأغاني - طبعة دار الكتب - ج 11 من 3 إلى 41 .

(51) هو النعمان الثالث بن المنذر اللخمي أحد ملوك الحيرة في الجاهلية ومدوح النابغة  
وحسان بن ثابت وحاتم الطائي .

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب  
بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب (52)

والشاعر لا ينسى وهو يمدح شجاعة الخليفة وتقواه أن يبدي إعجابه بالجيش  
وكتائبه القوية التي ملأ رجالها عزم النفوس وتقوى الله وحب نجدة الجار :

وكتائب منصوره يحدو بها عزم إذا امضيته لا يرجع  
من كل من تقوى الإله سلاحه ما إن له إلا التوكل مفرع  
لا يُسلمون إلى النوائب جارهم يوماً إذا أضحى الجوار يضيع

وقد غدا الفتح يصاحب هذه الكتائب ممتزجاً بها حتى لا يدري أيسبقها أم  
تسبقه :

الفتح يقدمها وتقدمه فما يدري أمام عندها ووراء

ويمكس الشاعر تهنئته للخليفة بالفتح ، فيهنئ الفتح بالخليفة انه فتحه :

أخليفة الله الرضي هنئته فتحاً يد بمثله ويشفع  
وليهن هذا الفتح أنك فتحتة وبحسبه منك النصيب الممنع

ومثل هذه التهنية المعكوسة تذكرنا بقول تميم يمدح العزيز بالله ويهنئه بالعيد:

أهنئك بالعيد الذي أنت عيده ونورُ سنا اقباله حين يسطع  
ولو لم تكن فيه لما لاح بدره ولا أشرقت شمس الضحى حين تطلع (53)

---

(52) انظر الاغاني الجزء الحادي عشر 39 .

(53) الديوان ص 262 .

وبلغ من تقديره لشجاعة ممدوحه انه تمنى لمولوده الا يفارق المهدي الا ليحمل  
السيف ويمتطي متن الخيل الجرد المطهمة :

تطلّع في أفق السيادة والمجد      هلال علاحت به انجم السعد  
فقال سرير الملك مهلاً فإننا      بمقعد أولى وأحرى من المهدي  
ولاح فلاح السعد مقترناً به      كأنهما من قبل كانا على وعد  
فلازمه حتى يفارق مهده      الى مُتْنِ الخيلِ المطهمة الجرد  
ويخدمه بيض الصوارم والقنا      وينزلها من أمره منزل العبد

ولا شك ان الشاعر وهو يرسم هذه الصور للمنصور وابنه انما كان يرسم  
نموذج شخصية مثالية متكاملة للخليفة الموحدى ، ولكن لا كما تخيلها في ذهنه ،  
وإنما كما صورتها له الحقيقة والواقع .. فقد كان المنصور بحق مثلاً في التقوى  
والشجاعة وشدة البأس وتدبير شؤون الدولة . وتهنئة الشاعر للمنصور بمولوده  
تذكرنا بتهنئة ابن المعز للامام العزيز بمولود ولد له ، حيث يقول :

ليهن الملك مالكة الجديد      ووارثه وان رَغِمَ الحسود  
.....

فأفنية الزمان به ملاء      وكوكبها بأسعه سعيد  
وليد كانت الدنيا ترجي      ولادته وترقبه السعود

إلى أن يقول :

فكيف إذا نما واشتد حتى      تتم به المصادر والورود  
وقاد الخيل واعتقل العوالي      وخافته التهائم والنجود (54)

وأبو الربيع ، قبل هذا وبعد ، يصف المنصور بأنه أمير المؤمنين :

واسلمُ أمير المؤمنين لأمة أنت الملاذ لها وأنت المفزع

وهو عزة الاسلام ونصرة الدين :

يا عزة الاسلام منك ونصرة الدين الغريب

وهو غرة الدين :

يا غرة الدين كم لله من نِعَم بكم على الدين والدنيا ومن نعم

وهو إمام :

فليطلبوا الأمن من إمام في كفه الصفح والمعقاب

وهو فخر الزمان وقطب الخلافة :

فخراً الزمان بأن ملكت قياده وبدا عليه البشر والإقبال

...

يهنيك يا قطب الخلافة أوبة ظفرت لها بجليها المعطال

وهو شرف الخلافة :

يعقوب يا شرف الخلافة لم أرد إلا التيمن والتبرك باسمكا

وهو خليفة الله :

خليفة الله إن تشكرك أندلس تشكرك معنى وإن لم تشكرك إفصاحا

وهو الذي يقود الهدى :

قدت الهدى مثل الصباح تبتلجا وحملت ليلاً للردى محلولكا

ومثل هذا يمدح به الناصر حيث يصفه بخليفة الله الرضى ووليه وابن  
الخلائف الهادين :

أخليفة الله الرضى ووليه دعوى محب قربة وتوسلا  
وابن الخلائف والذين يهديهم زال الضلال عن البسيطة والنجلي

بل هو وريث الخلافة والمقدم فيها رغم تأخيره :

قسماً لئن ورث الخلافة آخراً هو المقدم بالخلافة أولاً  
مثل النجبي محمد ما شأنه تأخير مبعثه وكان الأفضل

وبمثل هذه المعاني المفعمة بروح المذهب خاطب المنصور من قبل حين وصفه  
بأنه خليفة الله وذخره وبأنه خير الخلائق والمقدم عليها وبأن الله أودع سره  
وهده في عشيرته :

ان الذي سماك خير خليفة جعل الخلافة فيكم لا تنزع  
لكم الهدى لم يؤتِه إلا كم ومن ادعاه يقول ما لا يُسمع  
هيات سر الله أودع فيكم والله يعطي ما يشاء ويمنع  
ان قيل من خير الخلائق كلها فأليك يا يعقوب تومي الاصبع  
فلأتم ذخر الخلافة والتي عين الزمان لوقته تتطلع

وهذه معان تشم منها رائحة مذهب المهدي ورأيه في الامامة والخلافة ، وقد  
سبق أن فصلنا الحديث عنه ، (55) والذي نريد أن نسجله في هذا الصدد ان  
مدح أبي الربيع للمنصور يدخل في نطاق التيار المذهبي الذي ساد العصر فبدأ

---

(55) انظر الفصل الأول من الباب الأول .



تأثيره العقدي في امتداح بعض الشعراء المغاربة لهذا العهد ، وخاصة منهم ابن حبوس وأبو حفص الاغماتي وأبو العباس الجراوي (56) .

ولم يكن هذا التأثير العقدي يظهر في أمداح الشعراء المغاربة فحسب ، بل كان يظهر حتى عند الشعراء الأندلسيين الذين كانوا يمدحون الحلفاء الموحديين ، ونخص منهم بالذكر أبا عبد الله الرصافي ، فقد أنشد يوم جبل الفتح قصيدة أولها:  
لوجئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور  
من كل زهراء لم ترفع ذؤابتها ليلاً لسارٍ ولم تشب لمقرور  
فيضية القدح من نور النبوة أو نور الهداية تجلو ظلمة الزور  
حتى أضاءت من الايمان عن قبس قد كان تحت رماد الكفر مكفور  
نور طوى الله زند الكون منه على سقط إلى زمن المهدي مذخور (57)

وعده كلها معان تذكرنا بمعاني الشعراء الفاطميين وما كانوا يمدحون به الأئمة من صفات صبغتها العقيدة الفاطمية . ويعتبر تيم بن المعز من أهم هؤلاء الشعراء الذين كانوا بمثابة دعاة لهذه العقيدة . فهو يقول في إحدى قصائده للعزير :

يا ابن الأئمة والهادين متصلاً بصفوة الله أهل الوحي والسور

...

جئت الخلافة لما أن دعتك كما وافى لميقاته موسى على قدر

...

ما أنت دون منوك العالمين سوى روح من القدس في جسم من البشر

---

(56) انظر الفصل الثاني من الباب الأول .

(57) المعجب 218 - 221 .

نور لطيف تنهى فيك جوهره      تناهياً جاز حد الشمس والقمر  
 معنى من العلة الأولى التي سبقت      خلق الهياويل وسط الأرض والمدر  
 فأنت بالله دون الخلق متصل      وأنت لله فيهم خير مؤتمر  
 وأنت آيته من نسل مرسله      وأنت خيرته العزاء من مضر  
 لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها      مشوى وكنت ملك الأنجم الزهر (58)

### الاستعفاف :

من المؤكد ان هذا الشعر صدر عن أبي الربيع أيام محنته ، وجهه إلى المنصور يستعطفه ويطلب صفحه ، فهو يكشف عن قلق وضيق لا يبعثان على اليأس والقنوط وإنما يبعثان على التفاؤل والأمل في الاصلاح ، فهو حائر بين سخط الخليفة والذنب الذي هو بريء منه :

رضاك أمير المؤمنين فاني أعالج بين السخط والذنب مشكلا

وهو معنى قريب من قول أبي جعفر بن عطية يستعطف عبد المؤمن :

أنوح على نفسي أم أنتظر الصفحا      فقد آن أن تنسى الذنوب وان تحي  
 فها انا في ليل من السخط حائر      ولا أهتدي حتى أرى للرضا صبعا (59)

وأبو الربيع يعرف انه بريء ولكن ما فائدة ذلك وهو لم يحرز رضا الخليفة :

ابريء نفسي ان علمت خلوصها      واعتبها ان لم تفز بك أو لا

(58) الديوان ص 223 - 225 .

(59) أنظر العلوم والفنون والاداب على عهد الموحدين ص 220 .

لذا فهو يطلب منه ان يمفو على عادته ويصفح عنه :

أقبل عثرة الدنيا وان عظمت ذنباً ودع عتبتها ان العتاب لها عتبي  
حنانيك لا تبخل عليّ بمدحة فمثلك من يدعو لعفو ومن لبي  
أقبلها فقد ألزمتَ نفسك عادة من الحلم لا تبقي على مذنب ذنباً  
ويطلب منه الا يكثرث لما حدث :

فلا تكثرث مما جرى فلربما تعرض مكروه بما يحسن العقبي  
وهو معنى قريب من قول المعتمد بن عباد (60) يستعطف أباه :

ولا ترعك خطوب ان غدا زمن فالله يدفع والمنصور ينتصر (61)

ثم هو لا ينسى ان يمدحه ويتمنى له بلوغ مراده في فتح الشرق والغرب :  
بقيت أمير المؤمنين وأمركم مؤتسى له يستخدم الشرق والغرباً  
فهما قريب ينجز الله وعده لأمرك حتى تفتح الشرق والغرباً  
ولعل المنصور لم يرض عن أبي الربيع إلا بعد أن كتب له أبياتاً وصفه فيها

---

(60) هو أعظم ملوك الطوائف وأشهرهم . يسمى أبا القاسم محمد ويلقب بالمعتمد على الله والظافر بجول الله والمؤيد بالله . تولى ملك اشبيلية سنة 461 وهو ابن ثلاثين عاماً وتوفي سنة 479 هـ . انظر أخبار المعتمد وبني عباد في المعجب من 93 إلى 164 وفي تاريخ الأندلس على عهد المرابطين والموحدين ليوسف اشباخ لدى اخبار المرابطين من 78 إلى 253 وانظر كذلك في المعتمد مقدمة ديوانه بقلم أحمد بدوي وحامد عبد المجيد وكتاب المعتمد بن عباد للدكتور عبد الوهاب عزام ونفح الطيب وقلائد العقبان وذخيرة ابن بسام .

(61) الديوان ص 87 .

بكعبة الجود التي يحج لها عرب الشام والديلم والغز ، وكانوا قد وفدوا عليه :  
يا كعبة الجود التي حجّت لها عرب الشام وغزّها والديلم  
طوبى لمن أمسى يلوذ بها غدا ويطوف بالبيت العتيق ويحرم  
ومن العجائب أن يفوز بنظرة من بالشام ومن بمكة يحرم  
ويبدو ان المنصور استحسن مقصد الشاعر فعفا عنه .

وواضح من هذا الشعر ان أبا الربيع وهو يستعطف انما كان يحاول تبرئة  
نفسه والنفاذ إلى قلب الخليفة بتوضيح موقفه ، ولم يكن يتملكه التعالي  
والغرور ولم يكن يتوعد ويتهدد كما كان يفعل ابن زيدون - مثلا - في استعطافه  
ابن جهور ، على ما يبدو من قوله :

فتأمل كيف يغشى مقلة المجد النعاس  
ويفت المسك في التراب فيوطا ويداس (62)

وقوله :

يلبد الورد السبنتي وله بعد افتراس (63)

الرثاء :

صدرت عن أبي الربيع مرثيات قالها في فقد بعض أفراد أسرته ، لعل من  
أشهرها المرثية التي ندب فيها أخاه أبا حفص. وهي قصيدة تصور فداحة ما أنزل  
القدر بالشاعر وتبدي ترنحه من هول المصاب، وتكشف مشاعر أخ تعمقه الحزن  
واكتوى قلبه به . وأبو الربيع في مرثيته لا يؤن أخاه بمعنى انه لا يشيد به أو

(62) الديوان ص 3 .

(63) الديوان ص 3 ، والورد : الأسود ، والسبنتي الجريء .

ينوه بمقامه ويثني عليه ، وإنما هو يعبر عن حزنه في وضوح وصدق . ويبدو انه كان أصيب من قبل - ولعل المصاب كان والده - فلم تكن الجروح قد اندملت بعد ، ولكن قضاء الله المحتوم يأبى إلا أن يوالي عليه المصائب والخطوب فلا يجد لها مرداً غير ذرف العبرات والدموع :

أتاني نعيّ ضاق صدري بحمله وصدري كما قد تعلمان رحيب  
فمرّ بقلب لم تدمّل قروحه كما مر بالجرم الدفين هبوب

...

ولكنّ قضاء الله حتم فليس لي سواه على حمل الخطوب حسيب  
خطوب إذا قاومت' أوكدت بعضها رمتني بما لا أستطيع خطوب  
فها أنا صبراً للحوادث لم أجد سوى عبراتي والعزاء دروب

وهو معنى يذكرنا بما جاء في رثاء المتنبي لوالدة سيف الدولة حيث يقول :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال  
فصرت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال  
وهان فما أبالي بالرزايا لأنني ما انتفعت بأن أبالي (64)

فأبو الربيع يذوب أسى وصبراً على أخيه ، ويعاني بينها صراعاً في نفسه :  
وكيف أبا حفص أطيق تصبراً وبين الأسى والصبر فيك حروب  
فإن ذبت صبراً أو أسى ما علمتني على أحد إلا عليك أذوب

---

(64) الديوان ص 253 فما بعدها بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام ، طبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة 1944 .

ولكنه لا يلبث أن يستسقي لأخيه سحب الرحمة والغفران :  
 فسقى ثراك الله صوب غمامة تسحُّ عليه رحمة وتصوب  
 وأعطاك رضوانُ الذي أدت جاره بحيث يلد الملتقى ويطيب  
 وهذا قريب من قول ابن المعز في رثائه لآل البيت :

سقى حفرأ وارتسك وحوتمك من المستهلات العذاب عهاد (65)

ولا يكتفي أبو الربيع بالتعبير عن حزنه والدعاء لمصابه وإنما هو يفكر  
 بعض الشيء يحاول أن يستخلص عبرة من موقف الموت فلا يرى في الحياة غير  
 الغرور والخذاع ، وهو لا يعجب من ذلك وإنما يعجب من اغترار الناس  
 بها وركونهم منها للوفاء :

بعيد مدى العمر الطويل قريب وان طال عمرٌ فالحياة تريب  
 وليس عجباً غدرها بك إنما ركونك منها للوفاء غريب

وهو يذكرنا بقول ميمون الخطابي في رثائه لعبد الله بن الجعد (66) :

يا من يؤمل ان يبقى وقد نفضت أيدي المقادير من ابرام تقدير  
 هذي الحقيقة لا ما حدثتكَ به آمال نفسك عن دنياك من زور  
 لا تخدعَنَّكَ الليالي ان فتنتها كادت فكادت ترينا كل محذور (67)

ومثله قول ابن المعتز في رثاء أخيه عقيل :

(65) الديوان ص 121 والعهاد : الفيث .

(66) ولد أحمد بن الجعد وزير اشبيلية وأحد كبرائها .

(67) ازهار الرياض الجزء الثاني ص 380 - 382

نحن في غفلة وللموت فينا      طالب مدرك مجدٌ قدير  
نستطيب المنى وهن عواصٍ      فنطيل الآمال وهي غرور (68)

وقد رثى الشاعر أخاه في قصيدة ثانية عرض فيها بعض خصاله وفضائله  
على حد قوله في هذه الأبيات :

نعى المجد ناعٍ فأبكى السما      وأسبل دمعاً لها عندما  
نعى أطيب الناس جرثومة      وخير ملوك الدنيا منتمى  
نعى قمر السعد بدر العلا      فعاد النهار لنا مظلماً

...

فكم معرك قد غدا عاطلاً      وملحمة أصبحت أَيْمًا

...

فن ذا ينبه إن أيقظت      حروب العدا الأعينَ النوما  
ومن ذا يجرد إن أوقطت      عيون المها الصارم المخدما  
ومن ذا يسدر في مأزق      لظعن نخور العدا اللهدما  
ومن ذا يجود على معشر      ويلبس ثوب الغنى المعدما  
فلا تدعُ سقياً لبطن الثرى      فقد أودع المطر المتجمما

ولعل من أروع مراثياته هذه القصيدة التي قال عند فقد ابنه محمد حيث لا  
قدرة له على العزاء وهو يرى لداته حوله فلا يحس بغير الألم والحزن :

كيف العزاء وقد أودى محمدنا      فالصبر ينسف والسرّاء تكتسح

...

أرى لداتك حولي لا أسرُّ بهم إذ لا تضمك تلك الأوجه الصُّبح  
يا زهرةً أذوت الأيام نضرتها إني رثيت ودهراً كنت أمتدح  
آليت بعدك لا أحنو على ولد ولا يلمّ بقلبي بعدك الفرح

وفي قصيدة أخرى - رثاه بها لا شك - يقول إنه يفقده ذاق الموت :  
يدوق الموت من يفقد بنيه لأن البعض في بعض القبور

وما ابنه إلا قطعة من كبده اختلست من أضلعه :

جلّ الأسى عن خلدي لقطعةٍ من كبدي  
يا حسراته اختلست من أضلعي تحت يدي

وهو لا يرجو لنفسه البقاء وقد عانى من موت الوالد والولد :

كيف ترجّي أنفس بقاءها في الجسد  
وقد رأت في والد ما قد رأت في ولد

كذلك يرثي زوجه أو أم أولاده فيتساءل لم ارتضت السكن في قبر غريب  
وتركت قلبه :

أساكنة الفلاة ببطن رمس فريد ما له في التراب جار

...

فكيف رضيته وتركت قبراً يكنك أم تعداك الخيار

ويصور في روعة منظر أولادها حوله يبكون ويتألون كلما ذكرها أو وقع  
بصرهم على أم :

وحولي من بنيك سقيت غيثاً فراخ كالقطا زغب صغار  
يقطعن القلوب عليك مها ذكرتك والدموع لها انهار



ومها أبصروا أما تنادوا بأهمم فكيف لي اصطبار  
وفي مزج بين رثاء البيت وساكنه يقول هذه الأبيات من قصيدة أنشأها وقد  
دخل منزل كريمة له توفيت :

مررت على مغنى الحبيب فهاجني      وذكرتني منه الذي كنت آلف  
وقد حل فيه غيره فجهلته      وأنكرت من مرآه ما كنت أعرف  
فهبج مرآه الأسى فتبادرت      سوابق دمعي تستهل وتذرف  
كأن لم يكن لي فيه يوم وليلة      ولم يمض لي فيه ربيع وصيف  
فله أيام تولت لو انها      إذا ما انقضت عادت تكرر وتعطف  
فآه على من بان عنه تأسفاً      وإن كان لا يغني البكا والتأسف

## ثالثاً : الوصف

يعتبر شعر أبي الربيع في الوصف على نوعين : احدهما يتخلل بعض قصائده ومقطوعاته في الغزل والمناسبات ، وقد ارتأينا تناوله في مواضعه ، فجماله ضيق محدود . والآخر مستقل عن فنون الشعر الأخرى ، أفرده أبو الربيع للتصوير دون استطراد أو مزج ، وخصه بما يكاد يستغرق ربع ديوانه ، وهو ما نعني بحثه في هذا القسم .

وأول ما يلفت النظر لدى أول قراءة لهذا الشعر انه قسمان متميزان : أولهما وصف صريح ، والثاني أحاجٍ والغاز .

### الصريح :

أما الوصف الصريح فقد تناول فيه الشاعر ألواناً من الطبيعة جامدة ومتحركة غير مكثفٍ بنقل الصورة على حقيقتها أو إبراز ما فيها من ملامح السحر والجمال ، وإنما هو إلى جانب ذلك يكشف عما توحى به الصورة إليه من عواطف وأحاسيس ، فيبدو وقد تفاعل معها منصرفاً بهذا التفاعل عن كل مبالغة أو تزويق . وعلى الرغم من ان الشاعر لم يصنع هذه الأوصاف - وهي محدودة - في غير قطع قصيرة لا تتعدى الستة أبيات ، فقد استطاع أن ينقل إلينا مناظر مما حوله ملونة في الغالب بأحاسيسه ومشاعره . يقول في وصف خصبة من رخام ، وقد شبهها والماء ينساب من جوانبها بمقلته والدمع ينهمر منها يوم ودعته حبيته :

أنظر إليها وقد سالت جوانبها بالماء سيلاً خفيفاً دمعته يكف  
كأنها مقلتي يوم الوداع وقد لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف  
وهو قريب من قول ابن المعز في فوارة ماء وقد مزج وصفها بالأحاسيس :

شهدت عليه بقلة الصبر وعظيم ما يلقي من الهجر  
فوارة حسدت مدامعه ومهولها فجرت كما تجري  
لكن بدت بدماع يقق (69) وبكيت قبل بأدمع حمر (70)

ويقول في وصف خوخة أهداها لمحبهه :

أرسلت نحوك يا خليلي خوخة قد جمعت فيها الصبأ والشمال  
لوني ولونك اذ تطل فجاءةً فأراع من حذري عليك وتحجل

فلون الخوخة مزيج من الحمرة والصفرة ولكن الشاعر لا يصرح بهما وإنما هو  
يرمز لهما بلونه ولون حبيبه ، فالصفرة لونه وقد أخذه الروع من اطلالة حبيبه  
الفجائية ، والحمرة لون حبيبه وقد تملكه الخجل . وكأنه بهذا لا يقصد إلى وصف  
الشيء بقدر ما يقصد إلى وصف مشاعره وانفعالاته . ووصف الشاعر للخوخ  
يذكرنا بوصف ابن المعز حيث يقول :

ولما فاح لي نشرٌ ذكيٌّ من الخوخ المشبه بالحدود  
ذكرت به ثناياها ولكن ثناياها لها فضل المزيد (71)

وهو يذكرنا كذلك بوصفه للمشمس إذ يقول :

---

(69) مدامع يقق : ناصعة البياض .

(70) الديوان ص 216 .

(71) الديوان ص 114 .

يا شجر المشمش لا أصبحت<sup>٥</sup> منك ربا البستان مستوحشة<sup>٦</sup>  
يا حُسنه من شجر أينعت أغصانه واحتملت مشمشه  
كأنما جمشه (2) عاشق فاصفر<sup>٧</sup> خوفاً منه إذ جمشه (72)

وامتزاج الوصف بالشاعر والأحاسيس وذكرنا بشعراء الأندلس الذين لجأوا  
إلى الطبيعة يوضحون شعورهم أو إلى مشاعرهم يكشفون بها عن افتتانهم بهذه  
الطبيعة وخاصة منهم ابن زيدون وابن خفاجة (73). يقول ابن زيدون في قصيدة  
كتب بها إلى حبيبته :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والأفق طلق ووجه الروض قد راقا  
وللنسيم اعتلال في اصائله كأنما رق لي فاعتلّ اشفاقا  
والروض عن مائه الفضي مبتسم كما شققت عن اللبات أطواقا  
يوم كأيام لذات لنا انصرفت بتنا لها حين نام الدهر سراقا  
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقا  
كان أعينه إذ عاينت أرقسي بكت لما بي فحال الدمع رقراقا  
ورد تألق في صاحي منابته فازداد منه الضحى في العيد اشراقا  
سرى ينافحه نيلوفر<sup>٨</sup> عقبك وسان<sup>٩</sup> نبه منه الصبح احداقا  
كل<sup>١٠</sup> يهيج لنا ذكرى تشوقنا إليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا (74)

(72) جمشه : قرصه ولاعبه . الديوان ص 254 .

(73) هو أبو اسحق ابراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة ( 450 - 533 هـ ) من جزيرة  
شقر بالقرب من شاطبة ، أنظر المطرب ص 111 والقلائد ص 231 والمغرب الجزء  
الثاني ص 367 والرايات ص 87 والنفع الجزء الثاني ص 328 .

(74) الديوان ص 257 - 258 .

ويقول ابن خفاجة :

أجبت وقد نادى الغرامُ وأسمعا عشية غناني الحمام فرجتما  
ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبة فأسكن أنفاساً واهداً مضجعا  
أغازل فيها للغزاة سنة تحط الصبأ عنها من الغيم برقعما  
وبات سقيط الطل يضرب سرحة ترف بواديه وينضح اجرعا (75)

وإذا كان أبو الربيع في وصفه للخصبة أو الخوخة قد ابرز لنا جانباً من جوانب المنظر ممزوجاً بأحاسيسه وعواطفه ، فهو في غير هذا من الوصف يغفل حتى عن إبراز هذا الجانب ويكتفي بما يوحى به المنظر من نبضات عاطفية ، كقوله في قبة لأخيه أبي حفص :

أيا قبة العلياء حلّ بك السعد وحل بك التوفيق واليمن والمجد  
وقرت بما تهواه فيك عيوننا وانجز في لقياً أبي حفص الوعد  
وحالفه فيك السرور مخيماً إذا ما أتى وفدٌ قفا إثره وفد  
ولا زال والاقدار تخدم أمره على وفقه والدهر في ملكه عبد

فهو قد أهمل مظهر القبة المادي وتخطاه لما رآه مما تفيض به نفسه من تنيات لأخيه .

ولم يكن الشاعر في كل أوصافه يعير الطبيعة مشاعره وعواطفه ، فقد عني برسم مناظرها وتشبيه ملاحظها كقوله في وصفه دوحة تفاح قد أثار النسيم الزهر والورق من حولها ، فغدت كملك يلقي نقوداً على السائلين الذين أحاطوا به من كل جانب :

أنظر إلى دوحة التفاح مال بها ربح الصبا فأثار الزهر والورقا  
والنبت من حولها تبدو أزاهره كأنها أنجم قد فُرقت فرقا  
كأنها ملك طاف العفاة به ليسألوه فألقى بينهم ورقا  
وقوله في وصف الروض مشبها ما بينه وبين الجو بحرب سجال :

بين الرياض وبين الجو معترك وميضه البرق أو سمر من السمر  
ان أوترت قوسها كف السماء رمت نبلًا من المزن في درع من الفرر  
فتح الشقائق جرحاها ، ومغنمها وشي الربيع ، وقتلاها جنى الشعر  
فاعجب لحرب سجال لم تثر ضرراً نفع المحارب فيها غاية الظفر

وهذا تصوير رائع لاشك يمثل الطبيعة متحركة وفي حالات متعددة من  
وجودها تبعث في المنظر حيوية وروحاً متجددين . وهو يذكرنا إلى حد يوصف  
للربيع يرسم ابن زبناغ (76) في مستهله منظراً متحرراً للطبيعة حيث يقول :

أبدت لنا الأيام زهرة طيبها وتسربلت بنضيرها وقشيبها  
واهتز عطف الأرض بعد خشوعها وبدت بها النعماء بعد شحوبها  
وتطلعت في عنفوان شبابها من بعد ما بلغت عتيّ مشيبها  
وقفت عليها السحب وقفة راحم فبكت لها بعيونها وقلوبها  
فمجبت للأزهار كيف تضاحكت ببكائها وتباشرت بقطوبها  
وتسربلت حللا تجر ذبولها من لدمها فيها وشق جيوبها

---

(76) هو قاضي طنجة أبو الحسن بن زبناغ الصنهاجي الطنجي من رجال القرن الخامس

الهجري كان عالماً مشاركاً وأديباً شاعراً .

انظر القلائد ص 103 والنبوغ الجزء الأول ص 93 .

فلقد أجساد المزن في انجادهما وأجاد حر الشمس في ترتيبها (77)

### الأحاجي والألغاز :

وأما الأحاجي والألغاز فقطع وصفية قصيرة رسم الشاعر فيها صور بعض الأشياء التي لا شك اقترح وصفها في مجلسه . وقد لجأ في اخراج هذه الصور إلى الجمع بين المتباعدات حيث يأتي للشيء الواحد بصفات متناقضة على أسلوب الإلغاز كقوله في كتاب الخليفة:

ولا هو حيٌّ إن أردت حقيقة ولا هو ميت مسلمٌ للنوائب  
وقوله في العين :

وطائرة تطير بلا جناح تفوت الطائرين وما تطير  
وكذلك إلغازه :

وقائمة أبدأ دهرها وما هي والله بالقائه  
يصيح بها الناس مها أنت وما ان يخافون من لائمه  
وما هي إنس ولا هي جن ولا هي يقظى ولا نائمه  
وليست تكل طول القيام فخبّر فديتك ما القائه  
ومثل هذا التباعد في الوصف نجده في بعض ألغاز ابن المعتز كقوله :

اختان احداها إذا انتحبت تبكي كباكٍ بدمعة حرّى  
وما بها صبوة ولا حزن تضحك منها لدمعها الأخرى (78)  
وقوله :

بيضاء ان لبست بياضاً خلتها كالياسمين منضداً في مجلس  
وإذا بدت في حمرة فكأنها ورد من الداري حُسناً مكنتي

(77) القلائد 225 .

(78) الديوان الجزء الثاني ص 121 - 122 .

وإذا بدت في صفرة فكأنها نسرین بستان كريم المغربس  
وإذا بدت في خضرة في صفرة فكأنها للحسن باقة نرجس (79)

كذلك لجأ إلى التلاعب بحروف الكلمة وقلبها كقوله في اسم حبيبته أوف :  
خليليّ قولاً أين قلبي ومن به وكيف بقاء المرء من بعد قلبه  
ولو شئتاً اسم الذي قد هويته لصحفتما أمري لكم بعد قلبه  
وقوله في مرمر :

وإن تزد نقطة في كل سطريكن نعتاً لطعم شهى الأكل فافتطن  
وإن قلبت يعدن من قلبه عجلأ اسماً لشيء بعيد الدار والوطن  
قد جاء فيه حديث أنه أبدأ ينمي الجسم فهل يخفى على الفطن  
وإن أمرت يد المقلوب أمسك من تومي إليه فقد أوضحت ياسكني  
وقوله في القمر :

فإن تتفهمه وتقلب حروفه فذلك ما يبقى من النفس يا صاح  
وإن تضع الحرف المقدم آخرأ فذاك اسم ما يروي وليس براح  
وإن تضع الحرف الأخير مقدماً فذاك اسم ما تبديه كفّ رداح  
وإن تضع الحرف الأوسط أولاً فحيث يقر المرء دون جناح

وإلى هذه الطريقة لجأ ابن المعتز في بعض ألقاذه كقوله :

أنظر إليه أنابياً منضدة من الزمرد خضر ماله ورق



إذا قلبت اسمه بانت ملاحظته وصار مقلوبه اني بكم أثق (80)

وقد يشير إلى عدد الحروف كقوله في طير لعله الهدهد :

حاجيت ذا فهم وذا فطنة في اسم رباعي من الطير  
ان قلبت أحرفه أصبحت وصفاً له في هيئة السير

وهو يبعث الروح في الشيء الجامد فيبدو وكأنه حي ناطق متحرك وهذا واضح في وصفه لورود كتاب الخليفة حيث يقول :

يحل حبا الاملاك طراً إذا أتى ويخبرهم بالحداث العجائب  
ترى حوله الخذاق يستنطقونه فيلقي عليهم جامعات الغرائب  
بأحسن ما يلقي الحديث يحدث وأقرب إسناد لأشرف صاحب  
فيحمل عنه الناس أعلى رواية تُشد لعلقسيها قتود الركائب  
كما هو واضح في قوله يلغز للظل :

ورب خليل لا يفارق مضجعي ولا يسأم النسيان حيث أسير  
فطوراً أمامي دون دفع مضرة وطوراً يجاذي منكبي فيسير  
كثير التزام الخيل ما خان صاحباً ولكنه عند الأنام حقير  
إذا غاب عني لم أجدي وحشة كما ان أتاني لا يلم سرور  
على انه مغرئ بشأني كله ولا هو منهبي ولا هو مأمور  
وإن مس من أهوى فما بي غيرة وإني كما قد تعلمون غيور  
مديم الصيام والقيام وما به إلى الدين ميل إنه لحسور

ومثل هذا التشبيه يذكرنا بوصف لابن الطلاء (81) يلغز به في الخرشوفة مشبهاً إياها ببكر من الروم في خدر حيث يقول :

وبنت ماء وترب جودها أبداً لمن يرجيه في حصن من البخل  
كأنها في بياض وامتناع ذرى بكر من الروم في خدر من الاسل

والذي يبدو من جميع الألفاظ الواردة في الديوان وغيره ان الشاعر يصف الشيء ثم يوجه السؤال كقوله في كتاب الخليفة بعد أن وصفه :

فخبر عن الموصوف ان كنت حاذقاً فهذي صفات لست فيها بكاذب

وقد يسأل قبل أن يصف كقوله مستهلاً أحد الألفاظ :

ما اسم لشيء وهو شيء ناطق من غير لفظ بين وصرح

وقد يصف ولا يسأل كقوله في القلم والدواة :

وميت برمس طعمه عند رأسه فان ذاق من ذاك الطعام تكلم  
يموت فيحيا ثم يفرغ زاده فيرجع للقبر الذي منه قيماً  
فلا هو حي يستحق كرامة ولا هو ميت يستحق ترحماً

وقد يستعمل فعل الإلفاظ والمحاكاة كقوله :

ألغزته في شعري اسماً فاستمع لغزي هو اسم شيء نقي الوجه والبدن

وقوله :

أحاجيك ما اسم الذي قد أسرف في صده

---

(81) من شعراء المائة الخامسة، الهدية، أنظر الرايات لابن سعيد ص 110 .

والسؤال يدفعه دائماً إلى الخطاب ، والخطاب موجه إما إلى واحد أو اثنين من خلانه كما هو واضح في الأمثلة السابقة .

والإحاجي والألغاز بعد هذا مطارحات شعرية قصد منها إلى ترويض الذهن واختبار الذكاء . ولعلها لم تصدر غير ارتجال ، ومن وحي المجلس الذي اقترح تبادلها فيه . وقد كان الأولى بنا ان نسلکہا في شعر المناسبات لولا انها قطع وصفية تعب الشاعر في جمع صورها في تكلف واغراب يجيدان به عما ألفنا عنده من سهولة ووضوح . واغلب الظن ان اللغز الواحد كان يشترك في وصفه أكثر من واحد وكأنه مساجلة يقترح موضوعها في المجلس فيتسارع الحاضرون الى القول ، ولعلنا نستطيع ان نستنتج من هذا الظن ومن التكلف الواضح في تصوير هذه الألغاز انها ليست كلها لأبي الربيع وان بعضها صادر عن رفاقه الذين كانوا يتطارحونها معه في المجلس . ومع ذلك ، فنحن لا نذهب الى اتهام الشاعر بما ينكر عليه شاعريته كما فعل المراكشي وابن عبد ربه ، وقد سبق ان فصلنا القول في هذا الموضوع .

## رابعاً : الزهد

قول أبي الربيع لا يعني أنه زهد في الدنيا وتنسك ولبس الصوف واعتكف على الذكر والعبادة ، وإنما هو يبدي عاطفته الدينية التي لا شك ان طول تجاربه أثر عليها وأظهرها .

وليس من شك في ان هذا الشعر صادر عن تقوى حقيقية وإيمان راسخ يؤكدهما خلو الشاعر – على ما سبق ان رأينا – مما يشوب سلوكه وأخلاقه . وأبو الربيع في هذا الشعر يذكر الله فتفيض مدامعه ويذكر الحشر فتثقله الذنوب :

إذا ما ذكرت الله فاضت مدامعي      على كل ما فرطت فيض السحائب  
وأذكر يوم الحشر ان جثته غداً      وذنبي معي والذنب أخبث صاحب

وهو يرى الانسان نائماً طول حياته لا ينبهه غير الموت :

ستعلم نفس قد قضى الله نحبها      بأية ما كانت تجاهر ربهها  
وما المرء إلا نائم طول دهره      إذا ما انقضى عمر الحياة تنبها

لذا فهو يسرع بطلب التوبة :

أقبل عثرتي اني أتيتك نائماً      وليس مقيم في الذنوب كآيب

وهو حين يفعل ذلك لا ييأس أو يتشائم ، بل يظل كبير الأمل في رحمة الله وغفرانه :

أُعاتب نفسي طامعاً في ارتجاعها ولو كنت ذا يأس لخلّيت عتبتها  
ولكنني أرجو لها مَنْ بفضله الى العمل الأرضي يقلب قلبها

وهو لا يفتأ يتوجه الى الله مبتهلاً إليه وباحثاً عن الخلاص :

إليك إلهي قد قصدت بحاجتي وحسيّ أني قد قصدتك راغباً  
قصدتك لما أثقل الذنب كاهلي فلا ترجعني خفر السعي خائباً  
أجرتني من أوزار غرقت ببحرها وخذ بيدي اني أتيتك تائباً  
وعجّل خلاصي انني بك عائد تعوّد من أضحى من النار هارباً  
فأزلة إلا وعفوك فوقها وان كنت في الزلات أرتع لاعباً  
وما أحد أرجو لكشف ملعتي سواك فبلّغني الذي كنت طالباً

وحرصه على توجيه النصح يجعله يوجه الخطاب تارة إلى النفس وأخرى الى الغافلين والنائمين ينبههم على حد قوله :

يا نفس حسبك ما فرطت فازدجر عن الذنوب فإن القبر مثواك  
وقوله :

يا غافلاً عن ذكر مولاه وذاهلاً عن شكر نعماء

وقوله :

يا راقداً ملء عينيه يهدده لين الفراش وعين الله ترصده

وقوله :

يا نائماً ليله والعمر ينصرم مستغرقاً في الكرى ، يلهو به الحلم



ولو حاولنا أن نبحث في خصائص شعر أبي الربيع ، لألفينا أن العاطفة هي قوة الدفع التي صدر عنها هذا الشعر . وهي عاطفة سامية وصادقة ، صورها في أمانة وإخلاص ، سواء نحو نفسه أو نحو غيره . وهذا واضح في غزله الذي يكشف عن معاناته الصادقة لتجربة الحب ، كما هو واضح في إعجابه بالخليفة وتأمله لمواقف انتصاراته . ولا شك ان صدق الشاعر في مدحه للمصور ليس ناشئاً فقط عن كون الخليفة يتحلى حقاً بما أسبغ عليه الشاعر من صفات - كما أثبت واقع التاريخ - بل هو ناشئ كذلك من ان المادح كان يعتقد صادقاً مخلصاً ان ممدوحه كذلك . ولعلنا نستطيع ابداء مثل هذا الرأي في رثاء الشاعر لابنه وأخيه ، بل لعلنا نستطيع ابداءه حتى في خمرياته حيث تبدو وقد صدرت عنه في حال نشوة لا شك انه كان في مجبوحتها صادقاً مقتنعاً بما يقول .

وربما كان الشاعر في الوصف أقل صدقاً وأفتر عاطفة ، ولا نغني سائر فن الوصف ، وانما نعني مطارحاته الالغازية التي لا تكشف عن غير التكلف والتعقيد والمعاناة . أما في غيرها من الوصف فهو يرى رؤية شفافة لا تجعله يصور الأشياء كما هي في الواقع بكامل حرفيتها وجزئياتها ، وانما هو يمزجها بانفعالاته وأحاسيسه ، وكأنه يخشى على عاطفته ان يزيفها الوصف ، فلا يلجأ إليه إلا بقدر ما يصور ملاحظها ويبرز معالمها . مما يجعلنا لا نغلو في الحكم إذا قلنا انه صادق في وصفه ، بدليل ان هذا الوصف لا يشغلنا عن تأمل أحاسيس الشاعر . وهذا واضح في وصفه للخوخة وخصه الماء . فهو يقول في الأولى :

أرسلت نحوك يا خليلي خوخة قد جمعت فيها الصبأ والشمال  
لوني ولونك اذ تطل فجاءة فأراع من حذري عليك وتخجل

ويقول في الثانية :

أنظر إليها وقد سالت جوانبها      بالماء سيلاً خفيفاً دمه يكف  
كأنها مقلتي يوم الوداع وقد      لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف

وقد يطلق العنان لأحاسيسه فتطغى على الوصف حتى لا يبدو في الصورة غيرها كما هو واضح من قوله في قبة أخيه أبي حفص :

أيا قبة العلياء حلّ بك السعد      وحل بك التوفيق واليمن والمجد  
وقرت بما تهواه فيك عيوننا      وأنجز في لقيا أبي حفص الوعد  
وحالفه فيك السرور خيماً      إذا ما أتى وفد قفا إثره وفد  
ولا زال والاقدار تخدم أمره      على وفقه ، والدهر في ملكه عبد

وإذا كان الشاعر يطلق العنان لانفعالاته وعواطفه أحياناً فهو لا يطلقه تخياله حتى يعيد خلق الأشياء من جديد أو يرتفع بها الى أعلى مما هي عليه في الواقع لتكامل صورتها أو تبدو أكثر وضوحاً وصفاء ، وإنما هو يلاحظ الأشياء بدقة وعمق يجعلانه يتصور الأشياء بعد في ذهنه على حد ما تكشف لنا أوصافه للطيور في الألفاظ كقوله مثلاً :

ألا أيها الحبر ما طائر      قصير الجناح طويل الذنب  
يقلّب عينيه في رأسه      كנקطتي الزنبق المنشعب

فمثل هذه الدقة في وصف عيني الطائر توضح لاشك قدرة الشاعر على استعادة صور الأشياء في ذاكرته ، إذ لا يظن ان مثل هذا الطائر كان أمامه ساعة كان يلغز فيه الى رفاقه في المجلس .

وليست توازي قدرته على تصور الأشياء غير قدرته على إدراك ما بينها من علاقات تخرج لنا منها تشبيهات حية كقوله يصف الشمس ساعة الغروب :

وإذا الشمس أوان الغروب لوئها أحمر كالجر قان  
عندما تسقط في الماء ناراً يصعد الليل كمثل الدخان

وقوله يصور الروض في وصف متحرك حي :

بين الرياض وبين الجو معترك وبيضه البرق أو سمر من السمر  
ان أوترت قوسها كف السماء رمت نبلاً من المزن في درع من الفرر  
فتح الشقائق نعماها ومغنمها وشي الربيع وقتلاها جنى الثمر

وقوله يصف ورود كتاب الخليفة وقد بعث فيه روحاً حوله من شيء جامد  
الى حي ناطق متحرك :

يحل حبا الاملاك طراً اذا أتى ويخبرهم بالحادثات العجائب  
ترى حوله الحذاق يستنطقونه فيلقي عليهم جامعات الغرائب  
بأحسن ما يلقي الحديث محدث وأقرب اسناد لأشرف صاحب  
فيحمل عنه الناس أعلى رواية تُسَدُّ لملقيها فتود الركائب

وقد يتخطى الشاعر هذه العلاقات بين الأشياء ليصل منها إلى صفات  
متباعدة كما هو واضح في أغلب ألقازه وأحاجيه ، حيث يجمع بين متناقضات  
ومتضادات تذكرنا ببعض الشيء بتوافر الاضداد عند أبي تمام (82) لولا انها غير  
صادرة عن فلسفة وتفكير عميق كما عند الشاعر الطائي ، وإنما هي صادرة عن  
تفنن يقتضيه الترويض الذهني الذي يفرضه موضوع الالغاز .

ولعلنا من هذه الحقيقة نستطيع أن نصل إلى ان أبا الربيع لا يعتبر من

---

(82) انظر الحديث عن توافر الاضداد عند أبي تمام في كتاب « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » للدكتور شوقي ضيف ص 250 .



أصحاب الأفكار الذين يزرعونهم بالحكمة ، فأفكاره عادية وواضحة ، وقلّ  
ان نعتلّه على فكرة هي غاية في ذاتها ، وإنما هو غالباً ما يمزج الفكرة  
بأحاسيسه كما يتضح من بعض أفكاره في الزهد والرثاء والنسيب .

يقول من أبيات يخاطب بها نفسه :

وما المرء إلا نائم طول دهره إذا ما انقضى عبر الحياة تنبها

ويقول في مطلع رثائه لأخيه :

بعيد مدى العمر الطويل قريب وان طال عمر فالحياة تريب  
وليس غريباً غيرها بك إنما ركونك منها للوفاء غريب

ويقول في الحب :

الحب دقّ فلا تدري حقيقته فمن يرد فيه لا يقدر على الصدر  
وجل عن أن يُرى يخفى فمكته في القلب مثل كمن النار في الحجر  
ان تقدحوا زنده تظهر حرارته وتتركوه خفى عن أعين البشر

ولا يعني وجود هذه الظاهرة ان الشاعر كانت تعوزه الثقافة ، كما قد يتبادر  
إلى الذهن أول الأمر ، ففي ثقافته التي سبق ان أبرزنا ملامحها ما يكفي لإمداد  
فكره ، وإنما يعني ان ثقافته لم تتخمر في ذهنه بقدر ما تخمرت انفعالاته في  
وجدانه ، فكان ان اختفى الفكر وبرز الانفعال متطوراً إلى عاطفة وإلى حب ،  
وكان بالتالي ان غدت هذه العاطفة قوة تدفع الشاعر إلى القول أكثر مما يدفعه  
الفكر . ولعله من هنا كان لا يجدد في معانيه ، وإنما يردد معاني قديمة ومألوفة ،  
شأنه في ذلك شأن معظم شعراء العربية في هذا العصر ، فقد كانوا « عاجزين عن  
التجديد إلا في حدود ما سبقهم من أفكار وخواطر ... ما يزالون يتناقضون فيها  
بينهم حتى يحدثوا لأنفسهم تلك النماذج التي يسمونها قصائد » (83) .

(83) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 357 .

وربما كان في هذا القول بعض المبالغة ، إذ ليس المطلوب من الشاعر - أي شاعر - « أن يجيء بالمعنى الجديد الذي لم يسبق إليه ، وليس من علامات التفوق أن يخترع ويبتكر المعاني والصور إلا عند من أخطأ فهم مهمة الشاعر ، وإنما يطلب من الشاعر ما يعرف باسم الاصاله ، والاصالة لا تتم إلا إذا توافر لها عنصران : أولهما عمق احساس الشاعر ، وثانيها استقلاله وتميزه في التعبير عن هذا العمق . وفي الحق ان الأمرين وجهان لشيء واحد . أما عمق الاحساس فهو انه ينفذ إلى إدراك ما يخفى عن الناس أو ما يشبه أن يكون خافياً عليهم بسبب إلفتهم له ... واما الاستقلال في التعبير فهو الوجه الثاني من المسألة ، لأن عمق الاحساس يبث في أسلوب التعبير عند الفنان ما يجعله مختلفاً عن أساليب غيره ما دام إحساسه مختلفاً » (84) .

ولعل ما نلمسه في شعر أبي الربيع من إحساس صادق عميق وتعبير تلقائي سهل لا يجعله يبعد كثيراً عن هذين العنصرين المطلوب توافرها لدى كل شاعر أصيل .

وكما أخذ شاعرنا فنه بقيود غير قليلة في المعنى جعلته لا يجيد عن المعاني التي طرقت القدماء ، فكذلك سار على نهجهم في استعمال بعض الألفاظ التي تشم منها رائحة الشعر الجاهلي وصحراء الجزيرة العربية ، كنجد ومنى والركب والناقاة والحادي والعيس ، والتي هي لا شك أثر من آثار قراءته في شعر القدماء .

أما فيما عدا هذه المواضع المحدودة ، فألفاظه لا تخلو من قوة وإيجاء يجعلانها تتناسق مع التعبير وتتألف مع الجملة معبرة ومؤثرة حتى ليصير بعضها لا أداة تعبيرية فقط ، بل جزءاً مكتملاً للصورة ومقوياً لها . يقول في قتلى الفتح :

---

(84) ابن سناء الملك أو مشكلة العمق والابتكار في الشعر للدكتور عبد العزيز الاخواني

ومصرّعين مضرجين كأنما      سكرُوا فصبت فوقهم صهباء  
ويقول في وصف الخمر :

واسقينها سلسبيلاً      عُصرت من عهد حام  
ويقول في وصف حبيبه :

ان قستها بالشمس أين السنا      أو قستها بالغصن أين القوام  
ويقول في يوم أنس وراحة :

لله يوم قد تكامل أنسه      أبدت لنا وجه المسرة كأسه

فاللزام الشاعر في البيت الواحد لحروف لها جرس معين من شأنه أن يوحى بالمعنى ويقويه ويخلق نوعاً من الموسيقى الداخلية يزيد في تموجها تألف الحروف والألفاظ وتجاوبها جميعاً مع التركيب . وقد يكون في القافية نفسها ما يوحى بالمعنى والجو على حد ما نلاحظ في اختياره لقافية القطعة التي منها البيت الأخير. بل ان الشاعر يلجأ أحياناً الى تقطيع البيت وتقسيمه الى فصل وعبارات تضاعف من نغمة الموسيقى كما هو واضح في قوله يصف حبيبته :

كالهلال ، كالقضيب ، كالطلا      ان تبدّى أو تشنى أو رنا

ويقول يصفها كذلك :

هي الظبي جيداً هي السيف لحظاً      هي البدر حسناً هي الغصن لينا

ويتضح لنا الاعتناء بموسيقى الشعر عند أبي الربيع في هذه الأبيات المتموجة التي توحى تقاطيعها بالموصوف ، وكذلك تردد بعض الحروف فيها ، يقول :

بين الرياض وبين الجو معترك      بيض من البرق أو سمر من السمر  
إن أوترت قوسها كف السماء رمت      نبلاً من المزن في صاف من الغدُر

فتح الشقائق جرحاها ومغنمها وشي الربيع وقتلاها جنى الثمر  
لأجل هذا إذا صبت طلائعها تدرّع النهر واهتزت قنى الشجر  
ويقول :

أنا إن قاومته جرعني غصص الموت كرهات المذاق  
أو أنا أرضيته أو رُضته عله يرضى تهادى في الشقاق  
وشدا مستهزئاً ينشدني من لنا بعد افتراق بتلاق  
وانبرى مستأنفاً عادته من مجيري منه قد ضاق الخناق

وهو كثيراً ما يستعمل التصريح إمعاناً في ترقية شعره وكأن قافية واحدة  
لا تكفيه . ومن الأمثلة على ذلك قوله في آخر بيت من مقطوعة غزلية :

وقلت كفاني قد قضيت فريضتي فنفسي الى مرعى المعاطن حنت

وقوله كذلك في آخر بيت من مقطوعة في نفس الموضوع :

ومن سفه الحب ليث الشرى يحكّم في نفسه الجؤذرا

ومع ان الشاعر - كما يبدو - معنى بتجميل شعره وترنيمه - ولو إلى حد ،  
إلا انه لم يستعمل المحسنات البديعية إلا قليلاً . فمن قوله في الجناس :

أظنك مثلي قد أطيل عتابه وقلّ بما لم يبد للناس عاذره  
ملوماً على من لو تبدّى لأصبحت عواذله في الحب وهي عواذره

ومنه كذلك :

نأيت وقلبي في يديك أسير فكيف بلا قلب إليك أسير

ومن قوله في الطباق :

فالقلب في حرق والجفن في أرق وللبلابل إصدار وإيراد

ومن قوله في المقابلة :

وكلما قربت مني دياركم ينأى المزار كأن القرب ابعاد

ومنه كذلك :

أصولها للسماء صاعدة وقضبها ضد ذاك منحدره

وفي شعر الأحاجي والالغاز ألوان مختلفة من هذه المقابلات سبق أن

أشرنا إليها .

ولا شك ان عدم اسراف أبي الربيع في التزييق والتنميق جعل في شعره كثيراً من السهولة والوضوح ، ولكن في لغة فصيحة وسليمة لا تشوبها اخطاء اللغة أو كلمات العامة . وقد يبدو غير طبيعي أن تحتفي مثل هذه الشوائب من شعر أبي الربيع في عصر عرف بالازدواج اللغوي بين العربية والبربرية . فمثل هذا الازدواج يحول لا ريب دون امتلاك اللغة والقدرة على تصريفها واستخدامها أداة تعبير ، لا سيما إذا كان هذا التعبير شعراً (85) يقتضي من صاحبه أن يكشف

---

85) ناقش الدكتور عبد العزيز الهمواني موضوع الازدواج اللغوي في كتابه « ابن سناء الملك ومشكلة العمق والابتكار في الشعر » فذهب ص 17 إلى أن المسألة « لها جانبها الواضح الذي يسلّم به الناس جميعاً ولها جانبها المبهم الغامض الذي يحتمل الشك والمعارضة . أما الجانب الواضح فهو التسليم العام بأن الشاعر لا بد أن يمتلك اداته اللغوية امتلاكاً كاملاً ليكون قادراً على تصريفها في اغراضه واستخدامها في نظمه ، ولا يختلف أحد في أن عربياً لا يستطيع أن ينتج شعراً ذا قيمة في لغة أجنبية ، إذا كانت معرفته لهذه اللغة تنقص عن مدى معرفة الشعراء من أبنائها لها . أما الجانب الغامض فهو : هل اللغة تختلف من ناحية وظيفتها وطبيعتها لدى الشاعر عامة والشاعر الغنائي خاصة عنها لدى الكاتب الكبير ؟ أليست هي في الحالين جميعاً أداة ووسيلة تسبقها الفكرة أو المعنى =

عن انفعاله الوجداني في صورة واضحة لا يمكن أن تستكمل ملاحظها ما لم يكن له مع هذه اللغة تجاوب وما لم يكن لهذه اللغة في نفسه سحر .

ومع هذا كله ومع ان الازدواج لم يكن يقتصر على طبيعة العصر حيث كان الشاعر نفسه يعرف اللغة البربرية ، فقد اختفى من شعره كل ما قد ينتج عن هذا الازدواج من مظاهر ، والسبب انه اتقن اللغة العربية إتقاناً لا يقل عن إتقان أمثاله من المشاركة الذين لم يعرفوا من الازدواج اللغوي غير شكله العادي الذي لا يتعدى الخلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة، وما نظنه يكون ذا أثر كبير .

وتتفرع مشكلة الازدواج هذه فتجرنا إلى مشكلة أخرى لا تقل عنها أثراً في تحديد ملامح الشاعر، ألا وهي مشكلة الجمهور الذي يتصل به ليعرض فنه عليه محتكماً الى فهمه وتدوقه . فاذا كان أبو الربيع قد عرف اللغة العربية وأتقنها إتقاناً كاملاً فإن الجمهور المغربي لهذا العهد - ونعني به الجمهور الكبير - لم يكن يعرف هذه اللغة معرفة تمكن الشاعر من الاتصال به ، فقد كان لا يزال يحتاج مرحلة التعريب . وليس معنى هذا ان أبا الربيع لم يكن له جمهور وإنما معناه ان جمهوره كان محدوداً في طبقة معينة هي طبقة أمثاله من الدارسين المتمكنين الذين كان يجتمع بهم في مجلسه أو مجلس الخليفة ، وتضم فقهاء وأدباء وعلماء ومن إليهم من أصحاب الثقافة المعروفة لهذا العهد . وذوق هذا الجمهور المحدود واضح في كثير من الأبيات التي تشتمل على آية قرآنية أو حديث شريف أو اسم تاريخي أو موضوع فلسفي ، وقد سبق ان فصلنا الحديث عنها عند الكلام على ثقافة الشاعر .

---

== يتضح أولاً في ذهن الشاعر والكتاب ثم ينقل بواسطة اللغة ؟ ان صح هذا فلا فرق من ناحية الطبيعة والوظيفة بينها عند الشاعر وعند الناثر، وان كلا الشاعر والناثر لا يطلب منه إلا أن يكون عارفاً باللغة متقناً لها مدركاً للفروق اللغوية الدقيقة بين ألفاظها وتراكيبها .

ولسنا نرى غير هذا أن نلاحظ سوى ان الشاعر لم يتحرر من القافية ولم ينظم في غير أوزان القدماء ، وانه كان كثير الميل إلى تنويع هذه الأوزان ولا سيما في فن الغزل ، مما يدل على أن عاطفته عميقة ومتأججة ، وأنها تبرز كل مرة في لون من ألوان الموسيقى يتفق وكل حال من أحواله . وهو يميل أحيانا إلى البحور القصيرة ، ويبدو أن المنصور كان يقترح على الشعراء أن ينظموا عليها وخاصة منها عروض الخبب وتفصيلاته ( فعلن فعلن فعلن ) مرتين . فقد ذكر المراكشي لدى حديثه عن ابن حزمون أنه « أنشده قصيدة في عروض يسمى الخبب كان يقترحه على الشعراء » (86) .

والذي يدعو إلى الاستغراب هو ان أبا الربيع لم ينظم في التوشيح والزجل ، أو على الأقل لم يصلنا شيء في إنتاجه في هذين الفنين .

وخلاصة القول في خصائص شعر أبي الربيع انه كان صادق الشعور صافي الاحساس واضح التجربة وانه كان واسع الثقافة غزير المادة الأدبية وان لم يتح لهذه المادة أن تظهر كثيراً ، وانه لم يكن من المحددين ولا من أصحاب المذاهب والأفكار ، وانه كان يستعير معانيه فينفث فيها من روحه ويحملها من تجربته العاطفية ما يبعث فيها قوة وعذوبة تجعلان القارئ يأنس لما تفيض به من نبضات ويرتاح لما هي عليه من بساطة ووضوح ، وانه لم يتأثر بشاعر معين وإن شابه بعض الشعراء في بعض المعاني وإنما تأثر بتيار الشعر العام سواء في المشرق أو المغرب أو الأندلس ، فجاء شعره مزيجاً من سمات أدب هؤلاء وأدب أولئك ، فيه جزالة المشرق وبساطة المغرب ورقة الأندلس ، وانه بهذا كله كشف عن ملامح شخصيته وشخصية الأدب المغربي في عصر الموحدين بما ينفي ما ذهب إليه

بعض الباحثين من ان هذا العصر « يمتاز ... بانحطاط الأدب ... » (87) وان « الشعر أيام الموحدين خصوصاً شعر المدح عبارة عن كلام فارغ كل ما فيه شقشقة الألفاظ وضخامة التعابير وكثرة التشبيهات والاستعارة » (88) .

---

(87) مقدمة زاد المسافر ص ب بقلم عبد القادر محماد نشر الكتاب ، وهو لأبي نجر صفوان

ابن ادريس التجيبي المرسي ( 560 - 598 ) . هـ .

أنظر ترجمته في ملحق بآخر الكتاب .

(83) كتاب الشعر الأندلسي في القرن الحادى عشر للأستاذ هنري بيرس بواسطة مجلة الثقافة

المغربية عدد غشت 1941 ص 13 .

La Poésie andalouse en arabe classique au II ème siècle

— Henri Pérès .





## فهرس المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريم  
ابراهيم بن فرحون ( برهان الدين ).
- 2 - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب  
طبع مصر  
أبو القاسم الزياتي .
- 3 - الروضة السلجانية في ملوك الدولة الاممائية ومن تقدمها من الدول الاسلامية  
مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 1275 د  
ابن أبي دينار .
- 4 - المؤنس في أخبار افريقيا وتونس  
ط تونس 1286  
أحمد بابا التنبكتي .
- 5 - نيل الابتهاج بتطريز الديباج  
( بهامش الديباج لابن فرحون )  
ط الأولى - مصر 1351

أحمد بن إبراهيم خلكان .

6 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

طبع بولاق 1299 م

أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني ( أبو العباس )

7 - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية

المطبعة الثعالبية - الجزائر 1328 هـ - 1910 م

( الطبعة الأولى )

أحمد بن خالد الناصري ( أبو العباس ) .

8 - الاستقصا لتاريخ دول المغرب الأقصى

تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد

طبعة دار الكتاب في 8 أجزاء - الدار البيضاء 1954

أحمد بن الزبير ( أبو جعفر ) .

9 - صلة الصلة - القسم الأخير

نشر ليشو برو فنسال - الرباط 1937

أحمد بن زيدون ( أبو الوليد ) .

10- الديوان

تحقيق كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة

مطبعة مصطفى الباي الحلبي - القاهرة 1932

أحمد بن عذارى المراكشي ( أبو العباس ) .

11- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب

( القسم الثالث المنشور في معهد مولاي الحسن ) بتحقيق أمبروسي  
هويسى ميراندة ( تطوان 1960 )  
أحمد الغبريني .

12 - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية  
( الجزائر 1328 )

أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة ( أبو العباس ) .

13 - عيون الانباء في طبقات الأطباء

المطبعة الذهبية - القاهرة - 1300 هـ ( في جزئين )

أحمد بن القاضي .

14 - جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس

ط حجرية

أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ( أبو العباس ) .

15 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين

ابن الخطيب

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

المكتبة التجارية الكبرى - مصر - 1367 هـ - 1949 م .

16 - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض

نشره في 3 أجزاء مصطفى السقا و ابراهيم الابياري

وعبد الحفيظ شلي - القاهرة 1939 هـ - 1941 م

أحمد المتنبى ( أبو الطيب ) .

شرح عبد الرحمن البرقوقي

ط مصر 1930

أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي .

18 - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس

ط كوديرة - مجريط 1884

ادريس العلوي الفضيلي .

19 - الدرر البهية والجواهر النبوية

ط حجرية

اسماعيل بن محمد العلجوني الجراحي .

20 - كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس

ط مصر 1352

اسماعيل مظهر .

21 - تاريخ الفكر العربي

دار الكتاب العربي - بيروت -

Emilio Gorgia Gomez اميليو غرسيه غومس

22 - الشعر الأندلسي - بحث في تطوره وخصائصه -

Poemos orabigo andaluces

ترجمة الدكتور حسين مؤنس

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر - 1952

Angel Genzález Palencia

آنخل جنثال بالنتيا

Historia de le literatura

23 - تاريخ الفكر الأندلسي

oràbigè - espanola

ترجمة د. حسين مؤنس

ط الأولى - مصر

Brockelmann

بروكلمان

24 - تاريخ الآداب العربية ( الملحق الأول ) ليدن 1937 م

البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي .

25 - اخبار المهدي ( طبع باريز 1928 م )

ومعه :

26 - ( المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب )

تاج الدين السبكي ( أبو نصر عبد الوهاب )

27 - طبقات الشافعية الكبرى ( طبع مصر )

تيم بن المعز لدين الله الفاطمي .

28 - الديوان

طبع دار الكتب المصرية ( 1377 هـ - 1957 م )

Jean et Jérôme Tharaud

جان وجيروم تارو

29 - أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين

والموحدين

ترجمة أحمد بلافريج ومحمد الفاسي

المطبعة الوطنية - الرباط 1349 هـ

حسن إبراهيم حسن .

30 - تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد المغرب

مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية 1958 م .

31 - عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب بالاشتراك مع

الدكتور طه أحمد شرف

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1947 م

حسن أحمد محمود

32 - قيام دولة المرابطين - القاهرة 1957

الحسن بن هانيء ( أبو نواس )

33 - الديوان

تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي - مطبعة مصر - 1953 م

الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني

34 - شرح المعلقات السبع

المطبعة التجارية - القاهرة - 1380 هـ 1961 م

خلف بن عبد الملك بن مسعود ( ابن بشكوال )

35 - كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم

( نشر السيد عزت العطار الحسيني - القاهرة 1955 م )

Gaston Deverdun دوفردان

36 - مراکش 1912 Morrakech des origines

الرباط 1959

- سليمان المونحدي ( الأمير أبو الربيع )
- 37 - الديوان - مخطوطة خزانة الرباط رقم 1310
- 38 - الديوان - مخطوطة الاسكوريال وتسمى « نظم العقود ورقم الحلل والبرود »
- 39 - الديوان - مخطوطة مكتبة أحمد الثالث - قصر توبكاي رقم 2333 ( اسطنبول )
- 40 - الديوان - مخطوطه الاستاذ المنوني
- 41 - مختصر الأغاني ( جزء من )  
خزانة جامعة القرويين رقم 246 ( ق 154 )
- Charles André Julien شارل أندريه جوليان
- 42 - تاريخ افريقيا الشمالية Histoire de l'Afrique du Nord  
باريز 1956 - 1966
- شاكر البتلوني الحاصباني
- 43 - نفع الأزهار في منتجات الأشعار ط بيروت  
شوقي ضيف
- 44 - الفن ومذاهبه في الشعر العربي دار المعارف - مصر - الطبعة الرابعة ضمن مكتبة الدراسات الأدبية ( رقم 20 ) 1960 م
- صفوان بن ادريس التجيبي المراكشي ( أبو بجر )
- 45 - زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر نشر عبد القادر محداد - بيروت 1358 هـ - 1939 م



صفي الدين أبو الفضل عبد العزيز بن سرايا الحلبي

46 - الكتاب العاطل الحالي والمرخص العالي

عني بتصحيحه ولهلم هونرباخ ( طبع في المانيا ضمن مطبوعات مجمع العلوم والآداب ولجنة الاستشراق )

47 - مخطوطة مكتبة بايزيد - اسطنبول - رقم 5542

عباس بن ابراهيم المراكشي

48 - الإعلام بمن حل بمراكش واغصات من الإعلام

الأجزاء الخمسة الأولى ( 1936 - 37 - 38 - 39 ) المطبعة الجديدة فاس

49 - من الجزء السادس إلى العاشر ( مصور على الميكرو فيلم في خزانة الرباط برقم 167 )

50 - اظهار الكمال في تميم مناقب أولياء مراكش - سبعة رجال

( ط حجرية )

عباس الجراري

51 - القصيدة ( الزجل في المغرب )

ط الرباط 1970

52 - موشعات مغربية

ط دار النشر المغربية - الدار البيضاء 1973

عباس محمود العقاد

53 - ابن رشد

العدد الأول من سلسلة نوابغ الفكر العربي

دار المعارف - مصر - 1957

عبد الحمي بن العماد الحنبلي ( أبو الفلاح )

54 - شذرات الذهب في اخبار من ذهب

مكتبة القدسي - مصر - 1350 هـ

عبد الرحمن بن خلدون

55 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من

ذوي الشأن الأكبر

طبعة بولاق في 7 أجزاء - 1284 هـ

56 - المقدمة

طبعة بولاق

عبد الرحمن السهيلي

57 - الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام

ط الجمالية - مصر 1914

عبد الرحمن السيوطي الشافعي ( جلال الدين )

58 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

مطبعة السعادة بمصر سنة 1326 هـ ( الطبعة الأولى )

59 - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

مطبعة ارادة الوطن - مصر 1299 هـ

عبد العزيز الأهواني

60 - الزجل في الأندلس

نشر معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة 1957 م

61 - ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر

مكتبة الانجلو المصرية 1962 م

62 - ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة

فصلة من مجلة معهد المخطوطات - المجلد الثالث 1957 م

مطبعة مصر القاهرة 1957

عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني التميمي

63 - الفرق بين الفرق

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة

عبد الله جنون

64 - ميمون الخطابي

الجزء السابع من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب

طبع معهد مولاي الحسن

65 - أبو العباس الجراوي

الجزء السادس من نفس السلسلة

66 - الأمير سليمان الموحدى

الجزء العاشر من نفس السلسلة ( نشر معهد مولاي الحسن )

- 67 - أمراؤنا الشعراء  
المطبعة المهديّة - تطوان
- 68 - النبوغ المغربي في الأدب العربي  
الطبعة الثانية - نشر دار الكتاب اللبناني - بيروت 1961 م  
عبد الله بن العباس الجراري
- 69 - تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لأوروبا  
دار الفكر العربي 1381 هـ - 1961 م  
عبد الله علي علام
- 70 - الدعوة الموحدية بالمغرب  
نشر دار المعرفة - القاهرة 1964  
عبد الله محمد بن ابراهيم اللولوي المعروف بالزر كشي
- 71 - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية  
مطبعة الدولة التونسية - 1289 هـ  
عبد الله بن المعتز
- 72 - الجزء الثالث والرابع من شعره جمع أبي بكر الصولي  
تصحيح ب . لوين  
استانبول مطبعة المعارف 1950 ( النشريات الاسلامية )
- 73 - الديوان  
طبع عزيز أفندي زند  
مطبعة المحروسة مضر 1891

- عبد الملك الثعالبي ( أبو منصور )  
 74 - المعجب في تلخيص اخبار المغرب  
 تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي  
 مطبعة الاستقامة - القاهرة 1949 م - 1368 هـ
- علي بن أحمد بن أبي الكريم ( ابن الأثير )  
 75 - الكامل في التاريخ - في 12 جزءاً  
 المطبعة الكبرى - القاهرة 1290 هـ
- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ( أبو محمد )  
 76 - طوق الحمامة في الألفة والألاف  
 مطبعة حجازي - القاهرة 1950 م - 1369 هـ
- علي بن الحسين الاصفهاني ( أبو الفرج )  
 77 - كتاب الأغاني  
 - طبعة دار الكتب - مصر
- 78 - ط دار الثقافة - بيروت
- علي بن سعيد بن موسى ( أبو الحسن )  
 79 - المغرب في حلى المغرب  
 تحقيق الدكتور شوقي ضيف  
 طبع دار المعارف - مصر - ( مجموعة ذخائر العرب )  
 الجزء الأول 1953 - الجزء الثاني 1855
- 80 - الغصون اليبانة في محاسن شعراء المائة السابعة

تحقيق ابراهيم الابياري

نشر دار المعارف - مصر ( ضمن مجموعة ذخائر العرب )

81 - رايات المبرزين

نشر غارسيا غومس - طبع مدريد

علي بن عبد الله بن أبي زرع ( أبو الحسن )

82 - الأنيس المطرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

طبعة فاس الحجرية

علي الجزنائي

83 - جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس

ط ملكية - الرساط 1967

العماد الاصفهاني

84 - خريدة القصر وجريدة العصر

ق 4 ج 1

تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ( دار نهضة مصر )

عمر بن حسن بن دحية ( أبو الخطاب )

85 - المطرب من اشعار أهل المغرب

تحقيق ابراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي

ط الأميرية - القاهرة 1954

عمر رضا كحالة

86 - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ( الجزء الأول )

المطبعة الهاشمية - دمشق 1368 هـ - 1949 م

عياض بن موسى بن عياض ( القاضي )

87 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ( الجزء الأول )

تحقيق محمد بن تاويت الطنجي

ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط 1965

الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان ( أبو نصر )

88 - قلائد العقيان

ط الأولى - مصر 1320

فريول Ferriol

89 - أطلال تينمل Les ruines de Tinnel

مجلة هسبريس 1922 Hespéris

فؤاد كامل - جلال العشري - عبد الرشيد الصادق

90 - الموسوعة الفلسفية المختصرة

منقولة عن الانكليزية

نشرت ضمن مطبوعات الألف كتاب ( 431 ) مكتبة الانجلو المصرية

القاهرة 1963

قائمة لنوادير المخطوطات العربية في مكتبة

91 - جامعة القرويين بفاس بمناسبة مرور مائة وألف سنة على تأسيس هذه

الجامعة

مطبعة النجمة - الرباط 1960 ( وزارة التهذيب الوطني )

ابن القطان

92 - جزء من كتاب نظم الجمان

تحقيق الدكتور محمود علي مكّي

طبع ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة  
محمد الخامس - الرباط

لاوست Henri Laoust

93 - الفرق في الاسلام Les schismes dans l'Islam

باريز 1965 Payot - Paris

لجنة دائرة المعارف الاسلامية

94 - دائرة المعارف الاسلامية

ترجمة ونشر لجنة دائرة المعارف الاسلامية بالقاهرة

لسان الدين بن الخطيب

95 - مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس

تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي

طبع كلية آداب جامعة الاسكندرية ( المطبوع رقم 12 ) 1958

96 - القسم الثالث من أعمال الأعلام

تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكتاني

مطبعة دار الكتاب - الدار البيضاء 1964

ليفّي بروفنسال Lévi Provençal

97 - مجموع رسائل موحديّة من إنشاء كتيّاب الدولة المومنيّة



نشرها في الجزء العاشر من مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية  
المطبعة الاقتصادية - الرباط - 1941 م

Léon Africain ليون الافريقي

98 - وصف افريقية Description de l'Afrique

باريز ed. Schefer - Paris 1896

G. Marçais مارسي

99 - بلاد البربر المسلمة والشرق في العصر الوسيط

La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge

باريز ed. Montaigne - Paris 1946

مجهول

100 - الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية

ط الجزائر 1920

101 - الاستبصار في عجائب الامصار

تحقيق سعد زغلول عبد الحميد

ط الاسكندرية 1958

102 - تاريخ الدولة السعدية

نشر جورج كولان

الرباط 1934

103 - الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية

نشر غلوش

الرباط 1936

محسن الأمين

104 - أبو نواس

مطبعة الاتقان - دمشق 1947 م

محمد بن أحمد الغرناطي ( أبو القاسم )

105 - رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ( شرح مقصورة أبي الحسن

حازم الانصاري القرطاجني )

مطبعة السعادة - مصر 1344 هـ

محمد بن أحمد اليعمدي

106 - واسطة العقدين في ترتيب الكناشين

مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 330

محمد بن تومرت ( المهدي )

107 - أعز ما يطلب

طبع الجزائر عام 1903

نشر لوشيانبي وتقديم جولد تسيهر

محمد بن جبير

108 - الرحلة

ط الأولى - مصر 1908

محمد بن جعفر الكتاني

109 - سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس

ط حجرية

محمد بن الحسن بن دريد ( أبو بكر )

110 - الاشتقاق

تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة السنة المحمدية 1958 م

محمد بن حوقل النصيبي ( أبو القاسم )

111 - المسالك والممالك

ليدن 1937 م ( الطبعة الثانية )

محمد بن خاقان ( أبو نصر الفتح )

112 - قلائد العقيان ومحاسن الاعيان

طبعة بولاق 1283 هـ

محمد بن سلام الجمحي

113 - طبقات فحول الشعراء

ط دار المعارف ( ذخائر العرب )

محمد بن جندار

114 - الاغتباط بتراجم أعلام الرباط

مخطوط الخزانة العباسية رقم 1165

محمد الذهبي ( أبو عبد الله شمس الدين )

115 - تذكرة الحفاظ

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بميدر اباد - الهند

1957 م - 1376 هـ ( الطبعة الثالثة )

116 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال

ط الأولى

محمد الرشيد ملين

117 - عصر المنصور الموحدى أو الحياة السياسية والفكرية

والدينية في المغرب من 580 هـ إلى 595

المطبعة المحمدية - الرباط - 1946 م

محمد أبو زهرة ( الشيخ )

118 - تاريخ المذاهب الاسلامية

طبع في جزئين

دار الفكر العربي - القاهرة

محمد شمس الدين المقدسى ( أبو عبد الله )

119 - أحسن التقاسيم

طبع القاهرة 1911

محمد عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني

120 - الملل والنحل

تحقيق محمد سيد الكيلاني

في جزئين

طبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر 1381 هـ - 1961 م

121 - ط مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر

بهامشه : الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم

محمد بن عبد الله القضاعي ( ابن الأبار )

122 - التكملة لكتاب الصلة

طبعة مجريط 1886 - 1887

123 - طبعة القاهرة - نشر عزت الطاهر الحسيني - 1375 - 1955

124 - الحلة السيرة

نشر الدكتور حسين مؤنس

الشركة العربية للطباعة والنشر - القاهرة 1963

125 - المقتضب من كتاب تحفة القادم

اختيار ابراهيم البلفيقي

تحقيق ابراهيم الايباري

ط الاميرية - القاهرة 1957

محمد بن غازي العثماني

126 - الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون

ط الامينية - الرباط 1952

127 - الفهرست

مخطوطة خاصة بالكاتب

محمد بن عياض ( أبو عبد الله )

128 - التعريف بالقاضي عياض

مخطوطة خزانة الرباط رقم ك 553

محمد الفاسي

129 - العصر الموحدى

مقال نشر فى مجلة الثقافة المغربية عدد غشت 1941

130 - شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوى

نشر ضمن مطبوعات جمعية قدماء تلاميذ مدرسة جيسوس

محمد كامل حسين

131 - فى أدب مصر الفاطمية

العدد 455 من سلسلة الألف كتاب - وزارة التعليم العالى

مصر - الطبعة الثانية 1963 م

132 - دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين

طبع دار الفكر 1957

محمد المعتمد بن عباد

133 - الديوان

تحقيق أحمد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد

طبع الادارة الثقافية بوزارة المعارف العمومية - إدارة نشر

التراث القديم

المطبعة الأميرية - القاهرة 1951

محمد المنونى

134 - العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين

طبعة معهد مولاي الحسن - تطوان 1369 - 1950

محمد بن الموقت

135 - السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية

ط حجرية

محي الدين بن عربي

136 - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

دار اليقظة العربية

مصطفى حاجي خليفة ( ابن عبد الله )

137 - كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون

طبع وكالة المعارف باستانبول

تحقيق محمد شرف الدين بالتقايا 1941 م - 1360 هـ

الطبعة الثالثة

مهيार الدليمي

138 - الديوان

طبعة دار الكتب المصرية (الطبعة الأولى) في أربعة أجزاء

( 1925 - 1926 - 1930 - 1931 م )

Jaques Meunié et Henri Terrosse

مونني - تيراس

139 - أبحاث أثرية في مراكش

Recherches archéologiques à Morrokech

Paris 1952

باريز

نشوان بن سعيد الحميري

140 - قصيدته المسماة « ملوك حمير وأقبال اليمن »

وشرحها المسمى « خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة »

تحقيق علي بن اسماعيل المؤيد واسماعيل بن أحمد الجرافي

المطبعة السلفية - مصر - 1378 هـ

H. Terrosse هنري تيراس

141 - تاريخ المغرب Histoire du Maroc

الدار البيضاء Casablanca 1954

142 - المشاهد والقلاع الموحدية

Sanctuaires et forteresses olmohades

مجلة هسبرس 1924 - 1925 Hespéris

وزارة التربية الوطنية ( المغرب )

143 - جامعة القرويين في ذكرها المائة بعد الألف 1960

ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي

144 - معجم البلدان

مطبعة السعادة - مصر - 1906 م 1323 هـ ( الطبعة الأولى )

145 - معجم الأدباء « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب »

( سلسلة الموسوعات العربية )

نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه 1936 م - 1355 هـ



يوسف بن يحيى التادلي ( ابن الزيات )

146 - التشوف إلى رجال التصوف

نشر أدولف فور - الرباط 1958

Joseph Aschbach

يوسف أشباخ الألماني

147 - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين

ترجمة محمد عبد الله عنان

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

1377 هـ - 1958 م ( الطبعة الثانية )

## فهرس الأعلام

- 28 ابن أشرس (ح) 99 ابراهيم الأبياري
- 177 ابن اشقيلولة ، ابو محمد ابراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله
- (ح) 66 ابن افلاطون انظر : ابن خفاجة
- (ح) 160 ابن الأبار 61 (ح) 99 (ح) 72 ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن
- 35 ابن الأثير 14 (ح) 21 ، 32 (ح) 68 ، ابن ابراهيم 14 (ح) 72 (ح) 102 (ح) 106
- ابن البقار . انظر : (ح) 106
- محمد بن ابراهيم بن حزب الله ابن أبي الجيش الأنصاري 80
- 134 ابن الحسين ابن أبي المهاجر
- ابن الحصار . انظر : انظر اسماعيل بن عبد الله
- ابو الحسن علي بن محمد الخزرجي ابن أبي الطواجين الكتامي 68
- الاشيبلي الفاسي ابن أبي اصبيعة 61
- ابن الدوقة انظر : لوجار بن لوجار ابن أبي دينار 35
- 78 ابن السراج ابن أبي زيد القيرواني (انظر القيرواني)
- ابن الصقر . انظر : أبو العباس أحمد ابن أبي زرع (ح) 32
- بن عبد الرحمن الأنصاري ابن أبي بردة . انظر :
- 225 ابن الطلاء 1 - أبو الطيب
- ابن العربي ، انظر : ابو بكر 2 - محمد بن أبي بردة
- 147 ابن الفكون

- ابن القطن 99 (ح) ابن الكتاني انظر : ابو عبدالله محمد بن عبد الكريم الغندلاوي
- ابن المعتز : ابو العباس عبدالله بن محمد بن المعتز 127 ، 155 ، 155 (ح) 156 ، 160 ، 198 ، 199 ، 200 ، 201 ، 202 ، 222 ، 223
- ابن المعز . انظر : تميم
- ابن المغربي انظر : الحسين بن علي أبو القاسم
- ابن المناصف انظر : محمد بن عيسى بن اصبح
- ابن المنقذ 88
- ابن الياسمين انظر : عبدالله بن محمد بن حجاج
- ابن باجه 61 (ح)
- ابن باديس بن عبدالله اليحصبي 68
- ابن باقيا انظر :
- أبو القاسم عبدالله بن محمد
- ابن بري 78
- ابن بشكوال 137
- ابن بقميس انظر : ابو عبدالله محمد بن محمد بن عثمان بن سعيد
- ابن تاشفين ، يوسف
- 1 - علي بن يوسف
- 2 - ابن يوسف
- ابن تيسيت ،
- أبو القاسم بن محمد 178 (ح)
- ابن تومرت
- 1 - محمد بن تومارت
- 2 - المهدي
- 15 ، 31 ، 36 ، 37 ، 40 ، 41 ، 44 ، 45 ، 104 ، 118 ، 211
- ابن جهور
- ابن حازم ، حازم بن محمد بن حسن 191 (ح)
- ابن حبوس : أبو عبدالله محمد بن حسين
- ابن عبدالله 89 ، 102 ، 102 ح 103 ، 104 ، 105 ، 208 ،
- ابن حزم : ابو محمد بن علي أحمد
- ابن سعيد 29 ، 44 ، 45 ، 47 ، 59 ، 60 ، 60 (ح) ، 77 ، 191 (ح) ، 192 ،
- ابن حزمون 238
- ابن حمدين 13
- ابن حموية ، تاج الدين أبو محمد عبدالله بن عمر بن علي بن محمد
- محمد 128 (ح)
- ابن حموية ، صدر الدين 128 (ح)
- ابن حنين ، علي بن أحمد بن أبي بكر الكتاني 65
- ابن حوقل 153 (ح)
- ابن خراسان انظر ايضاً : عبدالله بن خراسان

ابن سعيد 112 ، 113 ، 127 ،  
 128 ، 145 ، 151 ، 155 ،  
 170 ، 173 ، 225 (ح)  
 ابن سناء الملك 174  
 ابن سيد اللص 90 ، 90 (ح)  
 ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك 88  
 ابن طفيل 62  
 ابن عبد العزيز بن خالد 46  
 ابن عبد ربه : ( ابو عمر ) 126 ،  
 164 (ح) ، 165 ، 169 ،  
 170 ، 171 ، 172 ، 173 ،  
 174 ، 174 (ح) ، 175 ،  
 176 ، 226  
 ابن عبدوس 194 (ح)  
 ابن عذارى 88 (ح) ، 89 (ح) ،  
 93 ، 98 (ح)  
 ابن عربي 66 ، 67  
 ابن عصفور 81 (ح)  
 ابن عطية ، أبو عقيل ، 119 (ح) ، 178  
 ابن علوش : ابو محمد عبد الله بن  
 أحمد بن محمد اللخمي  
 الاشبيلي 134  
 ابن عياش 93 (ح)  
 ابن غانية : 1 — علي بن اسحاق  
 2 — علي الميورقي ، 58 ، 96 (ح) ،  
 127 ، 130 ، 132 ، 150 ،  
 150 ح ، 152  
 ابن غرلة 110

ابن خروف 79  
 ابن خفاجة انظر : ابراهيم بن أبي  
 الفتح بن عبد الله  
 219 ، 219 (ح) ، 220 ،  
 ابن خلدون 29 ، 32 (ح) ، 33 ،  
 36 ، 36 (ح) ، 38 (ح) ،  
 49 ، 50 ، 138 (ح)  
 ابن خلكان 27 ، 32 (ح) ، 38 (ح)  
 93 ، 193 (ح)  
 ابن دحية الكلبي 73 ، 73 (ح) ، 76 ،  
 أبو الخطاب عمر بن الحسن 78 ،  
 79 ، 87 ، 99 ، 99 (ح)  
 ابن دريد 79 ، 80  
 ابن رشد ، الحفيد — «الفيلسوف»  
 ابو الوليد محمد بن أحمد بن  
 رشد 62 ، 62 (ح) ، 63 ،  
 63 (ح) ، 64 ، 67 ، 75 ،  
 ابن روجر 86  
 ابن زريق انظر : ابو الحسن علي  
 ابن زغبوش ابو محمد عبد الله 71  
 ابن زبناغ ، ابو الحسن 221  
 221 (ح)  
 ابن زيدون : الوليد احمد 62 ،  
 194 ، 194 (ح) ، 211 ،  
 219  
 ابن زيري انظر : الناصر بن علناس  
 ابن ساسان 141

3 — علي	137 (ح)	ابن فرحون
ابو الحسن أحمد بن	36	ابن قسبي . أبو العباس
الرشيدي	143 (ح)	ابن ماجة
139 (ح)	79 (ح)	ابن مالك
76 أبو الحسن الحرالي	90	ابن مجير يوسف
68 أبو الحسن الشاذلي		ابن مشيش : أبو محمد عبد
75 ابو الحسن اللخمي	68 (ح)	السلام
ابو الحسن عبد الملك بن عياش	43	ابن مضاء
القرطي	80 ، 79 ، 78 ، 77	ابن معط
119 (ح)	186 (ح)	ابن منظور
186 ، ابو الحسن علي — ابن زريق	88 (ح)	ابن منقذ
186 (ح)	178 (ح)	ابن ميمون
ابو الحسن علي المسفر	194 (ح)	ابن نباتة
67 أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي	55	ابن هود : الهادي
70 الحرالي المراكشي		ابن وهب : عبدالله بن وهب 137 ،
أبو الحسن علي بن سعيد ،	137 (ح)	
75 الرجراجي		ابن ياسين ، عبدالله
ابو الحسن علي بن محمد الخزرجي	31 ، 30	ابن يقطان
الاشبيلي الفاسي	88	ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن
انظر : ابن الحصار		هارون المرادي 74 ، 76
70 أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون ،		أبو بكر علي الصنهاجي
القيسي ، القرطي		انظر : البيدق
80 أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف		ابو الخنجاج بن نموي 69
136 الفهري		ابو الحسن انظر : الأشعري
أبو الحسن علي ، بن يحيى بن		أبو الحسن ، الخليفة الموحد 18 (ح)
76 القاسم ، الصنهاجي		انظر :
أبو الحكم علي بن محمد المرزي 119 (ح)		1 — السعيد
أبو الخطاب عمر بن الحسن		2 — المعتضد
بن دحية الكلبي		
انظر : ابن دحية		

أبو العباس أحمد بن جعفر	أبو الربيع : صاحب الديوان ، سليمان
67 الخزر جي السبتي	الموحدي 50 ، 60 ، 73 ، 100 ،
أبو العباس ، أحمد بن حسن بن	112 ، 118 ، 125 ، 127 ،
134 سيد الجراوي المالقي	129 ، 131 ، 132 ، 133 ،
أبو العباس احمد بن خلف	136 ، 137 (ح) ، 138 ،
79 البكري	138 (ح) ، 139 ، 140 ،
أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن	143 ، 144 ، 145 ، 146 ،
65 الأنصاري ، ابن الصقر	148 ، 149 ، 151 ، 153 ،
أبو العباس أحمد بن محمد العزفي	155 ، 155 (ح) ، 156 ،
86 اللخمي	157 ، 160 ، 163 ، 164 ،
أبو العباس الجراوي : انظسر	164 (ح) ، 167 ، 168 ،
الجراوي	169 ، 170 ، 171 ، 172 ،
أبو العتاهية	174 ، 175 ، 175 (ح) ،
188 (ح)	177 ، 179 ، 181 ، 187 ،
أبو العلاء = ادريس بن المنصور	188 ، 192 ، 193 ، 194 ،
= أبو دبوس = المأمون 18 ، 18 (ح)	196 ، 198 ، 200 ، 201 ،
24 ، 24 (ح) ، 42 ، 42 (ح)	202 ، 203 ، 206 ، 207 ،
72 ، 96 ، 115 ، 116	209 ، 210 ، 211 ، 212 ،
أبو العلاء بن زهر = أبو بكر محمد	213 ، 217 ، 220 ، 226 ،
= أبو مروان 64 ، 64 (ح)	229 ، 231 ، 233 ، 234 ،
أبو الفرج الجوزي	236 ، 237 ، 238 ،
193 (ح)	
أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد	
الأصفهاني . انظر : الأصفهاني	أبو الطيب = محمد بن أبي بردة .
أبو الفضل ، بن أبي الطاهر	أبو الطيب ، المتنبي الشاعر ،
120 أبو الفضل جعفر بن محمد بن	أحمد بن حسين الجعفي 140 ،
محشرة	141 ، 141 (ح) ، 212 ،
119 (ح)	
أبو الفضل عيساض بن موسى	أبو العباس ، أحمد بن عبد
اليحصبي ، السبتي .	الجليل التدميري
انظر : عمر المرتضى	134

36 ابو بكر بن العربي  
 134 ابو بكر بن جيش  
 90 (ح) أبو بكر الأبيض ، الأديب  
 46 ، 32 ابو بكر الشاشي  
 ابو بكر عبد الرحمن بن  
 145 مغاور  
 ابو بكر محمد ابو مروان  
 انظر : أبو بكر بن زهر  
 = أبو العلاء بن زهر  
 ابو بكر محمد بن طفيل :  
 انظر ، ابو بكر بن طفيل 61 ، 63  
 أبو بكر محمد بن عبد الله بن الجند  
 الفهري الاشيلي 65  
 ابو بكر محمد بن عربي 66 (ح)  
 ابو بكر محمد بن ميمون بن عبد الله  
 القرطبي 178  
 ابو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن  
 بقى ، السلوي 72  
 بو تمام ، الشاعر 231 ، 231 (ح)  
 ابو جعفر ، هارون  
 الطيب 63 (ح) ، 95 ، 119 ح  
 أبو جعفر المنصور 35  
 أبو جعفر بن عطية = أحمد بن  
 جعفر بن محمد عطية القضاعي 94 ،  
 94 (ح) ، 119 (ح) ، 209  
 ابو حامد ، أنظر : الغزالي  
 ابو حفص الأغماتي 28 ، 111 ،

130 ابو القاسم الزياتي  
 ابو القاسم السعيد هبة الله بن القاضي  
 الرشيد ابو الفضل جعفر بن  
 المعتمد سناء الملك  
 67 ابو القاسم بن ابراهيم الخزرجي  
 ابو القاسم بن عبد الرحمن القالمي  
 119 (ح)  
 ابو القاسم ، خلف بن عبد الملك  
 بن مسعود بن موسى بن  
 بشكوال الأنصاري القرطبي  
 137 (ح)  
 ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد  
 79 ابن رحمون المصمودي  
 ابو القاسم عبد الله بن محمد  
 = ابن باقيا 139 (ح)  
 ابو المعالي 70  
 أبو الوفاء التفتازاني 60 (ح)  
 ابو الوليد أحمد  
 انظر : ابن زيدون  
 ابو الوليد محمد بن أحمد بن  
 احمد بن محمد بن رشد  
 انظر : ابن رشد  
 ابو بحر صفوان بن ادريس  
 239 (ح) التجيبي المرسي  
 ابو بكر ، الخليفة 37  
 ابو بكر بن طفيل  
 انظر : ابن طفيل

- 130 ابو عبدالله (محمد) القسطلاني  
 153 ابو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري  
 انظر : الأشبيلي  
 ابو عبدالله محمد بن حسن بن محمد  
 61 بن يوسف الفاسي  
 ابو عبدالله محمد بن حسين بن  
 عبدالله . انظر ابن حبوس  
 ابو عبدالله محمد بن حماد العجلاني  
 74  
 74 ابو عبدالله محمد بن طاهر الحسني  
 ابو عبدالله محمد بن عبد العزيز  
 بن عياش التجبير 119 (ح)  
 ابو عبدالله محمد بن عبد الكريم  
 69 الغندلاوي  
 ابو عبدالله محمد بن عبد المنعم ،  
 الصنهاجي ، الحميري ،  
 78 السبتي  
 ابو عبدالله محمد بن عبد ربه ،  
 164 كاتب ابي الربيع  
 ابو عبدالله محمد بن عثمان بن  
 70 سعيد ابن بقميس  
 ابو عبدالله محمد بن العابد  
 81 ، 70 الأنصاري الفاسي  
 ابو عبدالله محمد بن هشام ،  
 79 اللخمي ، السبتي  
 92 ابو عبد المؤمن  
 26 أبو عبيد الله الشيعي
- ابو حفص = عمر بن عبد  
 المؤمن ( المرتضى ) 18 ،  
 18 (ح) ، 96 ، 127 ، 127 (ح)  
 ، 153 ، 211 ، 220 ، 230 ،  
 ابو حنيفة 27 ، 28 ، 29 ، 30 (ح)  
 ابو دبوس 18 (ح)  
 انظر :  
 1 - ادريس  
 2 - ابو العلاء  
 ابو زكريا يحيى بن ابي حجاج  
 65 اللبلي  
 ابو زكريا يحيى بن علي .  
 انظر : الزواوي  
 ابو زكريا يحيى زيد الدين الزواوي  
 79 أبو زيد عبد الرحمن السهيلي ،  
 78 المالقي  
 ابو زيد عبد الرحيم بن عمر ،  
 75 اليزناني  
 134 ابو سعيد  
 أبو شعيب . انظر :  
 ابوب ابن سعيد الصنهاجي  
 42 ابو عباس  
 73 ابو عبدالله بن عياض ، القاضي  
 ابو عبدالله - انظر الناصر  
 208 ابو عبدالله الرصافي  
 ابو عبدالله محمد (ولد القاضي  
 75 عياض)



ابو محمد ، عبد الواحد بن يوسف	ابو عبدالله المهدي الداعية
17 ، 17 (ح)	27 الاسماعيلي
50 أبو مدين	ابو عثمان - أخو ابن دحية 73 ، 76
ابو مروان محمد بن أحمد بن عبد	ابو علي الحسن بن عبدالله 137 (ح)
65 الملك اللخمي الباشي	ابو علي حسن بن علي ،
أبو موسى عيسى بن عبد العزيز	82 المراكشي
78 الجزولي	أبو عمرو عثمان بن عبدالله القيسي
ابو نواس - الحسن بن هانيء	القرشي . انظر : السلاجي
186 ، 186 (ح) ، 197 ،	ابو عمران الفاسي 30
198 ، 199 ، 200 ، 201	ابو عمرو : ميمون بن خبازة 99 (ح)
80 أبو هريرة	115 ، 116
186 (ح) أبو هفان المهزمي	ابو عمرو سالم بن صالح النهرواني
64 أبو يحيى ، والي قرطبة	99 (ح) المالقي
68 أبو يعزى ابن ميمون	أبو فاضل بن النحوي 13
أبو يعقوب ، الأمير	ابو محمد : عبدالله بن المنصور
يوسف بن عبد المؤمن -	الملقب بالعاذل 17 (ح)
1 - المستنصر	ابو محمد بن سيدنا الامام الخليفة
2 - يوسف بن محمد 17 ، 94 ،	الرضي 126
106 ، 107 ، 127 ، (ح) ،	ابو محمد بن علي احمد بن سعيد
153	انظر : ابن حزم
29 ابو يوسف ، القاضي في بغداد	ابو محمد صالح بن محمد بن عبدالله
احمد الأعرج السعدي انظر :	66 بن حرزهم
المهدي	ابو محمد عبد السلام ابن مشيش
احمد بدوي 99 (ح) ، 210 (ح) ،	انظر : ابن مشيش .
احمد بن الجذ 213 (ح)	77 ابو محمد عبد الكريم الحسني
احمد بن عبدالله بن احمد بن	94 ابو محمد عبدالله الجبائي
72 هشام بن الحطيثة ، اللخمي	ابو محمد عبدالله بن سليمان بن
65 احمد بن عتيق البلنسي	134 حوط ، الانصاري

73	الأبياري	حمد بن علي بن محمد سيد
(ح) 125	الأتراك	الكناني 90 (ح)
56 ، 31 ، 30 ، 27	الأدراسة	احمد بن محمد بن هاروت بن
	الادريسي انظر : محمد بن محمد	عات 65
	بن عبدالله السبي	احمد بن مطرف المري 42
28 ، 26	الأدرسية ، دولة	احمد توفيق المدني 125 (ح)
(ح) 125	الاسبان	احمد زكي 194 (ح)
62	الاسلام ، اهل	ادريس المولى 27 ، 56
27	الاسماعيلية	ادريس = ادريس بن المنصور .
، 36 ، 34 ، 32 (ح) ،	الاشاعرة 32 (ح) ،	انظر :
69		1 - ابو العلاء
	الاشيبي - ابو عبدالله محمد بن	2 - ابو دبوس
69	أحمد الأنصاري	3 - المأمون
36 ، 34	الأشعري - أبو الحسن	ادريس بن المامي 169
48 ، 33	الأشعرية ، مذهب	ادريس بن عبدالله الحسيني 35
48 ، 19	الاصحاب والجماعة	أرسطو - أرسطوطاليس - أرسطو
	الأصفهاني : أبو الفرج علي بن	62 ، 62 (ح) ، 63
، الحسين بن محمد الأصفهاني 138 ،	138 (ح) ، 139 (ح)	أسافو 31 (ح)
89	الأصم الرواني ، الشاعر	اسحق بن ابراهيم بن يعمر
(ح) 140	الأصمعي	السعيد الغماري 75
58	الافلاطونية ، مذهب	أسد بن الفرات 28
(ح) 140	آكل المرار	اسماعيل بن عبيدالله بن ابي المهاجر
179	الأغماتي ، أبو حفص	انظر : ابن أبي المهاجر 25
، 59 ، 37 ، 27 ، 20	آل البيت 20 ، 27 ، 37 ، 59 ،	اسماعيل مظهر 193 (ح)
213		اصحاب العشرة 19
، 31 ، 28 ، 27	الإمامية ، مذهب 27 ، 28 ، 31 ،	افلاطون 62
36 ، 34 ، 33		أفيروس 62 (ح)
		26
		الأباضية

48	الحديث ، أهل	27	الأمويون
(ح) 70	الحرالي	89 ، 13	الأندلسيون
45	الحزمية ، فقهاء	27	الاوربية ، القبيلة
	الحسن بن هانيء انظر: ابونواس	28	الاوزاعي ، امام
	الحسين بن علي ابو القاسم	47	الأيوبيون
(ح) 139	= ابن المغربي	82	البتراحي ، المراكشي
65	الحضر ، طلبة	31	البجلية ، حركة
25	الحفصية	(ح) 143	البخاري
25	الحفصية	33	البدعة ، اهل
	الحكم ، « الأموي » - المستنصر	، 55 ، 27 ، 26 ، 25	البربر
،	بالله 46 ، 61 ، 61 (ح) ،	56	
	138 (ح)	39 ، 20	البربرية ، لغة
31	الحموديون	28	البهلول بن راشد
30 ، 28	الحنفية	50 ، 37	البيت ، اهل
186	الحصيب ، الأمير		البيدق - أبو بكر علي الصنهاجي
19	الخمسين ، اهل	14 (ح) ، 32 ، 32 (ح) ، 87 ،	
27 ، 26 (ح) ، 27	الخوارج	(ح) 143	الترمذي
19	الدار ، اهل	88	التيفاسي
211	الديلم		الجدالي ، انظر يحيى ابراهيم
(ح) 142	الرحمن ، سورة	(ح) 73	الجرادي
26	الرستمية ، دولة		الجرائي = أبو العباس
26	الرستمية ، الأسرة	، 107 ، 106 ، 99	الجرائي
	الرشيد ، بن المأمون	208 ، 110 ، 109	
(ح) 18 ، 18	= عبد الواحد	(ح) 79	الجزولي
(ح) 186 ، 43	الرشيد ، هارون	59	الجفر ، علوم
37 ، 31	الروافض	35	الحمل ، أصحاب
225 ، 12	الروم	79	الجوهري
78	الزجاجي	(ح) 137	الحافظ الذهبي

(ح) 79 ، 78	الشلوبين	(ح) 143	الزمر ، سورة
(ح) 203	الشتيميري	25	الزناتية
35	الشهرستاني	64	الزهرة ، آلهة
، 31 ، 30 ، 27	الشيعة		الزواوي - ابو زكريا يحيى بن
114 ، 37		(ح) 77 ، 77	ابي علي
33	الشيعة الإمامية	(ح) 190	الزوزني
27	الشيعة ، الحركة	37	الزبيدية
، 59 ، 43 ، 37	الصحابة ، الرسول		السبتي انظر : عبد الحق بن سبعين
120		19	السبعين ، اهل
(ح) 26 ، 26	الصفرية	(ح) 186	السبكي
22	الصلبيون	130 ، 128	السرخسي
(ح) 140	الضي	18	السعيد
	الطرطوشي أبو بكر محمد بن		انظر
(ح) 32 ، 32	الوليد		1 - ابو الحسن علي
	الظاهري « المذهب » أو الظاهرية		2 - المعتضد
76 ، 60 ، 46 ، 44 ، 43			3 - علي
49	العباس ، مدعي الفاطمية		السلاجي ابو عمرو عثمان بن عبدالله
(ح) 188	العباس بن الأحنف	70 ، 69	القيسي القرشي
30 ، 27	العباسيون	33	السلفية ، العقائد
127 ، 57	العبيدية = العبيديون	، 57 ، 48 ، 36 ، 33	السنة ، اهل
27	العبيديون = دولة	28	السنية ، مذهب
، 203 ، 158	العزیز بالله ، الإمام	(ح) 78	السهيلي
208 ، 204		46	الشافعي ، مذهب
(ح) 175	الأيوبي ، العصر	(ح) 89	الشريف الطليق المرواني
(ح) 62 ، (ح) 58	العقاد	202	
95	العماد الحنبلي	(ح) 144	الشعراني
28	الغاز بن قيس	، 160 ، 157 ، 127	الشقندي
(ح) 125 ، 76	الغبريني	175 ، 172 ، 171	

32	عبد الجبار	الغرناطي ، ابو القاسم 192 (ح)
22	المرابطي ، الحكم	211 الغز
46	المرابطية ، دولة	الغزالي = ابو حامد 13 ، 35 ، 36 ،
	المرابطون 11 ، 12 ، 15 ،	62 (ح) ، 65 ، 66 ، 67 ،
	15 (ح) ، 19 ، 20 ، 21 ،	الغساني ، محمد بن عبد الحق 126 ،
	25 ، 30 ، 31 ، 33 ، 36 ،	137 ، 149 ، 163 ، 164 ،
	37 ، 40 ، 45 ، 57 ، 58 ،	165 ، 167 ، 193 ،
30	المرابطون ، داعية	الفاطميون 26 ، 30 ، 31 ، 37 ،
	المراكشي 13 ، 32 (ح) ، 34 ،	58 ، 58 (ح) ، 59 ، 157 ،
	35 ، 38 (ح) ، 93 ، 102 ،	171 الفرزدق
	103 ، 131 ، 132 ، 145 ،	71 الفتح ، سورة
	169 ، 170 ، 176 ، 226 ،	الفرس 140 (ح) ، 141 ، 199 ،
	المريني ، ابو يوسف يعقوب بن	الفرنسيون 125 (ح)
177	عبد الحق	50 الفواطم
24	المرينية ، الدولة	86 القاسم ، ابن العذني
47	المرينيون	49 القحطاني
	المستنصر انظر :	القحيف بن خمير بن سليم العقيلي 140 ،
	1 - أبو يعقوب	140 (ح)
	2 - يوسف بن محمد	57 القرامطة
	المستنصر بالله الأموي . انظر :	25 القيرواني ، ابن ابي زيد
	الحكم الأموي	73 الكامل الأيوبي
87	المسيح	49 الكسوي
24	المسيحيون - المرتزة	32 الكيا الهراسي
	المصامدة 14 ، 49 ، 54 ، 65 ،	المالكي ، فقه 12 ، 15 ، 47 ،
	136 ، 152 ، 153 ،	المالكية ، مذهب 27 ، 28 ، 30 ،
	المصمودية ، قبيلة	37 ، 48 ، 59 ، 24 ،
	المعتزلة 27 ، 32 (ح) ، 34 ،	24 المالكيون ، الفقهاء
	35 ، 37	المأمون = أبو العلاء المبارك بن

الإمام 12 ، 14 ، 14 (ح) ،  
 15 ، 15 (ح) ، 18 ، 19 ،  
 20 ، 20 (ح) ، 21 ، 22 ،  
 24 ، 25 ، 27 ، 32 (ح) ،  
 33 ، 34 ، 35 ، 35 (ح) ،  
 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، ،  
 39 (ح) ، 41 ، 42 ، 42 (ح) ،  
 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 48 ، 49 ،  
 54 ، 56 ، 58 ، 59 ، 71 ، 72 ،  
 75 ، 91 ، 92 ، 102 ، 114 ،  
 116 ، 136 ، 207 ،  
 المهدي ، أحمد الأعرج السعدي 50 ،  
 (ح) 50  
 الموحدية ، الامبراطورية 24 ، 37 ،  
 الموحدية ، الايديولوجية 24  
 الموحدية ، الدراهم 23 (ح)  
 42 (ح)  
 11 ، 21 ،  
 الموحدية ، ثورة  
 الموحدية ، دعوة 18 ، 21 (ح) ،  
 34 ، 44 ، 55 ، 58 ، 104 ،  
 الموحدية ، مذهب 6 ، 41 ،  
 الموحدون 5 ، 6 ، 12 ، 13 ، 17 ،  
 18 (ح) ، 21 ، 23 ، 32 (ح)  
 42 ، 44 ، 46 ، 49 ، 55 ، 57 ،  
 58 ، 58 (ح) ، 64 ، 68 ،  
 70 ، 72 ، 76 ، 83 ، 84 ،  
 87 ، 91 ، 94 (ح) ، 239 ،  
 الموحدون ، طلبة 65 ، 71 ،

المعتصم يحيى بن ناصر بن المنصور 116  
 المعتضد 18 (ح)  
 انظر :  
 1 - أبو الحسن علي  
 2 - السعيد  
 3 - علي  
 المعتمد علي الله بن عباد 210 ، 210 ح  
 المعز ، بن باديس 27 ، 157  
 المقتدر ، الخليفة العباسي 155 ، 155 (ح)  
 المقدسي 30 (ح) ، 153 (ح)  
 المقرئ ، أبو العباس 73 ، 82 ، 95 ،  
 99 (ح) ، 115 ، 116 ،  
 128 ، 164 ،  
 المنتصر ، الفاطمي 57  
 المنصور ، انظر : يعقوب المنصور  
 22 ، 24 ، 39 (ح) ، 41 ، 42 ،  
 44 ، 46 ، 47 ، 59 ، 60 ،  
 63 ، 64 ، 76 ، 82 ، 83 ،  
 88 ، 89 ، 91 ، 95 ، 114 ،  
 209 ، 210 ، 238 ،  
 المنصور ، المغربي 37  
 المنصور بن الناصر الحمادي 125 ح  
 المتوني ، الأستاذ محمد 131 ، 164 ،  
 165 ، 169 ، 170 ، 177 ،  
 177 (ح) ، 178 ، 179 ،  
 المهدوية 19 ، 42 ، 48 ،  
 المهدوية ، امامية 55  
 المهدي - ابن تومار ،

155 (ح)	ب ، لوين	النابعة الذبياني ، زياد بن معاوية
140 (ح)	بنو أسد	203 ، 203 (ح)
155 ، 127 ، 155 ،	بنو العباس 57 ،	الناصر - أبو عبدالله 17 ، 17 (ح) ،
160 ، 156		49 ، 109 ، 202 ، 207
16	بنو أمية ، الشام	الناصر بن علناس ابن زيري 125 (ح)
191 (ح)	بنو أمية الأندلسيون	40
125 (ح)	بنو حماد	17
57 ، 15	بنو زيري	النصارى
194	بنو عباد	النعمان ، النعمان الثالث
131 ، 127 ، 65 ،	بنو عبد المؤمن	بن المنذر 203 (ح) ، 203
160	بنو عبيد	27
50	بنو مرين	الهادي العباسي
141	تُبع	الهادي الماسي ، محمد بن عبدالله بن
	تميم بن المعز الفاطمي = ابن المعز	هود الماسي أو الهادي 48 ، 54
	128 ، 155 ، 157 ، 157 (ح) ،	الهراسي أبو الحسن علي بن محمد
	160 ، 171 ، 204 ، 205 ،	بن علي
	208 ، 213 ، 218	الهلاليون = بنو هلال
31 (ح)	تومرت	الواصلية
19	تينمال ، اهل	ألوف 150 ، 188 ، 189 ، 223
19	جدميوه	اليوسفي ، الدينار
37	جعفر الصادق	اليونان ، فلاسفة
	جمال الدين بن محمد بن سالم	امرؤ القيس ، انظر : حندج بن حجر
139 (ح)	= واصل الحموي	أمغار
	جمال الدين محمد بن عكرم ،	انخل بالثيا ، الأسباني
139 (ح)	الأنصاري	اندرية جوبير
188 (ح)	جميل بن معمر	ايوب بن سعيد الصنهاجي
19	جنفيسة ، اهل	= أبو شعيب
		بروفنسال انظر : ليفي بروفنسال
		بقي بن مخلد
		بايزيد محمد خان ، السلطان

31	زياد بن علي بن الحسين	جنون ، الأستاذ 170 ، 172 ،
28	سحنون	175 (ح) ، 176 ، 179 (ح)
86 (ح)	سعد زغلول عبد الحميد	جودة الركابي 174 (ح)
58 ، 57	سليم ، بنو	جودفروا دي مومبيس 39 (ح)
132 (ح)	سليمان الموحدى ، الأمير	جورج كولان 119 (ح)
144 (ح)	سهل التستري	جورج مرسيه 48
83	سيدرو	جولد تسيهر 39 (ح) ، 45
79	سيبويه	حام 141
212 ، 141 (ح)	سيف الدولة	جوليان 14 (ح) ، 15 (ح) ، 17 (ح)
73	شرف الدين	حاتم الطائي 203 (ح)
60 (ح)	شرف الدين يالتقايا	حامد عبد المجيد 99 (ح) ،
194 ، 5 (ح)	شوقي ضيف الدكتور	210 (ح)
231 (ح)	(ح) ، 231 (ح)	56
35	صفين ، أصحاب	حسان ، الوالى
88 ، 47 ، 22	صلاح الدين الأيوبي	حسان بن ثابت 203 (ح)
14 ، 30	صنهاجة ، المرابطية ، قبيلة	حنديج بن حجر ، الكندي : امرؤ القيس 140 ، 140 (ح)
80	ضياء الدين الخزرجي	دعبل 188 (ح)
140 (ح)	عاصم بن ايوب البطليموسي	دو فردان 14 (ح) ، 15 (ح) ،
عائشة بنت الشاعر أبي الطاهر		16 (ح) ، 17 (ح) ، 23 (ح) ،
147	عمارة	61 (ح) ، 68 (ح) 83 (ح) ،
80	عبد الجليل بن موسى الأوسي	84 (ح)
68	القصري	ديرنبورج 203 (ح)
67 ، 60	عبد الحق بن سبعين ، السبتي	ذو وزن 141 ، 142
27	عبد الحميد بن اسحق الأوربي	رملة 150 ، 188 ، 189
194 (ح)	عبد الرحمن خليفة	رميلة ، ابنة عبد المؤمن 111
186 (ح)	عبد الرحمن صدقي	روجر الثاني 85
		زياد بن الأصفر 26 (ح)
		زياد بن عبد الرحمن 28



، 90 ، 89 ، 88 ، 87 ، 65  
، 106 ، 95 ، (ح) 94 ، 94  
، 134 ، (ح) 119 ، 111  
(ح) 178 ، 178 ، 152 ، 136  
209 ، 202

88 عبد الهادي التازي

عبد الواحد ، انظر الرشيد بن المأمون  
عبد الواحد بن علي التميمي ،  
87 المراكشي

عبد الوهاب عزام (ح) 210 (ح) 212 (ح)

(ح) 40 عبيدالله الفاطمي

(ح) 157 عبيدالله المهدي

عبيدالله بن عمر بن أحمد بن

46 جعفر

37 ، 35 عثمان ، الخليفة

عز الملك محمد بن عبدالله الحراني

(ح) 139 المسيحي

56 ، 25 عقبة بن نافع

213 عقيل ، اخو ابن المعتز

(ح) 18 علي

انظر :

1 - المعتضد

2 - السعيد

3 - ابو الحسن

علي الميورقي ، انظر : ابن غانية

27 ، 11 علي ، أمير المسلمين

(ح) 144 علي بن أبي طالب

عبد الرحيم بن عبد الرحمن ،

49 الفرس

56 عبد العزيز ، أخو المهدي

عبد العزيز الأهواني ، الدكتور

5 (ح) ، 53 (ح) ، 174 (ح) ،

233 (ح) ، 236 (ح)

عبد القادر محداد (ح) 239

عبد الكريم الحسيني (ح) 77

عبدالله بن خراسان 153 ، 152

153 (ح)

عبدالله ، أخو تميم بن المعز 159

31 عبدالله البجلي

عبدالله ، بن عبد المؤمن 153 ، 152

عبدالله بن محمد بن عيسى القادي 76 ،

عبدالله جنون 54 (ح) ، 178

31 عبدالله الشيعي

عبدالله الونشريسي 20

عبدالله بن أباض (ح) 26

عبدالله بن الجدد 213

عبدالله بن فروح ، أبو محمد الفاسي 28

عبدالله بن محسن عبدالله بن محمد

76 التادلي

عبدالله بن محمد بن حجاج 81

عبد المدان 141

عبد المؤمن = بن علي الكومي

، 15 ، 15 (ح) ، 16 ، 22 ،

، 36 ، 39 (ح) ، 40 ، 41 (ح) ،

42 (ح) ، 49 ، 55 ، 56 ،

46	قاسم بن سيار القرطبي	علي ، بن ابي فحوص بن عبد
71	قاسم بن فيرة الشاطبي ، الضرير	المؤمن 147
28	قرعوس بن العباس	علي بن اسحق ، انظر : ابن غانية
96 (ح)	قرقوش	علي بن الجهم 188 (ح)
50	قريش	علي بن زياد 28
188 (ح)	قيس بن الملوّح	علي بن يقطان السبتي 85
188 (ح)	قيس بن ذريح	علي بن يوسف بن تاشفين
83	كارادوفو ، البارون	1 - ابن يوسف
194 (ح)	كامل كيلاني	2 - علي بن يوسف 11 ، 12 ،
188 (ح)	كثير بن عبد الرحمن	14 ، 38 ، 94 (ح) ، 102 ،
142 ، 141	كسرى	علي شلق ، الدكتور 186 (ح)
179	كعب بن زهير	علي عبد العظيم 194 (ح)
56	كومية ، أهل	عمر ، الخليفة 37
47 ، 45	لاوست - هنري	عمر المرتضى انظر :
102 ، 11	لمتونة - قبيلة	1 - ابو حفص
	لوجار بن لوجار	2 - ابو الفضل عياض بن موسى
152	= ابن الدوقة	اليحصي ، السبتي 28 ، 55 ،
	ليفي بروفنسال = بروفنسال 87 ،	73 ، 100
	118 (ح)	43 ، 42
61 (ح)	ليون الأفريقي	عيسى ، المسيح 56
41 ، 29 ، 28 ، 13	مالك ، مذهب	عيسى ، أخو المهدي 191 (ح)
	مالك بن أنس ، الإمام 27 ، 29 ،	غارسيا غومس 58
	30 (ح) ، 50 ، 76 ، 137 (ح)	غز مصر 86
186 (ح)	محسن الأمين	غليوم الأول 140 (ح)
166 ، 77 ،	محمد ، (ص) 42 (ح) ، 77 ،	فاطمة بنت العبيد 27
140 (ح)	محمد الفضل ابراهيم	فتح ، وقعة 60
87	محمد البرنسي ، السبتي	فردريك الثاني 39 (ح)
17 (ح)	محمد الرشيد ملين	فريول 86 ، 85
		فيللر ، الأستاذ

77 محمد بن عيسى بن اصبح  
 = ابن المناصف  
 محمد بن قاسم بن عبد الكريم ،  
 87 ، 74 التميمي  
 محمد بن محمد بن عبدالله السبتي  
 = الادريسي 85 ، 86 ، 86 (ح)  
 71 محمد بن يوسف المزدغي  
 174 (ح) محمد عبد الحق  
 62 (ح) محمد يوسف موسى  
 محي الدين صبري الكردي ،  
 39 (ح) الشيخ  
 11 مسوفة ، قبيلة  
 230 (ح) مصطفى أدهم  
 25 (ح) معاوية  
 58 معقل ، بنو  
 128 منصور بن عبد المؤمن  
 193 (ح) مهيار بن مرزويه  
 56 ، 25 موسى بن نصير  
 13 ميمون الخطابي  
 ميمون بن خبازة  
 انظر : ابو عمرو  
 31 . 19 هرغة ، قبيلة  
 84 (ح) هسبرس  
 58 ، 57 ، 56 هلال ، بنو  
 19 هنتانة ، اهل  
 142 (ح) هود ، سورة  
 واصل الحموي انظر : جمال  
 الدين بن محمد بن سالم

132 محمد الفاسي ، الأستاذ  
 166 (ح) محمد المليبي ، الدكتور  
 الدكتور محمد بن ابراهيم الإيلي 49  
 محمد بن ابراهيم بن حزب الله 75  
 محمد بن ابي بردة 46 ، 47  
 محمد بن أحمد السبائي ، المراكشي  
 61 (ح)  
 محمد بن أحمد بن محمد ،  
 القيسي 61 (ح)  
 محمد بن احمد بن مرزوق التعمري  
 السبتي 74  
 محمد بن الأدرسي 86  
 محمد بن الرضى ، أمير المؤمنين 163  
 محمد بن المنصور يعقوب 129  
 محمد بن تاويت الطنجي 73  
 محمد بن تومرت  
 انظر : ابن تومرت  
 محمد بن رشيد السبتي 48  
 محمد بن سعيد بن أحمد بن مجاهد ،  
 الانصاري 59 ، 77  
 محمد بنشريقة ، الدكتور 73 (ح)  
 محمد بن عبد الحق ، انظر : الغساني  
 محمد بن عبدالله ابن وكليد بن الحسن  
 بن فاطمة بنت رسول الله 32 ، 40  
 محمد بن عبدالله بن هود الماسي :  
 انظر : الهادي الماسي  
 محمد بن عبد ربه 125 ، 145

229 ، 211	35	واصل بن عطاء
26	30	وجاج بن زلو
(ح) 210	194 (ح)	ولادة بنت المستكفي
يوسف اشباخ	153 (ح)	ياقوت
يوسف بن احمد بن علي المريبطري	30	يحي بن ابراهيم الجدالي
65	85	يحي بن بقي السلاوي
يوسف بن تاشفين 13 ، 30 ، 39 (ح)	151	يحي بن غانية
63 (ح) ، 72 ، 83 ، 91 ،	29	يحي بن يحي اللبثي
107 ، 114 ، 144	25 (ح)	يزيد
يوسف بن تاشفين ، ابنة 40		يعقوب المنصور ، الخليفة . انظر :
يوسف بن عبد المؤمن 16 ،		المنصور ايضاً 17 ، 21 ، 31
22 ، 61 ، 65 ، 77 ، 134 ،		65 ، 89 ، 106 ، 112 ،
136		120 ، 127 ، 128 ، 129 (ح) ،
يوسف بن محمد ، انظر :		132 ، 133 ، 145 ، 151 ،
1 - ابو يعقوب		152 ، 153 ، 154 ، 165 ،
2 - المستنصر		172 ، 173 ، 175 ، 188 ،
يوسف بن يعقوب السلطان 49 ، 50		202 ، 205 ، 206 ، 207 ،
(ح) 5 ، 5		



## فهرس الاماكن

الاسكندرية 32 (ح) ، 129 (ح) ،	68	أزمور
144	79	اسبانيا
الأسكوريال ، مكتبة 79 ، 81 (ح) ،	85 ، 60 (ح)	اسطنبول
87 ، 164 ، 165 ، 166 ،	86 (ح) ، 87 ، 99 (ح) ،	
167 ، 168 ،	155 (ح) ، 156 (ح) ، 16 (ح)	
الأندلس 12 ، 13 ، 16 ، 17 ، 23 ،	اشيلية 16 (ح) ، 36 ، 80 ، 81 ،	
24 ، 25 ، 28 ، 29 ، 31 ،	82 ، 83 ، 94 ، 111 (ح) ،	
32 ، 46 ، 47 ، 56 ، 57 ،	194 (ح) ، 210 (ح) ، 213 (ح)	
63 (ح) ، 64 ، 65 ، 72 ،	138 (ح)	اصفهان
75 ، 87 ، 89 ، 93 ، 103 ،	55	اطلس ، جبال
104 ، 106 ، 107 ، 144 ،	21 ، 111 (ح)	أغمات
154 ، 175 ، 177 ، 186 ،	افريقية 16 ، 24 ، 25 ، 25 (ح) ،	
186 (ح) ، 191 ، 191 (ح) ،	26 ، 28 ، 29 ، 31 ، 56 ،	
219	57 ، 81 ، 193 ، 152 ،	
الأهواز	191 (ح)	
186 (ح)		أفشنة
البحر المتوسط	137	اكسمنورد 60 (ح) ، 85 ، 86 (ح)
البصرة		الأحمدية ، مكتبة 71 (ح)
32 (ح)		الأرك - معركة ، غزوة 17 ، 89 ،
23		109 ، 114 ، 120 ،
79		
الجامع العتيق		
الجزائر 25 ، 26 ، 39 (ح) ، 151		

47	الصلاحية ، مدرسة	76 ، 16	الجزيرة الخضراء (ح)
175 ، 49	العدوة ، الأندلس	139	الجزيرة العربية
95 ، 29 ، 26	العراق	83	الجيرالدا ، منارة
76 ، 23 ، 17	العقاب ، معركة	174 (ح)	دار الطراز
، 99 (ح)	القاهرة 32 (ح) ، 85 ، 99 (ح)	، 138 (ح)	دار الكتب المصرية (ح)
، 150 (ح)	119 (ح) ، 139 (ح)	139 (ح) ، 174 (ح) ، 193 (ح)	
، 203 (ح)	(ح) ، 186 (ح)	71 ، 57 ، 29	الحجاز
، 100 (ح)	القرويون ، جامعة 57 (ح)	203 (ح)	الحيرة
137 ، 136 (ح)		، 75 ، 73 ، 6	الرباط ، مدينة
(ح) 137	القرويون ، خزانة	، 84 ، 83 (ح)	81 (ح)
79	القرويون ، مكتبة	، 105 ، 115 (ح)	164 ، 165 ، 166 ، 168 ، 169 (ح)
(ح) 140	القسطنطينية	99 (ح)	الرباط ، خزانة
73	الكاملية ، مدرسة	148 ، 138	الربيع ، قصر
83	الكتيبة ، جامع	140	الروم ، بلاد
83	الكتيبتان ، جامع	86	الزيدانية ، مكتبة
31 ، 30 (ح)	الكوفة 30 (ح)	87	السليمانية
148	اللؤلؤة ، أنف في الجبل	129	السودان
(ح) 155	المحروسة ، مطبعة	، 48 ، 37 (ح)	السوس 31 ، 32 (ح)
105	المحيط الأطلسي	49	
(ح) 153	المدينة العامرة	81 ، 16	السوس الأقصى
30 ، 29	المدينة (المنورة)	، 35 ، 30 ، 22	الشام ، مدينة
165	المراكشية ، الحضرة	66 ، 128 ، 128 (ح)	66 ، 128 ، 128 (ح)
78	المرية	، 140 (ح)	140 (ح) ، 151 ، 172
، 32 ، 29 ، 26	المشرق 25 (ح)	211	
، 46 ، 37 ، 33 (ح)	32 (ح)	57 ، 12	الشام ، بلاد
173 ، 74 ، 73		، 27 ، 26	الشمال الأفريقي ، بلاد
16	المصامدة ، بلاد	28	
(ح) 60	المعهد العلمي الفرنسي		

بغداد 32 ، 32 (ح) ، 36 ، 87 ،	المغرب 12 ، 13 ، 23 —
138 (ح) ، 139 (ح) ، 186 (ح)	31 ، 33 ، 35 ، 38 ، 41 ،
81 بلاد نول	46 ، 47 ، 48 ، 50 ، 56 ،
بلنسية 69 ، 127 ، 138 (ح) ،	60 ، 68 ، 70 ، 73 ، 75 ،
154 ، 145	78 ، 80 ، 81 ، 85 ، 87 ،
138 (ح) بولاق	91 ، 95 ، 104 ، 128 (ح) ،
60 (ح) ، 186 (ح) بيروت	132 ، 138 (ح) ، 144 ،
39 ، 31 (ح) تارودانت	153 (ح) ، 171 ، 175 ،
83 تازة	المغرب الأقصى 15 ، 24 ، 37 ،
153 (ح) تافيلات	المغرب الأوسط 15 ، 25 ، 26 ،
26 تاهرت	15 المغرب العربي الكبير
50 تلمسان ، جبل	الملكية ، مكتبة 75 (ح) ، 93 ، 107 ،
تلمسان ، مدينة 26 ، 50 ، 80 ،	الناصرية 125 (ح)
151 ، 152 ، 194	47 الناصرية ، مدرسة
83 تحمل	32 (ح) النظامية ، مدرسة
39 ، 38 (ح) ، 39 تحمل ، قرية	140 (ح) الهند
انظر : تينمال	140 (ح) انقرة
تونس 15 ، 25 ، 26 ، 32 (ح) ،	اوربا 82 ، 137 (ح)
57 ، 152 ، 191 (ح)	ايطاليا 23 ، 60
127 ، 152 تونس ، المدينة	باريز 85 ، 86 (ح) ، 140 (ح)
19 ، 38 (ح) تينمال	بجاية 41 (ح) ، 104 ، 125 ،
5 جامعة القاهرة	125 (ح) ، 127 ، 128 ،
83 جامع حسان	130 ، 131 ، 133 ، 134 ،
68 جبل العلم	145 ، 147 ، 148 ، 150 ،
208 ، 202 ، 89 جبل الفتح	152 ، 153 ، 154
89 (ح) جبل طارق	132 بجاية ، ولاية
19 جد ميوه	137 (ح) بخارى
19 جنفيسه	81 برقة



80 ، 25	طنجة	23	جنوه
167 - قصر اسطنبول	طوبوكاجي ،	(ح) 86	حكيم اوغلو علي باشا ، مكتبة (ح)
85	عدن	23	حوض المتوسط ، أقاليم
153 ، 130	غانة	(ح) 175	حيدر أباد
(ح) 16 ، 15	غرناطة	(ح) 32 ، (ح) 71	دمشق
49	غمارة	(ح) 174 ، (ح) 128	79 ، 128 ، (ح)
، 66 ، 49 ، 49 ، 38 ، 22	فاس	49	رباط ماسة
، 80 ، 79 ، 76 ، 74 ، 69		50	رباط العباد
136 ، 112 ، 81		(ح) 158	رملة
23	فرنسا	(ح) 16	رندة
(ح) 158	فلسطين	(ح) 86	روما
(ح) 191	قرطاجنة	، 74 ، 67 ، 60 ، 59 ، 55	سبتة
(ح) 16 ، 16 ، (ح) 15 ، 13	قرطبة	80	
، 31 ، 44 ، 60 ، (ح) 62 ، (ح)		، 130 ، 128 ، 127 ، 16	سجلماسة
، 67 ، 101 ، 154 ، 194 ، (ح)		(ح) 153 ، 153 ، 145 ، 132	
50	كربلاء	154	
26 ، 15	ليبيا	49	سلا ، بحر
85	ليننجراد	(ح) 61	سوق الكتبيين
(ح) 16	مالقة	(ح) 219 ، (ح) 145	شاطبة
21 ، 19 ، (ح) 18 ، 12	مراكش	(ح) 219 ، 68	شقر ، جزيرة
، (ح) 39 ، 38 ، (ح) 28		87	شهيد باشا ، مكتبة
، 65 ، 64 ، (ح) 61 ، 49		233	صحراء الجزيرة العربية
، 67 ، 74 ، 83 ، 84 ، (ح)		173 ، 152 ، 85	صقلية
، 136 ، 105 ، 96 ، 94		(ح) 125	صلداي
، (ح) 62 ، 38 ، المدينة	مراكش	(ح) 125	صلده
، 81 ، (ح) 78 ، 77 ، 65		26 ، 25 ، 16	طرابلس الغرب
، 129 ، 116 ، 84 ، 83		(ح) 32	طرطوشة
(ح) ، 178 ، 151 ، 150 ، 133		166	طليلة

167	مكتبة السلطان أحمد الثالث	23	مرسيليا
(ح) 99	مكتبة السلطان الفاتح	154 ، 72	مرس
16	مملكة المغرب	49	مزممة : بلد
233 ، 139	منى	(ح) 39 ، (ح) 38 ، 30 ، 15	مصر
(ح) 157	مهدية تونس	، 85 ، 79 ، 78 ، 71 ، 47	
233 ، (ح) 140 ، 139 ، 57	نجد	، 157 ، (ح) 156 ، (ح) 128	
(ح) 137	همدان	(ح) 174 ، 174 ، 173 ، (ح)	
19	هتانة	(ح) 186	
27	وليبي	57	مصر ، صعيد
151	ياميلول	118	معهد العلوم العليا المغربية
		(ح) 174	مكتبة الانجلو المصرية



## فهرس الكتب

- 66 ، (ح) 36  
 أخبار ابي نواس ونواده ومجونه  
 (ح) 186  
 أخبار المهدي 14 (ح) ، 19 (ح) ،  
 38 (ح) ، 87 ، 118  
 أدب مصر الفاطمية 59 (ح)  
 أزهار البساتين 32 (ح)  
 أزهار الرياض 73 (ح) ، 86 (ح) ،  
 99 (ح) ، 106 (ح) ، 191 (ح)  
 213 (ح)  
 أشباخ 82 (ح)  
 اطلال تنملل 39 (ح)  
 إظهار الكمال 68 (ح)  
 أعز ما يطلب 14 (ح) ، 20 (ح) ،  
 33 ، 34 (ح) ، 39 ، 41 ،  
 45 (ح) ، 118 ، 136  
 أعمال الأعلام 11 (ح) ، 13 (ح) ،  
 19 (ح) ، 32 (ح) ، 57 (ح) ،
- 15 (ح) ابن جبير ، رحلته  
 ابن رشد 58 (ح) ، 62 (ح) ،  
 ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه  
 194 (ح)  
 60 (ح) ابن سبعين  
 فهرس الكتب  
 ابن سناء الملك ومشكلة العقم  
 والابتكار في الشعر 176 (ح) ،  
 233 (ح) ، 236 (ح)  
 ابن هشام اللخمي 53 (ح)  
 ابو نواس 186 (ح)  
 ابو نواس بين التخطي والالتزام  
 186 (ح)  
 احد عشر قرناً في جامعة القرويين  
 58 (ح)  
 أحسن التقاسيم 30 (ح) ، 153 (ح)  
 احياء علوم الدين 13 (ح) ، 36 ،

72	البخاري ، صحيح	الأخلاق والسير في مداواة النفوس
157 ، 155 (ح)	البديع	60 (ح)
69	البرهانية	39 (ح)
، 78 (ح) ، 72 (ح) ، 71 (ح)	البغية	، 112 (ح) ، 111 (ح) ، الإدريسي
، 81 (ح) ، 80 (ح) ، 79 (ح)	، 90 (ح) ، 99 (ح) ،	114 (ح) ، 115 (ح) ، 116 (ح) ،
البكري 125 (ح) ، 178 (ح) ، 191 (ح)	البيان المغرب ، لابن عذارى ،	117 (ح)
، 12 (ح) ، 16 (ح) ، 43 (ح) ،	، 149 (ح) ، 153 (ح)	الاستبصار في عجائب الأمصار
، 49 (ح) ، 91 (ح) ، 93 (ح) ،	، 12 (ح) ، 11 (ح) ، الاستقصاء	86 ، 13 (ح) ، 14 (ح) ، 15 (ح) ،
، 94 (ح) ، 98 (ح) ، 107 (ح) ،	، 22 (ح) ، 25 (ح) ، 39 (ح) ،	40 (ح) ، 49 (ح) ، 53 (ح) ،
130 ، 134 (ح) ، 151 (ح)	، 55 (ح) ، 56 (ح) ، 57 (ح) ،	58 (ح) ، 88 (ح)
البيان في تنقيح كتاب البرهان	78	الأصول ، لابن السراج
70	الترمذي	79
41	التسوية	اعتماد ، المقدمة
67	التشوف 66 (ح) ، 68 (ح) ،	الأعلام 14 (ح) ، 61 (ح) ، 72 ،
، 69 (ح) ، 70 (ح) ، 73 (ح) ،	73 (ح)	، 102 (ح) ، 103 (ح) ،
73 (ح)	التعريف	106 (ح)
59 (ح)	التكملة	الأعيان 28 (ح)
، 68 (ح) ، 65 (ح) ، 59 (ح)	70 (ح) ، 73 (ح) ، 74 (ح) ،	الأغاني 127 ، 137 ، 137 (ح) ،
، 75 (ح) ، 76 (ح) ، 80 (ح) ،	81 (ح) ، 90 (ح) ، 102 ،	139 ، 139 (ح) ، 140 (ح) ،
، 111 (ح) ، 106 (ح) ، 111 (ح) ،	62 (ح)	144 ، 154 ، 203 (ح) ،
203 (ح)	التهافت	204 (ح)
54 ، 39	التوحيد	الاعتباط 116 (ح)
التوضيح والبيان عن شعر نابغة بني	ذبيان	79
203 (ح)	79	الألفية
	39	الأمانة
	87	الانساب في معرفة الأصحاب

الدعوة الموحدة 15 (ح) ، 19 (ح) ،	الثقافة المغربية ، مجلة 132 ، 132 ، (ح) ،
32 (ح)	239 (ح) ،
الدليل على أن الشريعة لا تثبت	الجدوة 69 (ح) ، 70 (ح) ، 74 (ح)
بالعقل من وجوه 45 (ح)	81 (ح) ، 87 (ح) ، 99 (ح) ،
الديباج المذهب 137 (ح)	111 (ح) ، 115 (ح) ،
الديوان ، لأبي الربيع 66 (ح) ،	118 (ح) ، 155 (ح) ،
126 (ح) ، 127 (ح) ،	الجزائر 125 (ح)
156 (ح) ، 157 (ح) ،	الجفر 37
159 (ح) ، 163 ، 163 (ح) ،	الجمهرة 79
165 ، 174 ، 193 (ح) ،	الحالة الاقتصادية لمراكش على
197 (ح) ، 198 (ح) ، 199 (ح) ،	عهد الموحدين 23 (ح)
200 (ح) ، 201 (ح) ،	الحان الحان 186 (ح)
202 (ح) ، 205 (ح) ،	الحديث عن عملية التمييز في الدعوى
210 (ح) ، 211 (ح) ،	الموحدة 21 (ح)
214 (ح) ، 218 (ح) ،	الحلل ، الموشية 11 (ح) ، 13 (ح) ،
219 (ح) ، 220 (ح) ،	15 (ح) ، 16 ، 16 (ح) ،
222 (ح) ، 223 (ح) ، 224 (ح) ،	17 (ح) ، 31 (ح) ، 32 (ح) ،
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة	36 ، 39 ، 39 (ح) ، 42 (ح) ،
177 المرينية	43 (ح) ، 49 (ح) ، 92 ،
الذيل والتكملة 99 (ح) ، 116 ،	94 ، 96 ، 96 (ح) ، 136 (ح) ،
80 الرامزة	الحلة السراء 160 (ح)
الرايات 93 (ح) ،	الحماسة المتأخرة 99 (ح)
128 ، 128 (ح) ، 155 ،	الحماسة المغربية 99 (ح)
170 (ح) ، 219 (ح) ،	الخريدة 88 ، 85 (ح)
225 (ح)	الخزرجية 80
الرد على النحاة 43	الدر المنظم في مولد النبي المعظم 86
الروض الأنف 78 ، 78 (ح)	الدرر البهية 68 (ح)

114 (ح) ، 127 ، 127 (ح) ،	71 (ح)	الروض الهتون
128 (ح) ، 132 ، 145 (ح) ،	130	الروضة السليمانية
147 (ح) ، 151 (ح) ، 153	68 (ح)	السعادة الأبدية
(ح) ، 155 (ح) ، 170 (ح)	69 (ح)	السلوة
الفاظ مغربية 53 (ح)	128 (ح)	السياسة الملوكية
الفتوحات في معرفة الأسرار	71	الشاطبية
الملكية والملكية 66 (ح)	191 (ح)	الشعر الأندلسي
الفصل في الملل والأهراء والنحل		الشعر الأندلسي في القرن الحادي
60 (ح) ، 356 ،	239 (ح)	عشر
الفصول والجمل في شرح أبيات		الشفاء في تعريف حقوق المصطفى
الجمل 79	73	
الفقه على المذاهب الأربعة 28	144 ، 79	الصحاح
الفن ومذاهبه في الشعر العربي	72 ، 41	الصحیحان
157 (ح) ، 231 (ح) ، 232	144 (ح)	الطبقات
ألفية ابن سينا 137	111 (ح)	العاطل الحالي
القاضي عياض 73 (ح)	33 (ح) ، 36 (ح)	العبر
القانون ، مقدمة 79	125	العقد ، الفريد
القانون في الطب 137 (ح)	79	العقود والقوانين
القرآن ، الكريم انظر : الكتاب	69	العقيدة البرهانية
أيضاً 39 ، 41 ، 42 (ح) ،		العلوم والفنون والآداب على عهد
67 ، 118 ، 142		الموحدين 63 (ح) ، 65 (ح) ،
القرطاس 11 (ح) ، 13 (ح) ،		83 (ح) ، 94 (ح) ، 98 (ح) ،
14 (ح) ، 15 (ح) ، 21 (ح) ،		131 ، 131 (ح) ، 136 (ح) ،
22 (ح) ، 24 (ح) ، 31 (ح) ،		164 (ح) ، 170 (ح) ،
32 (ح) ، 40 (ح) ، 41 (ح) ،		179 (ح) ، 209 (ح)
43 (ح) ، 49 (ح) ، 54 (ح) ،		الغصون اليانعة 81 (ح) ، 98 (ح) ،
55 (ح) ، 56 (ح) ، 57 (ح) ،		106 (ح) ، 111 (ح) ،
		112 (ح) ، 113 (ح) ،

77	المذهبة في الحلى والشيات	69 (ح) ، 72 (ح) ، 81 (ح) ،
60	المسائل العقلية	95 (ح) ، 177
(ح) 153	المسالك والممالك	القصيدة 58 (ح) ، 110 (ح) ،
	المستفاد في مناقب العباد من أهل	116 (ح)
87	فاس وما يليها من العباد	القلائد 219 (ح) ، 221 (ح) ،
(ح) 39	المشاهد والقلاع	222 (ح)
41	المصنفات العشرة	39 القواعد
67	المضنون الصغير	الكامل في التاريخ 14 (ح) ، 35 (ح)
	المطرب في اشعار المغرب 73 (ح) ،	40 (ح)
	78 (ح) ، 79 (ح) ، 90 (ح) ،	الكتاب ، القرآن 37 ، 43 ، 44 ،
	99 ، 99 (ح) ، 102 (ح)	59 ، 68 ، 70 ، 103
(ح) 210	المعتمد بن عباد	الكتب الصحاح « الكتب الخمسة
	المعجب في تلخيص أخبار المغرب	الصحاح «
	11 (ح) ، 13 (ح) ، 14 (ح) ،	74 ، 41
	15 (ح) ، 16 ، 19 (ح) ،	79 الكراسة ، المقدمة
	22 (ح) ، 32 (ح) ، 34 (ح) ،	61 الكشاف
	35 (ح) ، 36 (ح) ، 38 (ح) ،	اللائي الفريدة في شرح القصيدة
	41 ، 42 (ح) ، 58 (ح) ،	71 (ح)
	61 (ح) ، 62 (ح) ، 63 (ح) ،	80 الباب في مسائل الحساب
	64 (ح) ، 72 (ح) ، 77 (ح) ،	79 المثلث
	85 (ح) ، 87 ، 89 (ح) ،	78 المعجل
	90 (ح) ، 94 (ح) ، 102 (ح) ،	المحاضرات 67 (ح)
	125 ، 125 (ح) ، 134 (ح) ،	المحلى 60 (ح)
	145 ، 145 (ح) ، 153 (ح) ،	المختصر 138 (ح)
	170 (ح) ، 174 (ح) ،	المدارك في رفع الموقوف ووصل
	176 (ح) ، 208 (ح) ،	المقطوع من حديث مالك 70
(ح) 203	المعلقات	73 (ح)
		76 المدونة



131 (ح) ، 132 ، 132 (ح) ،  
 221 (ح)  
 النجوم المشرقة في ذكر من أخذ  
 عنه في كل ثبت وثقة 74  
 النفع 29 ، 29 (ح) ، 60 (ح) ،  
 67 ، 72 (ح) ، 82 (ح) ،  
 88 (ح) ، 89 (ح) ، 90 (ح) ،  
 91 (ح) ، 95 (ح) ، 112 (ح) ،  
 128 (ح) ، 129 (ح) ، 130 ،  
 130 (ح) ، 132 ، 133 (ح) ،  
 151 (ح) ، 154 (ح) ، 164 ،  
 170 ، 174 (ح) ، 191 (ح) ،  
 210 (ح) ، 219 (ح)  
 76 الوافي  
 71 الوباء ، مقالة  
 الورقة 130 (ح)  
 امراؤنا الشعراء 98 (ح) ، 132 ،  
 132 (ح)  
 انوار الافهام في شرح الاحكام  
 71  
 69 ايضاح العقيدة البرهانية  
 بداية المجتهد ونهاية المقتصد  
 62 (ح)  
 186 (ح) بروكلمان  
 بغية الملتبس 72 (ح) ، 85 (ح)  
 بين الدين والفلسفة عند ابن رشد  
 62 (ح)

المعلى في الرد على المحلى والمجلى 59  
 المعلى في الرد على محلى ابن حزم 77  
 المغرب في حلى المغرب 28 (ح)  
 61 (ح) ، 62 (ح) ، 106 (ح) ،  
 128 ، 146 (ح) ، 170 ،  
 219 (ح)  
 المفصل ، شرح المقتبس في أخبار  
 المغرب وفاس والأندلس 19 (ح) ،  
 39 (ح) ، 87 ،  
 106 (ح) المقتضب  
 249 ، 29 المقدمة  
 164 (ح) المقري  
 76 المحمود في تلخيص العقود  
 61 الملكي  
 86 الممالك والمسالك  
 88 ، 135 (ح) المن بالإمامة  
 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم  
 193 (ح)  
 61 (ح) ، 62 (ح) الموسوعة الفلسفية  
 41 ، 62 ، 136 الموطأ  
 137 (ح) الموطأ الصغير  
 137 (ح) الموطأ الكبير  
 المؤنس في أخبار افريقيا وتونس  
 36 (ح)  
 النبراس في أخبار خلفاء  
 بني العباس 87  
 54 (ح) ، 59 (ح) ، النبوغ 18 (ح)  
 66 (ح) ، 83 (ح) ، 131 ،

- جامعة القرويين في ذكرها الماية ، تاريخ ابن خلدون 14 (ح) ، 15 (ح) ،  
 بعد الألف 16 (ح) ، 17 (ح) ، 19 (ح) ،  
 57 (ح) 78 جمهرة ابن دريد ، 26 (ح) ، 49 (ح) ، 57 (ح) ،  
 87 (ح) 77 جنى زهرة الأس ، 88 (ح) ، 148 (ح) ، 151 ،  
 حجة الأيام وقدوة الأنام (ح) 155 (ح)  
 157 (ح) حسن المحاضرة ،  
 79 حواشي على أصول ابن السراج ،  
 61 (ح) حي بن يقظان ،  
 14 (ح) ، 68 (ح) ، 137 (ح) ، 139 ،  
 (ح) ، 140 (ح) ،  
 174 (ح) دائرة المعارف العثمانية ،  
 44 (ح) ، دعوة الحق ، بحث ،  
 102 (ح) ،  
 99 ديوان ابي العباس الجراوي ،  
 ديوان ابي بكر عتيق بن علي ،  
 99 الصنهاجي الحميدي ،  
 ديوان ابي عبدالله محمد بن حبوس ،  
 99 ديوان ابي عبدالله محمد بن علي بن  
 العابد الأنصاري ،  
 99 ديوان ابي عمرو ميمون بن خبازة  
 الخطابي ،  
 165 ديوان ابي فراس الحمداني ،  
 141 (ح) ديوان المتنبي ،  
 210 (ح) ذخيرة ابن بسام ،  
 ذكريات مشاهير رجال المغرب ،  
 مجلة 78 (ح) ، 104 (ح) ،
- تاريخ ابن خلدون 14 (ح) ، 15 (ح) ،  
 16 (ح) ، 17 (ح) ، 19 (ح) ،  
 26 (ح) ، 49 (ح) ، 57 (ح) ،  
 88 (ح) ، 148 (ح) ، 151 ،  
 (ح) 155 (ح)  
 تاريخ افريقيا الشمالية 14 (ح) ،  
 15 (ح) ، 17 (ح) ، 82 (ح) ،  
 تاريخ الأندلس ، لأشباح ،  
 82 (ح)  
 تاريخ الأندلس على عهد المرابطين  
 والموحدين 210 (ح)  
 تاريخ البيدق 15 (ح) ، 21 (ح) ،  
 36 (ح) ، 40 (ح) ، 92 ،  
 تاريخ الدولة السعدية 50 (ح)  
 تاريخ الفكر الأندلسي 45 (ح)  
 47 (ح)  
 تاريخ الفكر العربي 193 (ح)  
 تاريخ الموحدين 87  
 تحفة القادم 61 (ح)  
 تذكرة الحفاظ 137 (ح)  
 ترتيب المدارك وتقريب المسالك  
 لمعرفة أعلام مذهب مالك 28 ،  
 73  
 ترجمان الأشواق 66 (ح)  
 ترجمة الأعلام 68 (ح)  
 تقدم العرب 23 (ح)  
 تهافت التهافت 62 (ح)  
 جامع المبادئ والغايات في الميقات 28

190 (ح)	شرح المعلقات	111 (ح) ، 116 (ح) ، 132 ،
80	شرح مقصورة ابن دريد	(ح) ، 132 ، 137 (ح) ،
71	شعب الإيمان	172 (ح) ، 173 (ح)
119 (ح)	صبح الأعشى	رسائل موحدية 54 (ح) ، 118
78	صحاح الجوهري	رسالة الشقندي 112 (ح)
99 ، 99 (ح)	صفوة الأدب	رفع الحجب في محاسن المقصورة
69 (ح) ، 68 (ح)	صلة ابن الزبير	211 (ح) ، 192 (ح)
70 (ح) ، 71 (ح) ، 81 (ح) ، 11 (ح)		روض الانس ونزهة النفس 86
65 (ح)	صلة الصلة	روض الفرج ، خريطة 86
140 (ح)	طبقات ابن سلام	زاد المسافر 72 (ح) ، 78 (ح) ،
62 (ح) ، 61 (ح)	طبقات الأطباء	90 (ح) ، 102 (ح) ، 104 (ح)
186 (ح)	طبقات الشافعية الكبرى	106 (ح) ، 111 (ح) ، 239 (ح)
155 (ح)	طبقات الشعراء المحدثين	سراج الملوك 32 (ح)
192 (ح)	طوق الحمامة 60 (ح) ، 192 (ح)	سرح العيون شرح ابن زيدون
17 (ح)	عصر المنصور	194 (ح)
13	علوم الكلام	41 سنن ابن أبي شيبة
	عنوان الدراية فيمن عرف من	سنن ابي داود 41 ، 72
	العلماء في المائة السابعة 60 (ح) ،	سنن البزار 41
	70 (ح) ، 75 (ح) ، 76 (ح) ،	سنن البيهقي 41
	77 (ح) ، 78 (ح) ، 125 (ح) ،	سنن الدارقطني 41
	147 (ح)	سنن النسائي 41
46	فرق الاسلام	سيرة ابن هشام 78
	فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة	شاعر الخلافة الموحدية 106 (ح)
62 (ح)	والحكمة من الاتصال	شذرات الذهب 95 (ح)
66 (ح)	فصوص الحكم	شرح آيات سيبويه 79
174 (ح)	فصوص الفصول	شرح الجمل 79
80 (ح)	فهرست ابن غازي	شرح الفصيح 80

- قلائد العقيان 101 (ح) ، 210 (ح)  
 كتاب الشفاء 137 (ح)  
 كتاب الصلة 137 (ح)  
 كتاب سيويه 78  
 كتب ابي حامد الغزالي 13  
 كشف الخفا 143 (ح) ، 144 (ح)  
 كشف الظنون 67 (ح) ، 69 (ح) ،  
 83 (ح) ، 186 (ح)  
 لحن العامة 53 (ح) ، 80  
 مجلة معهد المخطوطات 53 (ح)  
 مجموع الرسائل 39 (ح) ، 41 (ح)  
 محاضرات الأبرار 67 (ح)  
 مختار الأغاني في الأخبار والتهاني  
 139 (ح)  
 137 (ح) ، 144 (ح)  
 مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ، 75 ،  
 76 (ح)  
 مراکش 14 (ح) ، 15 (ح) ، 16 (ح)  
 17 (ح) ، 61 (ح) ، 68 (ح) ،  
 83 (ح) ، 84 (ح)  
 مسالك الأبصار 83  
 مشارق الأنوار في غريب الحديث  
 والآثار 73  
 معجم الأدياء 127 ، 155 (ح) ،  
 157 (ح)  
 معجم البلدان 153 (ح)  
 معجم الشقندي 155  
 مغرب ابن سعيد 65 (ح) ، 90 (ح)  
 مغرب ابن عذارى 15 (ح) ، 17 (ح)  
 18 (ح) ، 88 (ح) ، 89 (ح)  
 93 (ح) ، 96  
 مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن  
 المنزل 70  
 مقدمة ابن خلدون 22 (ح) ، 48 (ح)  
 مقصورة حازم ، قصيدة 191  
 منهاج التحصيل في شرح المدونة  
 75  
 منهاج العابدين 67  
 منهج الأندلسيين في دراسة النحو  
 44 (ح)  
 موشحات مغربية 110 (ح) ، 111 ،  
 (ح) ، 116 (ح)  
 زهرة المشتاق في اختراق الآفاق  
 86 ، 86 (ح)  
 نظم الجمان 13 (ح) ، 32 (ح) ،  
 38 (ح)  
 نظم العقود ورقم الحلال والبرود ،  
 — نسخة ديوان ابي الربيع  
 166  
 نفع الأزهار 101 (ح)  
 نفع الطيب انظر : النفع  
 60 (ح)  
 نقط العروس  
 80 نكت على شرح أبيات سيويه  
 نيل الابتهاج 67 (ح) ، 70 (ح) ،  
 71 (ح) ، 75 (ح) ، ، 276

- |                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| 37 ، 72 (ح) ، 73 (ح) ،        | هسبرس ، مجلة 23 (ح) ، 39 (ح)    |
| 76 (ح) ، 78 (ح) ، 88 (ح) ،    | واسطة العقدين ، كناش 68 (ح) ،   |
| 93 (ح) ، 102 (ح) ،            | 130 ، 131 ، 144 ، 155 (ح)       |
| 155 (ح) ، 157 (ح) ،           | وصف افريقيا 61 (ح)              |
| 193 (ح)                       | وفيات الأعيان 14 (ح) ، 21 (ح) ، |
| بتيمة الدهر 155 (ح) ، 157 (ح) | 28 (ح) ، 32 (ح) ، 35 ،          |